

المجلد

١٣١٥

بؤني الحكمة من يتاحون من يؤت الحكمة لله أني
غير أكبر وأبذكرك إلا اور الا لابل

بؤني حادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله واوتاهم من اول الا لابل

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام سوى «منارا» كنار الطريق)

(مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ - ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
السينات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصاح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكتنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ،
وأكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبنى ، وقتنة من ضل من
مرشدينا وغوى ، وخسر من عصى من دهائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أيران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانفعنا
بما أنزلت من الذكري ، وآتنا ما وعدتنا في الآخرة والاولى ،

هذاما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذكير ودعاء ، يبعثهما أمل

ورجاء ، على حين سحلت مرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجانب ، بين سلطان يجارب العلم وسلطان يجاربه الجهل ، وأمير مفتون بالثر ، وأمير منبون بالفقر ، وعالم يناهض بكسوة التشریف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدر غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء تذلل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ١٢٨ : ٢٠ »

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لَأُولِي النُّهَى *

نم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالفناء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لحواصمهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللا جانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ، ويد في تصرف أموالنا في مصلحتهم دون مصلحتنا ، ويد تطيع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأني شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ؟ اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة توجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف الغمة والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاثنين ، ومن يتصل بحزبهم حيناً بمدحهم ، والماقبة للمتهمين ، « ٢٤٩ : ٢ » كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ قِتَّةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «١٣٢:٢٠» وَأَمَّا أَهْلُكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * «١٣٣»
وَقَالُوا إِنَّمَا يَأْتِيَنَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *

بلى قد جاءتنا صحف لا أولين، فكانت مثالا للمارأى بنا في صحف الآخرين،
انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، الا بصيحة نهر
من أولي الألباب، ومشتفي العقول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس
أقوامهم، بما يليق به من الحكمة في ذلاقة السننهم ونفحات أقلامهم،
فيستبدلون الاعتصام بالانقصاص، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة،
والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعملون
بالتعاون فيكونون أمة، «٨٥:٤٠» سَنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ
هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ * «٣١:٥٣» وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ
الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *

ما المنار الا صحيفة أو صعف أنشئت لتأييد دعاة العلم للامة والعمل لها
سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعو اليه معها ولتذكر سواد
الدعاة الذين يتعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للامة، ويموتون في
سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين:
الذين هم ابناء عو الهداية، واتباعهم اعوان السعادة، من تمسك بهم نجا، ومن
تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والاولى، «١٢٤:٢٠» وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْنَى * «١٢٥» قَالَ

رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأُنْفَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الاولى، وبالعذاب في الدار الاخرى، وقد قال تعالى
وهو أقوم قِيلاً، «١٧: ٧٧» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضلَّ سَبِيلًا * فالدينا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبيل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الاتساب الى أولئك السلف الكرام، أما
سمع المعروف حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سلبي من مالي ماشئت
لا أغني عنك من الله شيئاً * «٣٩: ٥٣-٥١» أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَمَا فِي صُحُفِ مُوسَى،
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا
مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى * *

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول ايهاً أخذاً ويلاً، «١٤١: ٤» وَلَنْ يُجْعَلَ
اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهن ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣٩: ٣» وَلَا تَهِنُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * ١١: ٢٢ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ
عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * « فما انتفع المفرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا » ٢٣: ٥٣ « إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا يَهْدِي إِلَّا تَقْصُصُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى * » ٢٤ آ م إِلَّا نَسَانِ مَا مَنَنْتَنِي *
٢٥ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى *

نعتق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لا نجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، الا بفناء ارادكم في ارادة حكماكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بقرية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشتراك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، —
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لا حياة لكم بالرابطة المليية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدينة القرية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يجحوا من
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايتارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما اعتز به المسلمون الا ولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدينة أوربا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، ان يبعثوا بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة المرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
« ٢٩: ٥٣ » فَأَعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ٣٠ ذلك

مِنْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى *
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون ، وكل حزب بما لديهم فرحون
 ﴿٢٤: ٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ *
 فله وحده دعوة الحق ، وما خلفها فهو باطل أو فسق ﴿٢٦: ١٥٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا * ﴿١٥١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * ﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ * ﴿١٥٣﴾ هَانِ خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَافِرُ ، قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمنًا
 طويلاً ، أطمعنا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ، وأخذنا الأجنبي من
 ناحية سلطتهم أخذاً وبيلاً ، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم قليلاً ، ﴿٢٩: ٢٦﴾
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * . ولا سبيل إليه الا
 باتباع هدايته ، والسير على سننه في خليقته ، ﴿٨٤: ١٧﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ
 شَاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا * ﴿١٠٩: ١٠٠﴾ واللبل إذا
 يُفْشَى ، والنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ، وما خلق الذكر والأنثى ، إِنَّ سَمِيَكُمْ لَشَقَى *
 فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَعْتَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى *

فليكن أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة ، واختلفت دعوة الدعاة ،
 أن تهيئوا داعي الله ، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله ، لا إعلاء
 كلمة الله ومواساة عياله ، واتقى أسباب الفتن والحن ، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ، وصديق بالشريعة الحسنى ، والخلقة الفضلى ، تصديق
 إذعان ، يتبعه العمل بالجنان والاركان ، والتعاون على البر والتقوى دون
 الاثم والعدوان ، فإذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى ، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا ، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن يخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بما له عن الاعتزاز بأمته وملته ، وكذب في نفسه بأن الشرعة الحسنى ، والحليقة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى ، فإن الله تعالى لا يسر له بمقتضى سنته الاعسرى الخطئين ، وسوءى الطريقتين ، فيكون شقياً بما له ، مضطرباً في حاله ، مفضضاً إلى قومه وآله ، لا فرق في هذه السنة ، بين الشخص والامة ، والامر في الشعوب أظهر لمن يرى ، فمارىئى شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢ : ١١٠ - ١٣ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّا لَنَآخِرَةَ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضروب هداية القرآن ، الذي دعا إلى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد إلى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرصية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرانياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سعى نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب إليها ، كان حظّه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان ، وهو الاقرب إلى هداية القرآن ١٨ : ٥٩ وتلك القرى اهل كنانهم لما ظلموا وجمعنا اليكهم مؤعداً *

١٦:٧٧ وَأَنْ لَّوِ اسْتَظَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَقِيَانَهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٧ لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ٩:٨٧ فَذَكَرَ أَنْ تَعَمَّتِ الدُّكْرَى ١٠ سَيِّدًا كَرُمًا مَنْ يَنْشَأْ

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهد اقلل بابه في هذا الزمان ، والداعي اليها عديمين لاهل الايمان ، وما علينا الا تقليد شيوخنا أهل الفقه والعرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام ، على عواتق أهل السلطة المتغلبين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطني بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن وراءهم قوم آخرون صرخوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لارجاء للمسلمين بحياة مليه ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيوا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلامدنية لهم ، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم ترد دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الرسميين ، والامراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتمام بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وآذوا الاهل والانصار ، ودمروا على الدار ، واحتوا الكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عسر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصددوا لاعتقار ، وهناك العالم الآثم ، يمد يديه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية ، اصبح فيما كان في بلاد العبودية ، بمد

استثناء وإثماره ، بشأن الإخراج من الديار ، فكان نجاح المثبر ، بديلاً من خذلان المثمر ، وطعن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، إيماء إلى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك إلا رجاء بالله ، وانتظاراً لروح الله ، مع العجز والتقصير ، وقد العون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو الصدق « ١: ٥٣ » والنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * ٧ مَاضٍ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * ٢٠ : ١٣٥ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ *
 منشئ المنار ومحرره
 محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الفرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق المهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وانما تتوجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته انما هي نصوص الكتاب والسنة . فترغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيّدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث محتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فلان المنتقد أن يبين لنا ذلك . وانما نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا العلماء والأدباء ، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المنتقد مصيباً اعترفنا وشكركنا ، وان كان مخطئاً بيننا وأعذرنا ، ولا نعذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن ينم المنار بهذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له مخطأه فهو فاسق مغتاب ، كما تم العلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعلة والحكمة والحسن والقبح ﴾

نذكر ماورد السفاريني في هذه المسائل ليعلم قراء كتب الاشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تحتاجها الى صواب ، وان الاقتصار على مكتب طائفة معينة هو من قيود التقليد . قل لي . شرح قوله

﴿ وربنا لا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الامة واعتبها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه يقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بهداه لم تكن سواء كلتي

ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى إليه أي يخلق الخلق لا الحاجة إليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الاجاء والاحواج والالزام والاكرام فلا حاجة بأعنة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق الخلق وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الإرادة وهذا قول جمهور من ثبتت القدر وينسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقال به طوائف من الخبيلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من فناء القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعله لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لاجلها وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة أن كانت قديمة وجب قسم المعلول لأن العلة الغائية وإن كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصدي فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البقية آخر المدرك - ويقال إن العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فإذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الأولى فلو قبل أنه يفعل لعله قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وإن قيل إنه فعل لعله حادث لزم محذوران (أحدهما) أن يكون محلا للحوادث فإن العلة إن كانت منفصلة عنه فإن لم يعد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وإن قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجوب أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فإن كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وإن كان لعله عاد التقسيم فيها فإذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعله والعلة ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) إن تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعل أخرى فإن كان الأول امتنع حدوثها لأن ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر

أحداثه وإن كان الثاني فالتقول في ذلك الغير كالتقول فيها ويلزم التسلسل فيه من الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه (التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم إن جميع الأمور المعتمدة في كونه فاعلا إن كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لأن العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فإنه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لا نفي بالعلة التامة إلا ما تستلزم المعلول فإذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وإن لم تكن العلة التامة التي هي جميع الأمور المعتمدة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وإن لم تكن جميعها في الازل فلا بد إذا وجد المفعول بعد ذلك من تتجدد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح وإذا كان هناك سبب حادث فالتقول في حدوثه كالتقول في الحادث الأول ويلزم التسلسل قالوا فالتقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وإن كل ما حدث حدث بغير أحداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمعا فإن كان ممتمعا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وإن كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا المبدع العالم بحكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الفائية وبطل ما تدكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يتحدث من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الفائية لزم أن تثبتوا له الشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فصل كذا الحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهو لا، المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

(التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كآبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمده لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لركة وألم يحمده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لا لتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح ونسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علام أفعاله تعالى فوارا من العبث فوقهم فيه فإن العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا ينهيه ولا يؤمره ولا يأمره أحد من العقلاء أحداً بالاحسان إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لئلا في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل لا يسود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكنّه ﴾ تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله أنه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة إليه ولا اضطرار عليه غير أنه جعل وعلاً ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾ أي هلاً بلا أمر ولا نهى ولا حكمة ومعنى السدى المهل وأبل سدى إذا كانت تروعى حيث شئت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما هو كثير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل إلا الحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئاً ولا قضاه ولا شرعه إلا بحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر ﴿ فأتبع الهدى ﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تتجدد حكمته كما لا تتجدد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتفريق العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الإمام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفى ذلك الأشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح إذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الأفعال التي أوجهاها الله تعالى ونسب إليها هي نافعة للفاعل ومصلحة لهم وجميع الأفعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضارٌّ للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكننا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويوجب فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقولون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما زعم نفسه عنه فانه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضبا) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني انهما لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجود الصلاح ولهم في الاصلاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والاكترون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضا

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 إسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم)
 ونظائرهما ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشمال الافعال على الحكم والمصالح جوارا
 عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفضل ما يريد بحكمته وتقدم ان التافين
 للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قسّم المعلول وهو
 محال ومن حدوثها افتقارها الى علة أخرى وانه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالأداة فانها قديمة ومتعلقها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وغلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في تخيلة الفطين السالم من ربة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاف وأقل تخمين وأما الامام الحق شمس الدين ابن القيم فقد أجلب
 وأجنب وأتى بما يقتضيه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و(مفتاح دار
 السعادة) وغيرها فها احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجتروا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح ينتزه الله عنه فأنكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينههم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان
 باطل والله متعال عنه لما فاته حكمته فقال تعالى (أحسب الانسان ان يترك
 سدى) فأنكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل
 استنباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (أغضبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فتعالى الله الملك
 الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وأنه متعال عنه فلا يليق به لقبه ومناقاته الحكمة وهذا يدل على اثبات
المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة
في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم
بين الحسن والقبح العقليين وبين الايجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في
اتفاء التلازم وثبوته فأما المقام الاول فلهثني الحسن والقبح فيه طريقان احدهما
ثبوت التلازم والقول بالتلازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون
وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن
والقبح وأر بابه يقولون بآثباته ويصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد
ونفي الايجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابني الخطاب
 وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الايجاب
العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لا مزيد عليها (أحدها) هي
الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات دون العمليات كالمعرفة وهذا
اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الايجاب
والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو اتفاء التلازم وثبوته فلناس فيه ههنا ثلاث طرق
أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا
قول المعتزلة وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه .
وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبتته منهم يقولون ان العذاب
الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي
وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البتة وأما الايجاب والتحرير
العقليان غائباً فهن مصرحون بهما ويفسرون ذلك بالزوم الذي أرجحته حكيمته
وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والغفوب
فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته
ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمناقاته كإله وغناه قالوا وهذا
في الافعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من الحالات كالجمع بين التقيضين وبابه فقابلوا المعتزلة أشد مقابلة واقسما طسرفي الافراط والتفريط ورد هؤلاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحرير عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحرير الظلم على نفسه فانهم يفسرونه بالاستحالة لذاته كالجمع بين التقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن واقعهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يحرمه على نفسه ولم يوجب على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتنزه عنه لما فاته حكمته وكأله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتته لنفسه من الايجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كماله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وماريت بظلام للعبيد) وقال (ولا تظالمون قليلا) فاخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة بمثله في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المعطلة امتنعت من اثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في صفاته بالجمادات الناقصة بل بالمعدومات وأهل السنة نزوهه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعمت الخلال ونزهه فيها عن الشبهة والمثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الامثال فكانوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ألزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة ما لا قبل لهم به فقالوا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه والتمزوا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا انه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بأعانه على فعل المأمور كان ظلما وأنه إذا اشترك اثنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عبادته في فضله وإحسانه ظلما فمارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الامور الممتعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقاب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والافكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظلم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقووه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأنهم عبادك) يعني لم تصرف في غير ما ملكك بل انما عذبت من تملك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وبقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وبقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وماروى عن اياس بن معاوية قال: ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا التقديرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء، والتمزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلد هم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائر عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار مستعنا لاخباره أنه لا يفعله لا للمناقاة حكيمته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة اليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لا رادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون . والتزموا أيضا أنه يجوز أن يندب الاطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلد هم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معاً أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتزعه عنه فعلا وإرادة هو ما فسر به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يندب بما لا تكنسب يداه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو يبعضها إذا قارن بها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين التقيضين وقلب القديم محدثاً والمحدث قديماً فيما يترزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلماً وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين . قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه أن عذبهم فإنهم عبادوه وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يسئل عما يفعل وإن قضاه فيهم عدل ومناظرة إياهم للقدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حتى يجب القول بموجوبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى أن يعذب أهل طاعته وينعم أهل مصيئته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعها وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعدياً لحقه

عليهم وكانوا ذاك مستحقين للعذاب لأن أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا «ولأنت يا رسول الله قال» «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمن لها فإنها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكأنت رحمتهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الأمرين في الحديث أنه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالمًا لهم وأنه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم إذ رحمتهم خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها إلى نعمة من نعم الله عليه فبقى سائر النعم تنقضاء شكرها والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد إلا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته وإذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لأن حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اهـ

(المنار) أيها الأشعري أنك ترى في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الآخذ من رتبة التقليد ولا يهديه إلى طريقة التحصيل والتحديد وإن كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وإن هذين الشيخين هما الجدران بقلب شيخ الاسلام فقد أصاب من اقتبهما به من العلماء الاعلام وخلصا القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعمله ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وإرادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصاحبة للفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهدي السبيل ولا تمكفر أو تفضل أحداً من أهل القبلة إذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فَتَاوَى الْمَشَائِكِ

فتحتنا هذه الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور بما قد نمنا من غير السبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك مثل هذا ، ولبن عفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة قال لم يذكره كان لنا قدر صحيح لافضاله

❦ الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهو ❦

جاءتنا الاسئلة الآتية من جواره فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المملة ثم رأيناها الآن فندكرها سردا ثم نجيب عنها والظاهر انها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي
(السؤال الاول)

ما قولكم منع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الأوتار التي هي من آلة الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنوس وتصر بهم باتها شعار شريعة الخمر وبفسق مستمعها وتأنيبه وبرذنها (وذلك) كقول حجة الاسلام الفزالي في كتابه احياء علوم الدين ما مضاه فخر ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منك يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضا يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشرية والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة مالم يخصصه ويحرم استعمال آلة من شعار الشرية كالتبوير وعود رباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولائها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الزبيلي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواجر عن اقتراف الكبائر ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق
وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما المزامير والاوزار والكوبة فلا يختلف
في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمر والفسق ومبيح للشهوات
والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه
انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح
الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها
البلاء: وذكر من جعلتها اتخاذ القينات والمعازف يعني الملاحى من الاوزار والمزامير
(وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عد كباير الذنوب
ما لفظه: واللب بالآلات اللها المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار: وكصر يح
هو لاء الأئمة نصريح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم وانفاقهم عليه
حيث اتفقوا على تحريم الود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه
وعلى رد شهادتهم (فيل) قول هو لاء الأئمة وتصريحهم بما ذكر معتمد في
المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المنفق عليه
وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿السؤال الثاني﴾

وما قولكم منع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصريح هو لاء
الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة المذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح
تلك الآلة المحرمة كتصريح الشيخ ابن حجر في التذمة بقوله إني رأيت تهافت
كثيرين على كتاب لبعض من أدر كناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن
حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه
مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي في تأليف له
في السماع وشيخه وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة
وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصريح)
الشيخ ابن حجر في الزواجر بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبية أنه كان
يسبح سراج الود ويسمعه وأنه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف باحى كتاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذري عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وإنما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبيه كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مذهبه بتحريم العود وهو قضية مافي تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين ثقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصر يرح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيضت عنده الاوتار والعود والطنبور والمزمار

(ونصر يرح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزاجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جهوده على ظاهر يته الشيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاها من ذلك لشدة ورعهما وبهذهما من الله انتهي ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد انهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهو) (تصر يرح) هؤلاء الائمة الذين هم حلة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الاوتار وتكذيب نقولهم ممتد في المذهب ومعمل عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من انملوين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكال المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابذتها والورع والزهد

كما لا يخفى على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كل مشرع الروي والجواهر الشفاف والبرقة المشقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن سير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من اوصافهم الحيدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما قطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يستمد القوغاء بسبب هذه النسبة والاقتراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قولكم مع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمح هذا القنوس اناس من الترسعين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم القوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنوس (فهل) يعظم وزر المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ فَعَلَيْهِ وَزَرُهَا وَوزر من عمل بها الى يوم القيامة» ام لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم مع الله بكم وذنب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به السلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بمحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَنْ فارق الله وادعى العصمة فاجلدوه فإنه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ البجيرمي على الاقتناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهوهم وضلالهم فلا يعول

عليه انتهى (فهل) هذه التصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاعتوار بخلافات الاغيار ام لا افوتونا في هذه الاسئلة فان اللية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها وطارت شرورها لعل الله بنور علمكم يطفئها لا اذتم ناصر بن لشريعة سيد المرسلين وللمعاونة على البر والتقوى معاوين احيا الله بكم الاسلام آمين اه بنصه

﴿جواب المنار﴾

قد اختلف العلماء في سماع القناء وآلات اللهب قديما وحديثا وكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ماورد من الاحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ماهو الحق الجدير بالاتباع ثم نتكلم على اسئلة السائل

﴿أحاديث الحظر﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكون من أمي قوم يستحلون الحر والحريم والحجر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشكل بصورة التعليق وابن ماجه من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليشرب بن ناس من أمي الحجر يسمونها بغير اسمها يعرف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ان ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيم زمارة راع فصنع مثل هذا: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال ابو علي اللؤلؤي سمعت ابا داود يقول وهو حديث منكرو

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الحر والميسر والكوبة والغبراء وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود . وفي لفظ لأحمد انه قال بعد الميسر « والمز والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد الله راوي يعنى

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب. وقال المنذري أن الحديث معلول، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو «عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام»

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بذيمة وقال ابن الأعرابي الكوبة الرد وقد اختلف في التفسير (بالضم) قال الحافظ في التلخيص قتيل الطنبور وقيل العود وقيل البربط وقيل من يصنع من الدرة أو من القمح وبذلك فسر في النهاية. والمزمر بالكسر نبيذ السمير. والمصنف في التفسير ما قاله في النهاية من أنها من الأشرطة والقنن قيل لعبة للروم يقامون بها وقيل الطنبور بالحشية فظهر بهذا أن الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» فقال رجل من المسلمين ومضى ذلك يا رسول الله قال «إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب: أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الرافض ورأس البدع إلا أنه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروفاً بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال يحيى بن معين ليس بشيء والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اتخذ الفئء دولا والامانة مغماً والزكاة مغراً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أَرْدَهم وأكرم الرجل بخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك رجلاً حمراً وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول أن راويه عن أبي هريرة هو ربيع الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبئت طائفة من أمتي على أكل وشرب وهو لعب ثم يصيحون قردة وتنازير وتبعث على أحياء من أسيانهم ريح فتفسدهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الحظر وضربهم بالدفوف والمخاضم القينات » رواه أحمد . قال في المنق وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمةً وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق الزامير والكبارات » يعني الهراط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء . وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تملوهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦:٣١ ومن الناس من يشتري هو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحديث في مسنده بلفظ « لا يمل ثمن المغنية ولا يبيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الفناء ينبت التفاف في القلب » رواه أبو داود ومرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه إيث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النوروي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني ينافق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إماما للبحث

وقد رأيت أنه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير الله فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الإباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى) وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فأنتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد» وفي رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا « فلما غفل غزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان نائماً لم يسمع (١) وعنهما أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يعجبهم الابو » رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم هو » : في رواية شريك فقال « قبل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

أتيناكم أتيناكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الخنطة السمراء ما سمعت عذارىكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي كجلسك مني وجواريات يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفيما نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقوليه هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت علي قرظة بن كعب وأبي مسعود الألهاري في عرس وإذا جواريتان يغنيان : قلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قدر خص لنا
اللهو عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه
(٦) عن يزيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازبه فلما انصرف
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله أني كنت نذرت أن أدرك الله صالحا أن
أضرب بين يديك الدف وأتغني قال لها « أن كنت نذرت فاضربيني والالا » فجعلت
تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استنها ثم قعدت عليه . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، إني كنت جالسا وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف » رواه أحمد
الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿خلاف العلماء في مسألة سماع الفناء والمعارف وأدلتهم﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به .
وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعارف وهي آلات اللهو والدف منها قطعا
وغناء القيان وهن الجوارى المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة المعارف
بالدف وغناء الجوارى وانفقاد نذره . وبما ينبغي الالتفات اليه أن كلام أبي بكر وكلام
عامر بن سعد يدل على أن الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهولاسيا أصوات
النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس
بتحري السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة
بصحتها وضعف مقابلها ونكارتها ، وبكونها على الأصل في الأشياء وهو الإباحة ،
وبموافقها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفتنة . وهذا لا ينافي أن الانصراف
الزائد الى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت
كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد التكبر على أهل اللهو ولما كثروا أسرف الناس فيه
عندما عظم عمران الأمة واتسمت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد
من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم
سماع الفناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى
خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل
الاولطارقال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الفناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى
التحريم مستدين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن واقفهم من علماء الظاهر وجماعة
من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو
منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالفناء
بأسا ويصوغ اللحن لجواربه ويسمعها منهم على أوتاره وكان ذلك في زمن
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا
عن القاضي شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعي .
وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي اللسم : نقل الأثبات من المؤرخين ان
عبد الله بن الزبير كان له جوار عودات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود
فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فنأوله اياه فأنمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي
قال ابن الزبير يوزن به المقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن
سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فترل على عبد الله بن عمر وفيهين جارية
تضرب لجاء رجل فساومه فلم يهو منهم شيئاً قال انطلق الى رجل هو أمثل لك
بيعا من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضه عليه فأمر جارية منهم
فقال لها خذي العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة
وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الاندلسي أن عبد الله بن عمر دخل
على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك
بأسا قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص انهما سمعا
العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من
عزة الميلاء الفناء بالزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والزهري
عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواربه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة
 وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من
 التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفتي
 المدينة . وحكى الروياني عن الثقال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف
 » وحكى الاستاذ أبو منصور والفوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب
 المكي في قوت القلوب عن شعبة انه سمع طنبورا في بيت المنهال بن عمرو المحدث
 المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع انه لا خلاف بين أهل
 المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل
 المدينة قال ابن طاهر واليه ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة
 في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة
 كلهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاها أبو الفضل بن طاهر
 عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاها الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي
 ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاها ابن الملقن في العمدة عن ابن
 طاهر وحكاها الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاها صاحب الامتاع
 عن أبي بكر بن العربي وجزم بالإباحة الادفوي - هؤلاء جميعا قالوا بتحليل السماع
 مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع
 ان الغزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع
 الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفراري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه
 وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه
 بالعبادة والذكر

» قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماهم عن جماعة من الصحابة
 والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب
 البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن
 الصراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه
 (١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البهقي أيضا وحجة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الأصبهاني وعبد الله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورياح المعترف كما أخرجه صاحب الأغاني والمنيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره . وأما التابعون فسميد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسميد بن إبراهيم الزهري . وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عينة وجمهور الشافعية انتهى كلام ابن التحوي « واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكراهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحران والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقوله من القياس والاستدلال ما يقتضي تحريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آله من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة (الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث المظهر مانعه : « وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما نفيه فهو موضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد وافقه على تضعيف أحاديث الباب من سياتي قريبا . قال الحافظ في المتج وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه : وأطال الكلام في ذلك بما يكفي » اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) أن في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيّد عن يحيى بن معين أنه ليس بشيء، وروى المزي عن أحمد أنه ليس بمستقيم، ويحجب عنه بأنه من رجال الصحيح.

(والثالث) أن الحديث مضطرب سنداً ومتناً. أما الاسناد فلما تردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم. وأما متناً فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة باللفظ «ليشربن أباس من أمي الخمر» وفي رواية الخمر معملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف. ويحجب عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان أنه سمع أبا عامر وأبا مالك الأشعرين قتيبن بذلك أنه من روايتها جميعاً. وأما الاضطراب في المنفق فيحجب عنه بأن مثل ذلك غير قاذح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض ألفاظ الحديث ثارة ويذكرها أخرى (والرابع) أن لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويحجب بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة —

«وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالاته فقالوا لا نسلم دلالاته على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) أن لفظة «يستحلون» ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما أن المعنى يستقدون أن ذلك حلال. الثاني أن يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويحجب بأن الوعيد على الاعتقاد يشتر بتحريم الملاعبة بنحو الخطاب وأما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملحق إلى الخروج عنها (وثانيها) أن المعازف تختلف في مدلولها كما سلف وإذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة وغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما أن يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً

أن الحفاظ ابن حجر والشوكاني يمتثلان بأنه لم يصح من الأحاديث الواردة في حظر آلات اللهو إلا الحديث الأول مما أوردهنا ويقولان لا بأس باقتطاع سنده هنا. وقد علمت أنه ليس فيه الالفاظ المعازف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويحجب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جوازا استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر في الأصول (وثالثها) أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المتفرقة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ «ليشربن أناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتقودو عليهم المعازف» ويحجب بأن الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم الا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فاللزم مشله وأيضاً يلزم في مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ «انه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤» ولا يحض على طعام المسكين» انه لا يحرم عدم الايمان بالله الا عند عدم الحض على طعام المسكين فان قيل تحريم مثل هذه الامور المذكورة في الإلزام قد علم منه دليل آخر فيجيب بأن تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضاً كما سلف على أنه لا ملجئ الى ذلك حتى يصار اليه (ورابعها) ان يكون المراد يستحلون مجموع الامور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد وقد تقرر ان النهي عند الامور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويحجب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانياً بالأحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في اسانيدها ويحجب بأنها تنهض بمجموعها — ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها ان تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما احاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فأما ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث «ان الفناء هببت النفاق» فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في اماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: زمار
عند نعمة ورنه عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال «أما نهيت عن صوتين أحق من فاجر من صوت عند نعمة
لهو ولعب ومزمار الشيطان وصوت عند مصيبة وخش وجهه وشق جيب ورنه
شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعاً «إن الله يفيض صوت الخللخال
كما يفيض الغناء» والاحاديث في هذا كثيرة قد حنفت في جمعها جماعة من
العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حبان الأريلي والذهبي وغيرهم
«وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضعفها جماعة من الظاهرة والمالكية
والحنابلة والشافعية وقد تقدم ما قاله ابن حزم ووافقه على ذلك أبو بكر بن السريفي
كتاب الأحكام وقال لم يصح في التحريم شيء». وكذلك قال الغزالي وابن النحوي
في العمدة وهكذا قال ابن طاهر أنه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع
منها والاحديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦: ٣١ «ومن الناس من يشتري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا
الاستثناء ابن حزم فقال أنهم لو أسندوا حديثاً واحداً فهو إلى غير رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في
تفسير قوله تعالى: «ومن الناس: الآية» أنهما فسرا الله بالغناء قال ونص الآية
يبطل احتجاجهم بقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافراً
ولو أن شخصاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً
فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا
ليضل به عن سبيل الله انتهى — قال الفاكهاني إني لم أعلم في كتاب الله ولا في
السنة حديثاً صحيحاً صريحاً في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأنس
بها لا أدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥: ٢٨ «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه»
وأبي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال — الأول
أنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون
عنهم. والثاني أن اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غير اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث أنهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أنهم ناس من أهل الكتاب لم يكونوا هودا ولا نصارى وكانوا على دين الله كانوا ينتظرون بموت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان الكفار من قريش يقولون لهم أف لم تتبعم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من هذه الآية انتهى . ويجب أن الاعتبار بمصوم اللفظ لا بخصوص السبب والقول عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

«ومن جملة ما استدلوا به حديثا «كل هو يلبو به المؤمن فهو باطل الاثلاثة ملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه» قال الفزاري قلنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلوي بالنظر الى الحبشة وهم يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك الأمور الثلاثة

«أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ولنهي عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعه فيحتمل انه نجبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب أن يبيت في بيته درهم أو دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل أن تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التغيير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار فيه دليل على عدم التحريم

«وقد استدلل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧:٧ «ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخبايا» ووجه التمسك ان الطيات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المائتي الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيات المستلزمات. وبما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه. ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكمتنا بتحريم الهوى لكونه لهواً لكان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٣٦: ٤٧ «أما الحياة الدنيا لعب ولهو» ويحجب بانه لاحكم على جميع ما يصدق عليه مسمى الهوى لكونه لهواً بل الحكم بتحريم الهوى خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما علل في الآية بعله الاضلال عن سبيل الله لم ينتهز للاستدلال به على المطلوب

« واذا تدور ماحررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محمل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشبهاء والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتملاً على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال، والهجر والوصال، ومعاقرة العقار، وخلع المنذر والوقار، فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف، وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتل دمه مطول، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول، نسأل الله السداد والثبات. ومن أراد الاستيفاء للبحث فليبه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع. على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام والمكروه لا ينعقد. وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الاباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِدُّ ١٧ : ٨١ وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في الخليين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يتندروا عن
أنفسهم ، يدعى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، أن يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يملو ولا
يعلى ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، وقد يمتدح
الأمة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فتعبرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الأفراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه مازفر ، ويعتدز عنها بالقوة إذا هو غلب
وقهر ، وهذا القور من الإنسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل إلينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على
الحق ، الاتك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلا ، وهي لا تصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غلب الحق لما كان حقا . والحق أن
الحق قد يخفى ، وقد يترك وينسى ، ولكن ماصارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وأما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا
يثبت أولا يتحقق له في نفسه وما لا يثبت له ولا يتحقق لا يحق ما كان ثابتا متحققا

كلهم الشآن في الوجود والمعدوم والمعلوم والموهم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية ، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المطلوب ، وإنما نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول إن الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية ، الوجود والسنن الكونية (٢) السنن الاجتماعية (٣) القوانين والمواضع العرفية (٤) الدين والشرعية الإلهية (٥) الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم الحق والمبطل فيقول من يظن أن الباطل يغلب الحق أن كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر العلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك أن الباطل كان هو الغالب فإن كنت تقول لا عبرة لا بغلب دائم ، فأنك لا تقدر أن تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في إثبات قوة الباطل وظهوره على الحق أن يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وإن كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأوغلها في الابهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله إلى إحدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . ويبان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إقادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وإنما هو موقف أو باطل يمارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين إلى اليقين الديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان الغلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العليا وغير السليما ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول إن في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقا ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النجوم من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فاذا كانت المقدمات مسلسلة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فاذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه الى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسله من المقدمات - لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجئت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصص بهذا المقال الى غيره مما يرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كل وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والحقيقة فهو حق والحلل فيها باطل لا يتحقق له، والحلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفئات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣٠:٦٧ « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٣ « الذي أحسن كل شيء خلقه » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والحلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب الى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بمقائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بجهلمهم وباطلهم وان كانوا يجملون ان علم من سادهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وأنهم هم بجهلمهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » ويقول ٢٢: ٥ « وخلق الله

السماوات والأرض بالحق ولن تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» وفي معناها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بأن سمة العلم بالسماوات والأرض من الحق الذي تعزبه الأمم، وإن جهلت الأمة وهلك، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

لكون سنن في تكوّن الأحجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نمو النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الأجسام وافتراقها وتحللها وتركبها وهي ما عيناها بالأصل الثاني . وللبشر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسرون وفيها يتقلبون قوتهم وضعفهم وغناهم وفقروهم وعزهم وذلمهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لا تباع سنن الله في السير على أحد الطريقين المتتار إليهما بقوله تعالى في الإنسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتنكبهما خروج عنه إلى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الأمم، هم الآخذين بأطراف السعادة من أُم، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وإن كان الغالب القاهر مبطلا في شيء آخر والمغالوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لا تبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعمدوا فقد مضت سنة الأولين» أي فانه يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الأمم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلت سنة الأولين» وقوله في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بهذه الآية «إن يمسككم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس» الآيات

فهذه الآيات اليبينات حق وما ترشد إليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الأمم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الارض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً فتستبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك وان يكون . ومن العجائب والمعائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم بعده رجال الدين منهم بنانيا على الدين صادراً عنه لاسيا اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الازهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتاع صدّاً عنه وجناية عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهذية بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦: ١١ «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» ففسروا الظلم هنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبه امرأهم ومولوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منسب لانه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العادل والعمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أهم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتركيا مادامت الأمة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقاً في عرفها حاققة له فإذا رجعت الأمة عن عسرها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يمس ذلك حقاً لأن حقيقته لم تكن لذاته وإنما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوربا على الممالك الشرقية وافتياها على حكومات هذه الممالك تركيا فساد دونها وقد علم من القوانين العامة أنه ليس لدولة أن تفتت على أخرى في إدارتها الداخلية ولكن أوربا تفتت وتطلب فتهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي أن أوربا سلبته من تركيا في مصر أو كريت مثلاً ما أن يكون حقاً طبيعياً يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقاً عرفياً يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فإن ادعى المدعي الشق الأول فأننا نمنع دعواه ونقول إن سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تليط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والإصلاح في الأرض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الأمة المستقلة العارفة بحقوقها التي القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوربا فلا حق طبيعي هناك. وأما الحق العرفي فقد قلنا أنه ليس حقاً ذاتياً وإنما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد اتفقت الدول الكافلة للقوانين العامة على أن لا تعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تفتت عليها بحكمة حتى لا يفضي الاقتتال إلى الحروب، التي ينحسر فيها الغالب والمغلوب، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى. وذلك أن دول أوربا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسيادة، كما تقدم البيان مؤيداً بالقرآن، فإن قيل إن أوربا تظلم في البلاد التي تفتت فيها: قلنا نعم ولكن ظلماً دون ظلم حكام البلاد المفتت عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم يستن الكون
وستن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حقاً أضف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظالمون في الحق غير الحق ان القضاء بظلمهم ووكلاء الدعوى يحياهم
وختلمهم كثيراً ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : وتقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلاً والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
الحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحججة والحجة ولم تنس ما قلناه فيها عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فاملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح
وإنما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسمين ، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ اتمد خلقنا
الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله باحكم

الحاكمين

أؤكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الانسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا به عهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الحواس ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميز به بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوه المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب والجهل من الباطل وبه ردة الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعته ينجون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطئ في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعدة للفطرة والعقل يحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نشه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهروا في معاهد منبت التين والزيتون وطور سين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصلاح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملنا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو مر يد تختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجتماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يصبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينا الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض « وقوله ٧١: ٣٩ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع وريع وصلوات ومساجد النخ وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل

السيل زبدا رايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاً ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » . والآيات التي افتتحنا بها هذا المقال . وبمثل قوله ٤٩: ١١ ان العاقبة للمتقين » وقوله في السحر الذي هو باطل لا حقيقة له ٨١: ١٠ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الحق بكلماته » وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٨٦: ٧ وانظروا كيف كانت عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فانهاق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذهاهما وحدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفعول على تغليب الحق على الباطل لولا ما يمرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلته عنه

ذكرت لصديق لي هذا البحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني أنه يخطط عن الحكيم السيد جمال الدين الافغانى تمثيلا في مصارعة الحق الباطل معناه أن الحق كان يصارع الباطل وبصفقه فرأى الباطل ان لا طاقة له به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكبدوا للحق كيدا فجاءوه بالقول اليه السلم ويدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جهيل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهيلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوة العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقالهم عليها خوفا منه والباطل يسرح ويرح أننا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينها ولكن الحق ما عسى أن انتفض انتفاضة نفس بها أولئك المشاقلين وخروج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الأرض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافئة للحق

(المنار) إزالة الامة الظلم الحكومة . إزالة الاجانب له . الحق في الدين ٣٩

دائسته فيكون باطل الحكومة غالبا لبطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم ونقش
وذاق آلامه الجاهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل
الحكومة الظالمة فوجد له وربما جند لها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة
الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادلة أو ظالمة فنفت بها وتخلص ظلها
ثم يكون بقا الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون
إلا سنة الأولين فان تعبد لسنة الله تبديلا ولن تعبد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا ثبت أن الدين في جملة حاجه طبيعية للبشر وان كانت أحكامه
التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون
فيها قاعدة الأصلاح والانفع لهم . فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين
(أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب
موافقة للفطرة في تقويم الملوك وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي
بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنن الاجتماع وقواعد
العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيها) كون عقائده راسخة في عقول الأمة
مؤثرة في قلوبها ، وآدابها حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامها محترمة عند
أمرائها وجهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع
الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الامة في الاعتقاد
والعمل ولاهله القلب والسلطان على من يناصرهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم
عنه من المصلحين لإنه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي العواين
والمواضعات العرفية التي تسنها الامم لانفسها وتعتقد أن فيه خيرا وحفظ حقوقها
كما تقدم وإما ان يتفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما تنق له
أحدهما فقط كحساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه
والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا
نصر المؤمنين * ولكن هذا البصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧: ٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥: ٢٤ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم — الى قوله — ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الأرض

ويقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨: ٤٢ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انتصر بعد ظلمه فألئك ما عليهم من سبيل * ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيفون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبروا فخر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥: ٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٥ : ٨ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام بالقسط دائماً وهو العدل وبالشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غنى ولا راحة فقير مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣: ١٤ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤: ٣ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك الظالمين والمفسدين كثيرة جداً

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينسبون إلى الإسلام وإن لم يقوموا بالقسط والصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يميز هذا الكتاب الحكيم لدعي الانتماء إليه بالقول دون العمل إذا رأى استيلاء الأوربيين على بلاد المسلمين والافتيات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول إن هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلانا لا يميز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الأمم بالشرك إذا كانوا مصلحين في الأرض بالعدل وسائرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الأمم الظالمة معها كان اعتمادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومثلها كثير وأعظم عبرة للمسلم انكسار الضحاية مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الاجتماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥٣ أول ما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتى يرجع وما أسرع رجوع المؤمن إلى الحق إذا زل عنه

لهذا أقول أن الوصول إلى حق اليقين في التوحيد ينفي الإصرار على الظلم ، والتمادي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الإسلام الأعمال الصالحة بعد ترك المفاسد سبيجا للإيمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتناء ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المدع بقوله لعقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواء ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والأحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥ : ٣ فلا تخافوهم وتخافون أن كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سننه في الأيام بداولها بين الناس ٩٠ : ٣ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلنون أن كنتم مؤمنين * فهل تنطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم أن يتهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبدلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والارض يمدون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * ١٥ : ٤٩ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو لاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأيدته « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسنته في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الامر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بمبدله وسلط عليهم من هم أقرب الى الأخذ بسنته منهم كما توعدهم بقوله ٢٠ : ٧ وأطيعوا الله وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الاتيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبتكار المسائل التي لم يفتقرها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتمينا فيها بمهياة القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الازمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم ، والآيات المينة لسنته في الأمم المستنحة للإهلاك والاذلال ، ويمرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتحلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأُمِّي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحى من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقى البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ سنر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا انهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فمما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعو اليه، ويجمعون
 الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فليعلم ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وأن يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المطالبين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، إن الاسلام لا ينصر في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجي في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله بقضي بالحق وخسر هناك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ، فهل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 نعمالي قوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تقفوا بآيديكم الذي اليه
 تنسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩:
 ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتجنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٥٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أنذرکم ما حل بهم لعلکم تعتبرون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليکم کتابا فيه
 ذکرم أفلا تعقلون * ١١: ١٠ وكف قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها ركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترفتم فيه ومساكنکم لعلکم تستلثون * ٤١ قالوا يا ويلنا اننا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا عيين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لها لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

أثر علي بن الحسين

﴿أجابة سؤال﴾

﴿أو نقد شرح ديوان أبي تمام﴾

لاديب متفكر ، تأخرت عدة أشهر

للقد على العلم فضل يذكر ، ومنة لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد محتنيه ، وإذا أبيع النقد في أمة واستحب ابنائها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها إلى بحاج المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشمرون بفوائد النقد وما يعود عليهم من ثمراته الشبية فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها وبيان صحتها من فاسدها وبالامس اطلعت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المشتغلين بالآفة تقدما علقه عليه من تفسير غريب وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عين جائرة لمن عثر فيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعة ، واستدلت منه على كبر نفسه ، وعلو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وها أنا ذا قد أجبت سؤله ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم نقد ماتبين لي انه رمي في تفسيره الى غير معناه ، وحمله على غير ما أراد قائله منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عاثر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(المأثر الساقط والإقالة الأخذ باليد) * حقيقة المأثر ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط وإذا عثر قبل له لئالك أي انتعاشا ونهوضا . قال في الأساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجده عثوره وعثا زمان المرء وعثا جده

* نودع عبارة الشارح المتقدمة بين قوسين ونضع إزاء كل بيت عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحول حاله ومفاجأة النوايب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز العثار . فقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سي . يقال خطب عاثر أي سي . فطبع منكرو . ثم قال ان رأيي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقة وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازة كان المراد بالاقالة مجازها ونفسير الشارح لها بالأخذ باليد ليس من حقيقة ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنعشه ونشطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الاقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتموا فنا خالد من غير درب لكم درب
(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حوالها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا . والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت
(أيت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأيت بقعة تبوأها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * باي كتاب ام بأيت سنة * وورود لأيتا بمعنى توقف وتمكث لا يجوز لنا استعمال أي بمعنى أقام كما لا يجوز لنا ان نقول يا بالمكن بمعنى تبوأ وإنما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مربوطة ابتداء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)
(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بعد دؤره وأنهج سبل الجود حين تعفت

(أنهج قوم) أنهج السبيل أوضحها وأظهرها بعد غفائها واضمحلالها . وقومها عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الغيا به وانفرت جلايب جورعنا واضمحلت
(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعت وانفرت الأديم

انشق وإذا أسند الى مثل الجلابيب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تقرئ الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا التبيل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جاؤا الصخر بالواد » فاذا قيل انحابت الظلمة أو انحجب الظل
فسر بانكشف وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا منمت جفوتك ان تذوق حثاثا
(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أو نحو نصفه أما الموهن فمعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أو نحو نصفه لا الضعف . والطارقات المليات ليلا فالموهن في البيت بالمعنى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردى شوب فيناها الأثيث
(فيناها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيهاً له بأفان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفينان من الفنن وهو الفصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوبا من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة تطلم الدنيا لئازحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما بحرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة
والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت أغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم قفوح منك واردة تكاد تفهمها من حسنها البرد
(البرد المتبادرانه جمع برده وهو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقلا عن الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فمر بوا « بريده دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكانوا يقطعون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريدا ومنه قول بعض العرب الحى يريد الموت والحديث « اذا ابردتم الي بريدا

فاجعاه حسن الوجه حسن الاسم» وسميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع آلايات» وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار الممدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المنآد والمتقصداً (المنآد المتحرك) أود المود اعوج وآوده واوده حناه وعطافه فناؤد وناؤد انحنى وانمطف والمنآد المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرماح التي يوشح الطعن بها فنفا ما تكسر ومنها ما اعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعونا به بالجلح ايمن دعاه ولم يظلم بالجلح انكذ (اجلح شديد مقدم) يقولون يوم أجلح واضلع أي شديد وقالوا جلّح على الشيء من باب فرّح أي أقدم عليه أقداماً شديداً وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي منه التفضيل على افصل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس كالصاع أو اخف منه يريد الشاعر ان الممدوح الذي فتك بيا بك ان كانت جلجته مباركة علينا ودعونا لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشوومة على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكذ . ونسبة اليمن والنكد الى الصلابة معهود كنسبتهم الى الوجه والطلعة (له بقية)

﴿ التقرّيط ﴾

﴿ الحصون الحميدية » لمحافظة العقائد الاسلامية﴾

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى وعلى الجوهرة وآخرهم الباجوري فويذكر من صفات الله تعالى ما هو سلي كالقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود والمعدم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني من التعلق ما ذكرها حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطال في باب النبوت أكثر مما أطالوا فذكر أشهر معجزات الانبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو أنها جائزة عقلاً إذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدرة الله صالحة للتملق بإجاده وقد أخبر الصادق أن ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه أيضاً ورداً لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها إلى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام . قال ان الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فتحن نو من به ونصدق :

أقول ان مسألة ردة الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المراج وورد في رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه في الآلئ وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعلي صليت قال لا قال « اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولاك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي دعي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس ليوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بصيغة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدة من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبيا وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار العجزيات لئلا يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات . فهو يقول

مادامنا نؤمن بقدرته الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان نكسر شيئاً يؤثر عن أصفاء الله تعالى وان كان مخالفاً لسانه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه الحارقة بعد التصريح بإمكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الأرض هي التي تدور لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر أخذاً بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها: قلنا ان القادر على إيقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله ثابتاً للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس المادية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد اويوشع) عليهما السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الحارقة للعادة التي ينشأ عنها اعتداء أولوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان الذي يحياها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت أولوف وتمكينهم بالإيمان من آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداه وتصويرها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في المظلة حصول تلك الحارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل تلك الحارقة لأجلها . على أن ذلك الملحدين نظر الى مجرد عظمة تلك الحارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الحارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلامهما تحت تصرفه ومشيتته ولا يعظم شيء منهما لدى عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الأرض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطلب وقوف الأرض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الامر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يحجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الأرض ولم نسمعهم يقولون طلعت الأرض أو غربت أو وصلت الأرض لمقابلة نور الشمس أو فارقتها وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهراً تعطيه الملاحظة اذا علمت ما قررناه ، واندفعت عنك تلك الشبهة بما قررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمنّا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على إيجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألوف من الانام ، اه بحروفه

ولا يحسبن القاري أن الاستاد المؤلف يحكم بأن من أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام بعدم ملحد التفسيره عن المعارض بلفظ الماحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الأحاد وان صح سندُه فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضاعاً أو منكرنا باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحد اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشيء ثبت عنه عنده ثم ينكره لعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الاحاديث لعل في روايتها أو روايتها أو متنها ككونه لا ينفق مع التاب القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعله من ذلك لا يمد ملحد ولا مبتدع ولا عاصي ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلاً مما يشتهر وتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجيح عنده أن من جرح روايتها ولم يقلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان هاذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيده رواية

الحديث فيها اذ لم يرد أن كافراً آمن لاجلها أو ضعف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب المصاحبة ونحو ذلك فلو تحدي بها لرجي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل روايتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضع السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو نحوها أو ازالها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وإن الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبدله قول فلان عن فلان في رواية مطعون فيها من المحدثين ، فهي لا تفيد الظن فضلاً عن اليقين ، وانا نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحيدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السميات . وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم . الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله من لاعلم لهم بمحقق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الى انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجمعا عليه معلوماً من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصنم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وعن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفرنجية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذها الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكفنة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف عمك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الجلد التاسع) (١٠)

(الروايات الشهيرة) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجلال كالمجلات الشهيرة وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في غيره . والقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونعني بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . ومن النسخة الواحدة منها ستة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتب العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي المراري من عمال نظارة المعارف ولم تمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتها لنبي فيهارياً . فاكشفنا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . ومن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الأستاذ الإمام وبترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجوها العمر الطويل ، ونشي على صاحبها (محمود بك حبيب) الثناء ، الجليل والمجلة شهيرة يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في غيرها

(الآباء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في خارجها فتعني لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحى الصيدلي وهي مقبلة كصاحبها فتعني لها الزواج وترجوها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالمداخلة عن الاوقاف فتعني لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِسْلَامِ

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأثير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ماأضافت وكتب اليها بعض أهل الغيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسعاد الدعوة إن وجدت . ومن ذلك ما كتب اليه بعض الفضلاء من ستغافوره وهو :

« قد أسرتني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحيينا أن نكتبه ونمن بما تقدر عليه فوصلنا منه ما ترونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجوه اليانا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يؤلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فعسى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالما بمخمصة آلاف روية لينسحب الى جابان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الاخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نبأه عن أنامل سطرتها ولكننا لانوافقكم في أن سروات مصر لا يكتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتبون سنويا لعيد الجولوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعاق بذهنه فضلا عن أن يشيب على ذلك فن لا يبتذل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا نزيدكم توصية بالتكرار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيفقدون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الفيت قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارة قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ما هو محرز بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابة بعض عبارات في مجلة شو كيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلا آخر شرحكم فهمناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيركم الحية عليه ، غير أنه قد تمنعنا من ذلك لعلمنا بعدم وجود هكذا شخص بالصين أهلاً لذلك ونأسف كما يأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس إليه « ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفاي حسين) وعلمه هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كلم يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزا كا ومنها الى ناكارا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان ولقاء بعض خطب بهذا المعنى والآن نجعل محل اقامته كما نجعل (ادريسه) لأنه يمكن نحرره بالاسم المشروح أعلاه بالانكليزي الى بوكاهاما أم ناكارا كي . وغدا إن شاء الله سنحرر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تائبين حائرين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه إلا أسماءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جداً وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط على مذهب الشافعي . . . وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لاننكر وجود جملة اسلام بعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ووجد عندهم المدارس العالية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو - شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكررنا اهدنا ووفى وألف بين قلوبنا انك سمع مجيب . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهر انه يريد بالجبان اليابان وبالأدريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الفراء مترجمته :
 حضر من أعيان الهند وعلماء الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة
 نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها
 المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائعة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد
 الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء
 أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين
 اللادبي مس ريندلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء . وفي
 اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرطة
 اياها أحسن تقرير وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وسرور عن
 التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحنا الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اهـ

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصبي هو الجرائد الألمانية
 ولاندرى من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي للاسلام هناك
 صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من
 أهل الصين ومن لنا من يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعنا نجد فيها ما يطمئن
 له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في
 أن هذا العمل الجليل لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت
 أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم
 وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني
 والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات
 المبشرين عند النصراري ؟ يظن صاحبنا الذي كتب لنا من سنغافوره ان
 المصريين وحدهم يخططون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس
 الجد على الهزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في
 المصريين لأمثلاً ولكني أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تصافر المسلمون في كل
 الاقطار عليه . ويرجى به مد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب الهمم العالية والغيرة
 الصادقة ان تصير ائمة به عامة وأن ترقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمنح من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لا قد فسدت فطرتهم فلارجاء فيهم ، ومنهم من لاهم له الا الاسراف والتبذير في سبيل الشهوات واللذات والمنفعة والزهو والخيلاء وأكثروا من عبادة الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته ، وتحسن خاتمته ، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فينبى مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفرقا أو يوقف وقفا على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وإن كانوا قادرين وإنما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الأعمال العظيمة فقليل ، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل ،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) انا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما ندكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءها غير الماهرين في التلاوة وقد نهينا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما يدكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٩ : ٢٥ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجمعه في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عد مشتركاً الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يني بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شذ فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذباً

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا لنا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركينا سنا فوراً وجاؤه ولهذا أن قيمة الروية الورق (بنك نوٲ) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الرويات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق (٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنواته غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك . وقد حظرناعلى التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئاً من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكيل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبوخطيوة) فقد كتبنا اليه نأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يجر جواباً ولعل له عذراً يظهر عن قريب . فخرج من فضلهم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نبداً من المباحث الادبية منظوماً ومشورها ونذكر في الجزء الآتي كلاماً في المغرب الاقصى ومسألة العقبة وما شاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ومحسن الظن فيه فنخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقباب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلاب الا أن يكون الطالب لنفسه أولغيره من أصحابنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم إلى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم أن هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وبتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحتقر من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الأحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لالتربية العامة . فمن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يستعجب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فأنهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف إلا من شذ . وإن أكبر خدمة تقوم بها الجمعية الخيرية الإسلامية لهذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرحى بها أن يكونوا صناعات وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الأموال والأعمال

كنا ظننا أن اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فإذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وكمن عامل ترك العمل لأن رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي إلى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يسكون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فمن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسره بأهمال العمل إلى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تبلغ البلادة والحماسة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليفيظ صاحب المطبعة وهو أحوج إلى أجر هذه الأيام من صاحب المطبعة إلى عمله بل إلى المطبعة نفسها . ويسرع على أذكي الأذكياء وأفصح البلقاء أن يقع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقفاصهم المحيطة بأدمتهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتزام . فبنا للمتفرجين المجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لجام ، فاستحل أكثرهم الحرام ، وخزيت بهم الأنعام ، — هذا وإن تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا متنازع بعض العمال عن العمل أياماً وسيأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك إن شاء الله تعالى

يقضي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

بشر جادى الذين يشتمون القول فيبشرون أحسنه
ارتلك الذين هدمهم القهار ولكم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«منارة» كنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاري في بطلان مذهب القدرية والجبرية وهم
الضالون في الإفراط والتفريط مانصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية التفاهة، ولم يفرطوا
إفراط الجبرية المحتجبين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب
الاشعري ومن واقفه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فذهب أهل
السنة كافة إن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره
لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير
مجهور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم إن الاشعري ومن واقفه
منهم أثبت للعبد كسباً ومعناه أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما
مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن واقفه من
المتبعية للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي
وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون إن الله تعالى فعل
عندها لا بها ويقولون إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري إن الله

فاعمل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أنبته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور المعتزلة ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة مشككة الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدوي خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكي عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجندی ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس بالمشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجع أحد المتأثرين بلا مرجح

ومذهب سلف الأمة وائمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والعقل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانه فلا يتم أوجه الامع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقتوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصرف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه القمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقها منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تنضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨) هذا من عمل الشيطان وقال (٦٣:١٨) وما انسانيه الا الشيطان مع قوله (٧٨:٤) كل من عند الله وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وأن العبد فاعل لفعله حقيقة فهو لهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فانه خالقته وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والمعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهنم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان ساء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلاً له محدثاً له قال تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعرى كما بي اسحق الاسفرائني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطابع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيى به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطابع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في الجادات (وأخرجت الارض أثقالها) وقال (وأهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (ندبر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغبض السماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كززع أخرج شطاها فأزره فاستغلف فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جداً

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصاً مانصه : ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وارادته إيجاباً كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرة الله من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ ام'م الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه النبي فلا يقدح بخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل سيئ مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد نقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومشيهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تنعزض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكثهم من التوصل الى أمثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولودعت أن نلوا لآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع الثيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما يبط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديم وعصيتهم وأيتهم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم الملل وأرسلت الرسل وأوضحت ההجة لئلا يكون للناس

على الله حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب
 إثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
 جهله ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
 بما جاء به المرسلون فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في
 مقدوره أصلا وإذا طوّل بطريق يتعلق بطلب الله بفعل العبد تخرجا وفرضا ذهب في
 الجواب طولا وعرضا وقال الله أنت يفعل ما يشاء ولا تعرض للاعتراض عليه
 المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلفه حق
 أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
 وتقيض الصديق وقد فهمنا بضروورات العقول من الشرع المنقول أنه عزّت قدرته
 طالب عباده بما أخبر أنهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم إلا مبلغ الطاقة
 والوسع في موارد الشرع ومن زعم أنه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
 للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
 ألوانا وإدراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال إلى التزام الباطل والهمال وفيه
 إبطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فإذا لزم المصير إلى القول
 بأن العبد خالق أفعاله فإنه فيه الخروج عما درج عليه السلف الأئمة واقتحام ورطات
 الضلال ولا سبيل إلى المصير إلى الوقوع في أن فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة
 فإن الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادريين إذ الواحد لا ينقسم فإن وقع بقدره
 الله استقل بها ويستقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل أن يقع بفضه بقدرة الله فإن
 الفعل الواحد لا يفيض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها إلا مرشد موفق إذ المرء بين
 أن يدهي الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه إبطال
 دهوة المرسلين وبين أن يثبت نفسه شريكا لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الأقسام
 يجهلها باطلة ولا ينهي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل
 معنى وذلك أن قائلا لو قال إن العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب
 تعالى مخترع خالق لما العبد مكنسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الأقسام
 المذكورة على هذا القائل فلا يجد غته مهربا— ثم قال يعني امام الحرمين— فنقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعاً لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديراً وخلقاً فإنه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فضلاً للعبد وإنما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فإذا كان موقع الفعل خلقاً لله فالواقع به مضاف خلقاً الى الله تعالى وتقديراً وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة فإذا وقع بالقدرة شيئاً آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اختلفت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبداداً بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلاً وأضلاً (قال) وبيننا وبيننا عنهم بتمريح المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهما اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاختيارهم وانصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداءً ومقدورها مضاف الى مشيئة وعلمها وقضاء وخلقها وفصلها من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولولم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوفه ومن هدي لهذا استمر له الحق المين فالعبد فاعل مختار مطالب بمأمور منهجي وفعله تقدير لله مراد لمخلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلاً شرعياً يستروح اليه الناظر في ذلك فتقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق ممزوع الى السيد من حيث ان سيده اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويمنع على الحافة ويحاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا حياء فيه لمن وعده حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا انه عصى فتد انفراد بخلق فعله والرب كاره أفمكن العبد على هذا الرأي الفاسد من احواله في التدبير موقفاً ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره؟

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شمس

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصرّحه في غير موضع بأن العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده أن العبد ليس مستقلاً في إيقاع أفعاله بمجرد شئته وأن لم توافق مشيئة الحق بل إنما تؤثر قدرته إذا شاء الله ذلك ومكسبه منه وهو المعبر عنه بالأذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا وأنت فيه سابق رسالة سماها الانتصار لإمام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولاً وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه أن النقل عنه بالتأثير بالأذن صحيح خلافاً لما أنكر بثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقل شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى «وماريت أذريت ولكن الله ربح» من غزوة بدر واعتقاد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وإضافته إلى الله وجعلهم ذلك أصلاً في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد فبسط الكلام في إثبات الكسب على طريقة إمام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة إلى أن نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسباً دون كونه موجوداً أو محدثاً فكونه كسباً وصف للوجود بمثابة كونه معلوماً انتهى وفهموا من ذلك أن لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد أنها مصاحبة غير مؤثرة قصداً إلى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وإنما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الإفراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بأن لقدرة العبد تأثيراً ولكن بأذن الله لأعلى الاستقلال فاللائق أن يفسر كلام الأشعري بما ينزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصاً في عدم التأثير فإن أوله يدل على أن الكسب واقع بالقدرة الحادثة والواقع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي أن لا تأثير لها حيث شبهه بتملق العلم بالمعلوم على أن الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على أن

الكسب عند الاشعري تحصيل المبد بقدرة المؤثرة باذن الله ما تملقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به مؤدى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة الموعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتقد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرائيني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا لواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء - وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن لهن ذلك ولوسط بموضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للمبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للمبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لاستقلال وهذا التمكن هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محتجقي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اهـ

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسبباتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يحتاج المسبب عند السبب لا به وأن المبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن
أكبر أنصار مذهبه وهم إمام الحرمين والأسفرائني والغزالي قالوا بخلاف ذلك
فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل نحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل
الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الأشغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح
يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون النسخ
في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملاً كما نفتقد ولتعلم
هؤلاء المساكين أن ما يقدفونه به ليس إلا حصى لا ترحح طوداً من مكانه . ولولا غفلة
المنجمين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمون بها ظناً منهم أنها تؤله .
القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير
نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب .
والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٢ «ما ننسخ من آية أو ننسها»
لاية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي يتنها
شبه خلاف تسمك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة
في التفسير إلا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في
كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم
كأبي مثلاً يقول أبي لأدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بذلك أنه لا يترك حكماً بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد
في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضنا علي وأنا لنضع
من قول أبي وذلك أن أبا يقول لأدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى « ما نسخ من آية أو نساها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الإسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم دليل يعتمد به على صحة مذهبهم . ومنفسر ان شاء الله الآيات التي توهوا أنها تنفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع ما أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا حمل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لهم فاهم أولوهم واهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقديم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية المدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار إليها زالت أولا ولم يبالوا بأن ذلك يناقض حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع . انا لا ندرى لم كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٥٣:٥٢) جعلناه نورا هدي به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان هذا نسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجيب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الآيات الفسادية نسخت بالآيات الفلانية !!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات ؟ ولم يتركون دعواهم النسخ في آية اذا تحققت أو لا تعارض بينها وبين غيرها ؟ غلّا الناس في هذه المسئلة غلوّا حتى انهم أرادوا أن يجعلوها فنا من الفنون التي تولف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أصناف (١) منسخ لفظه وحكمه معا (٢) منسخ لفظه فقط (٣) منسخ حكمه فقط . ثم اتفقوا على كل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر إليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

لكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا واقته عليها القرآن فيختلق ما شاء أن يخلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الفلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعواه . فهل بعد ذلك ثقی بأي رواية لم تتوارى في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه . فالخطوة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند الاعتقاد أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر ورفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء مما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا الانسخ الا في الامر والنهي تجددهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جعلها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحتب أن يكون له اثني) الى آخره . ولو عتل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت والقرآن على ذي ذوق وهو أجني عن المسلمين لحكم أن قائلها لا يمكن أن يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون » على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الأحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتمد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والمؤذنين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يصح بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواء فكتبه له كتيبة الوحي وكتبه غيرهم لأ نفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعتها هو
ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك
ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما ولي عثمان الخلافة أمر بالاعتصار
على لغة قریش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتب المصاحف بهذه اللغة
الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ . وكان
ذلك بعد وفاة النبي بسنتين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعملتها الصحابة
رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظون للقرآن في صدورهم وفي صحتهم فوافقوا جميعا
على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طابع العرب وشدها تحقق أنه
لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولاثيرت حروب وأهقرت دماء . ولقتل
عثمان لهذا السبب . ولوجدت . مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل
شيء من ذلك . مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى
الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديما وحديثا
شرقيها وغربيها الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويبين على هذه المصاحف
آلاف الألوف من الحفظ في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ
القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الاحادية يجب رفضه
ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي تؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ
بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك
فعلیه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة
ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فاجبت بها الاهواء ، وتمددت في شأنها الآراء ،
لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب ككثيره مما نبى على حكايات
رويت بالروايات السانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بملء تكفي لضياعها
أو الخاط فيهما أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها
فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام
كذلك الأديان لحق لأهل الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الأحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كاحاديث المعجزات العكسيرة وغيرها لا الوجبة لاطعن فيه فقط لما ضربنا ذلك شيئاً . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفراه مع أنه لم ينكر أصلاً من أصول الدين . فليترك الله عقلاء المسلمين .

كم من دخیل دخل في رواية أحاديث جميع الاديان والمثل ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوماً . فها هذا الجود يأمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قسا يضربنا به .

ونرجع الى تعميم موضوعنا فنقول أما ما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئاً ولذلك أذكر هنا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأتكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي القليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: (فإذا انسأخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا أنها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلاً لوجدوا أن أكثر هذه الايات مشمرا بالتوقيت والنهاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتاً . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلاً قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدغ بما تومر وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائماً فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاستبصار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيد الاطمانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويقتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يراعي لهم عيالا ولا يرقب فيهم إلا ولاذمة . لما تحققوا ذلك وقبوا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأثور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد وفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جازا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا معارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خستنا فمجب أولاً اللين فان لم ينبع فالشدّة . الا اذا خفنا أن يضع اللين مركزنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثير افعال (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم) وقال - ولأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتکم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وترص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألة القبله - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وانما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠: ٥٣ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليله المعراج ولا ندرى جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كروايه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧: ٤٨ (لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرويا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رويا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وانما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية . وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * ٦٦ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * » قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للأولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا يخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جداً حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواضح ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطال هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركبت

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدمه الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكان واحداً منهم شق عليه ذلك فقال : هل نمثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) وهذا كالتعليل لعدم إيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط مؤقتاً إلى أن يقولوا . فكانه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين وبعدكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول لأنه يقع في الخضم على القتال فأتى به بعد قوله (حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ) وقدم اللفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكانه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال .
 (الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم .
 ١٣ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون . والمعنى أن الله ندبهم إلى تقديم الصدقات للقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شئوا منهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) أي إن من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أمام من تركه بلا عذر فالله يلومهم ويؤنبهم ثم قال (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استهنام بمعنى النهي كقوله (أنفثوهمم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فإن الله يخلفها ويحازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي إن تهانونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه إن تركتموه فلا تهانونوا في الواجبات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فإن الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فإن قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهانونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣ : (إن تهانونوا كبراً ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦: ٢) ما نسخ من آية أو نسيها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما نسخ من آية نعيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها وترك تأييد نبي آخر بها

أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنحها جميع أنبيائه . وهو رد على من يفتري معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٠١: ١٦) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والحق أنا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا انما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم بما ترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم مانسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله وحملته دينه للخلق جميعا . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٢٤: ٥ انا نزلنا التوراة - الى قوله - ولا تشعروا بأي شيء منا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الأحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٤: ١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم تعبدون ١١٥) انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ه) الى أن قال (١٢٣) انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وهذا واذا سلمنا أنه المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد : انا اذا بدلنا آية في موضوع مَّا بآية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كتقصص القرآن ومحااجة العرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضاً وتضارباً وقالوا إنما أنت مفتر كذاب والالما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشئ عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدي وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فلي هذين التفسيرين السابقين لا يبقى للبدعي النسخ حجة ما في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فسامحوا قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الخيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه أنه لم ينهض لهم شيء منها فأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فياقوم كما كفاكم ما حلتهم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتهم أكبرا الصادق عنه ، هذا كما الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مشارشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطال اللغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والفرض الاول للكتور محمد توفيق أفندي صدقي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه بعتة مصححة ما ذهب اليه ما هو النسخ في القرآن كما بي مسلم المفسر الشهير . وأن لنا كلاما آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليس بنا أن نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويصفي بفهم القرآن والاهتداء به وأن خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونعتقد اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة . لك تقبل منهم باحثهم واستنتهم مع الاحتياط والسرور ، والله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تنفذ وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ تولد الخلايا وكثرت فيها الموت حتى يهلك الجسم فتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي تعمل خلايا الجسم الحزئية تتكون خلقا كاملا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلاها وانما اجبا بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالحللايا والكبرى كالشجر والبقرة على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلم يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعياته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالانابة والتربية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكة لقوة الحياة أو لذهاب بها مادام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معاملة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويعرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضة له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوالم التي تمرض الحياة أفرادهم فبعضهم أو قتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاستقام كالشجر والحيوان الأعجم
ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما أن لحياته الشخصية امراضا وان
معالجة الامراض الاجتماعية أعسر، والتحقق بشروطها أندر، ففي كل جيل من
الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين، والصناع
الماهرين، وقد تمر قرون وتطوي اجيال، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال، ولا
يمت طبيب اجتماعي في الأمة، يرفعها من الحضيض الى القمة،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون
حياة الخلايا في الدوح، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلما يعوزها
شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما أعدتها حكمة التكوين له من النظام
والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا
فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر، وافراده حينئذ
يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره
وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي
ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف
اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لا تنقل الامم من
طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هذه الامة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أنبائها الى المملكة
فانحما فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العدل
ويعمر الأرض، ويؤمن الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من
غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلًا فشكاه
الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جيلة

بن الأيهم ملك غسان لولا أنه فر هاريا
 بهذا اتسع ملك الأمة وأنيئت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحييتها وجمدت
 للناس مدينة لم يسبق لهم عهد بمثلها بل لم يكن تحمل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا
 اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم نر من قبل فان انكسروا وهي
 أعدل دول أوروبا لانساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان
 نساوي بين لورداتها وسلاسل ملوكها وبين صغاليك مستعمراتها ، وإن الخلفاء
 الراشدين ما كانوا يجيزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في
 سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم
 بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدنا
 في سياحته الأخيرة . فثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستئلال
 المحكومين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكامل
 المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضلته وأعماله كما قرر الاسلام
 هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الأمي
 أو شبه الأمي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد
 كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعدائهم
 من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا
 الروح والحياة به . فاذا كان محرو من العاص قد فتح مصر بم جيش صغير
 فأحياها بالعدل وحسن الإدارة حتى وصل النيل بالبحر الأحمر وأخي بين هذا
 القطر وبين الحجاز (وهو من لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا
 مدرسة الهندسة) فقد صار القطار الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من
 الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن أنه يفضل بها عن
 سلفه كمبرو وعمر ينفذ الى قطر اسلامي كاليمين اليوم وكالسودان بالامس فيسقي
 في الارض ، ويحني على العرَض والمرَض ، فيترك الارض موطونة ، والاموال
 مملوكة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل
 مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى إليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا ينهي عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فنذهبت ريح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بسلامهم لنقمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الحاضمين بأيدي الأجانب لا يأيد الأمة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لازالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم يدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دب الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها
بفقدان الشعور بما يحمل بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الأفراد ببعض فيكون سبيل السريان
شعور المجموع بما يطرأ على الأفراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع العرض الطاريء قبل سريانه وامتشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
يتفعل مزاجه بما يمرض لأي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض بإعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند أهمها كه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تستجز فتكون من المالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فإن الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهاق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الاترة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الإنسية ، فقالوا عربي وجهي ، وفارسي وترك ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومغربي وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهن ضروريه شرافانا ذكرك ككلمتين لرئيس ديني ورئيس دينيوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقعه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني — وقد رأى فيه صحرات كثيرة الطلاب من قطر غير قطره — : ماذا فعل لنا هؤلاء... حتى نعطيم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هناك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شوري بينهم لافي ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميا حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الفساد لما تم نظام ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزاع ولكن هذا العصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض ، ودولها في حرض ، فإذا لم تبادر بالملاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

هؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تتال ، ويجد فيها حرية فكره ولو بعض المجال ، والأفانوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينه ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحولت السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بحسب الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكلن الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تمفوما بقي من رسوم الاسلام وتجدد في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لاعمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامةهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضيقا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الأمم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم ايهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولارضاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدهم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لا ما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الضرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تمت سلطة هولندا والمغرب تحت سلطة فرنسا مثلاً فن الجنون أن نرجو حياة الشعوب
 الممّانة المتحرقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتمعيه .
 ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين
 فيصحبهم بهجارتهم وهدايتهم لسلطة لها الابقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكم
 المسلمون فانهم سلطتين — القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح
 لأن المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلم يوجد
 فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم
 الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقاً من الاسلام
 (٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء الكافرون على
 قلتهم لا يسبح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لا إقامة الشريعة على
 أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .
 ويقول هؤلاء اليانسون أيضاً ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد
 المسلمين يتر بصون بياقها الدوائر وحكامها يهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجيل
 على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم « الامتيازات » في بلادهم وهم يحتدون
 دائماً في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتسبوا
 حقاً جديداً فيها أو قصبوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة
 الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية
 والعسكرية والعلمية والأديسة وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخرونا لخدمتهم
 بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلاً الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم
 العليا فيأن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وريحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد
 التي ييقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمناها لا أنفسهم فهم يستبدوننا بواسطة
 استبدادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب
 لاجتاهل المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟
 هذا مجمل احتجاج اليانسين من أهل الشعور بما يندر المسلمين من الخطر فرأبهم ان
 طوار الاقتال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل إلا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء — ونحن منهم — فانهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسمى ان شاء الله — وأرشد، ويدونه آيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، واننا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين — وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات — يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى ما يحبههم ويحبههم أمة عزيزة تشمرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتفقت الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا نسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لانتظم ما يكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعة واجتماعية لأجل تكميل النفس برفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعوة لإقناعهم بهذا وحلوم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا القيام به دون من يقرأ لأجل التسلية أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المالية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

نترض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النخ من مرض يخشى عاقبته ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سيقعهم الأجانب لتحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذنبذة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالتاس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقولهم لمؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينتشون في ألواحها المستعدة مايريدون على علم منهم بنياته وأثره . وما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لقيمة الدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما أكثرهم التمتع بالآذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مفرزون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سالفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشرية يجهلون تاريخها الذي لم تفضل عليهم سادانهم الاجانب بشي حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساءت ذمهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية الساميين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها ، ومالي لأذكركم بتعصب أسانذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين ، لجمعات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان التصدد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وأنهم كالأعلامه

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بحمل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية ببذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادقة والاتفاق أو ببرك معظم نشأة الامة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي يرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها وعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصالح ان تكون حججاً للباشرين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في أثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسايرين. يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لأجل الحياة ويرى في الاساتذة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بالاي شعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجى ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تغوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استغادت نابذتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهد الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الامة الا الآف الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محمية لأرض الأمة مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتاباً ولا علمت لعامل عملاً ينبج مراقبته

١٣٠ عمل اللورد كرومر بمصر. الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الاما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة السككية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كجباري ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها ستهدم اليها يد لا تعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مغيبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون في أمورنا السككية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بشتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استمداد الامة وتغييرها الى ما فيه خيرها ومنفرد لهم مقالا خاصا بهم

فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فاننا ورماعا قد مننا مؤخرا لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعا جينا غير مشترك لثقل هذا. ولينبغي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاعتفاله

﴿ أسئلة من ستغافوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س ٦-٩) من خ م ٠ س في ستغافوره

تشرفت ببقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانبجرت بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجزى ذكر المنار المنير فأننى عليه بما هو أهله ثم شا فني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وعصبه للحقائق واني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألتاه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق — وهذا ما قاله ذلك الحكيم —

ضرب الجبل أطاب خياه في بعض البلاد الإسلامية التي كان لسلفها القدر الممل في

الدول والمعارف والأعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجدد) بل لا يبعد أن قلنا أن من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهلوا كل شيء من المجدد ابتكالا على مجد من سلف حتى إذا ما عرا حادث اتركوا في دفعه على سكان الأرض حتى قراهم يعتقدون في صالحه أمواتهم منهم مطعون على أي حادث عرا وأنهم أن شاور دفعه عنهم دفعوه وإن رأوا في إبقائه صالحا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الإقامة بها شرفا وفضلا وإن كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما إذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون جهله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئا من كلامهم في نحو ما ذكر أعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض أعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد أن لا يجعلنا على ما سبق ويبسط لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلا ولكن في معلومكم سيدي أن هذا الداء قد أزم في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج إلى معالجته بدواء فيه قوة لاستصاله — فلعن أن يكون دعاء المنار إلى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا —

(المنار) رجع هذه الأسئلة إلى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي أن له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وإن كثيرا من قراء المنار قد سموا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى إلى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم إليه يوجب علينا مع نجد السؤال عنها أن نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان بكفينا في بيان

بدعهم في ذلك أن تقول إن ماتوا لله لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٢١: ٤٣) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله الآية . فإن ادعوا أن أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمسح به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للاجابة طالبا به بالنقل وإن يجده . وإنما قصارى احتجاجهم أن بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتحركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فإن علماء اصول الدين حصروا الصحيح الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا أما الكتاب والسنة والاجماع فإن طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد وأما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المقتولين بها فريقان - غلاة يزعمون أن الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود إلى أجسادها التي لا تبقى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نابع عن عالم الغيب وهو لا يعرف إلا بالوحي كما قال تعالى (٢٦: ٧٢) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها أن الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد أن يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

وأما الآخرون فيقولون إن الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبار الأئمة المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما ينسب تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٣٢: ٧) قتل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق . وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

على أن هذه المسألة — مسألة التماس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله — استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلايين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فأتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خطائهم من الوثنيين فهم لم يخافوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها ، وإنما خافوهم في مظهرها وصورها ، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعاءهم . أفرأيت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟؟

قال تعالى (١٨:١٠) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتَّبِعُوا اللَّهَ بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم بالتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لا تحلّ بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقرين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤٨:٢) ولا يقبل منها شفاعة — ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٤٨:٧٤) فما لنفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٥١:٦) وأنذره الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * — ٧ وذو الذين اتخذوا دينهم لهما ولها وذَكَرَ به أن نُبَسِّلَ نَفْسًا بما كَسَبَتْ ليس لها من دون الله وليٌ ولا شفيع (الآية) ومبني تبسل تسليم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلاً

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آيتي الانعام آنفاً ومثلها آية ألم السجدة (٤١:٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣:٣٩) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار * فدللت الآية الثانية على أن من جلة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يعتقد المبتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الاسراء (١٧:٥٦) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * أي ان أولئك الاولياء الذين يدعونهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته يخافون عذابه اذا قصر او ، حتى ان أقربهم من محبضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومخذوف في نفسه لأن الله فيه سذالا تبديل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تنقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (١٧:٥) قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير * فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضلهم عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عبادته . فلا تغلوا في تعظيمهم حتى تنسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لثلا نطلب منهم فضا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧:٢٥) انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فنهزه عنه قوم قبله. ذلك خطاب محمد الله وإني عليه ثم قال « ما بال أقول يتزهون من الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣: ٣٥) والذين تدعون من دونه لا يمكن أن يكون من قطيعه ١٤ إن تدعوم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهج المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم فيه بسببه من غير الله تعالى (١٨: ٨٢) وأن الساجدين لله فلا تدعوا مع الله أحداً »

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد فتنوا برجال من صالحهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وصاروا يننون عليهم الكنائس أو ينسبونها إليهم ويوسلون بهم إلى الله تعالى ويستقدون أن الله يقضي حاجاتهم بإحسانهم وأنه أعظم قوة قضائها بأنفسهم نبي النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المتبدع لأنه منكسر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تعمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما يدل على إباحته لا وجوبه أو نفيه وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد علمت بطلان ذلك والآخرة فإذا فلتت لعل أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحذور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب تلاعب الأهواء بالمتبدعين أن كل مارود من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع المرح عندها واتخاذها مواسم وإعيادا لم يقصد به إلا سد باب الاعتقاد بأن صالح الموتي ينفون الأحياء ويضرهم كما أن النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة شعر بالتعظيم لم يقصد به إلا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأحرار من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تتكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني . شرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وإن لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وأما تخم هذا الجواب بشي . ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنسائي . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالتسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (١٨٨:٧) قل لأملك لنفسي فلما ولاضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا لا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس « إن من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من شرار الناس من تدركم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) أنه قال « لا تتخذوا قبوري عبدا » وفي موطأ مالك عنه (ص) أنه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثنا يعبد أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائز بمن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطوائف به

(المنار ٩: ٢) كيفية عبادة القبر . شجرة الميامة . قبر دانيال . خصوصية الانبياء ١٣٧

كما يطفأ بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً يتأبون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل والا فليض : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنها اذا أجذبوا كشفوا عن القبر فطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها ثلاثا يعرفه الناس ثلاثا يفتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فانخذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يبن عليها مسجداً ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك إنما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الأخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبتت وسويت وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزاجر وقد قلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لاعلى أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عباده في الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عباده بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرُونَ على
فعل أحد ولا ضره بالفعل حتى بالمهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم
وابنائهم وأقاربهم كفاراً يعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمور شيء لهدوا جميع أقاربهم
وأقاربهم من عذاب الدنيا والآخرة . أفبعد هذا كله يكون لمذهبي الاسلام وجهاً ما
لندعوى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو نحو يله عن الناس وجلب
المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم » يعظكم الله
ان تقوموا مثله أبداً ان كنتم مؤمنين » ويبين الله لكم الآيات والله عليم
حكيم » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج ٧) لاحقة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم
يؤيد بدليل للحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي
مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا إبراهيم بن
يوسف عن أبي حنيفة أنه قال « لا يحل لأحد أن يفني بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروى
عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » ومن نقل عنهم ذلك الشمراني
وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة إذا قلت قولاً
وكتاب الله يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لكتاب الله . فقيل إذا كان خبر الرسول صلى
الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل
إذا كانت قول الصحابة يخالفه قال أتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عسبر البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك
بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب
والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضاً .
ومن المشهور عن مالك أنه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأتمم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لالبيان معناها

في الاصل ولا للاحتجاج بها ك هذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثر المجتهدون من تفتته في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع: فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ما جاء عن النبي وأصحابه فخذ: وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالك ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المتهذبون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الفلوفى تعظيم الانسان لشيئوخه وشيوخهم وثقتهم بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلاً وقد يخطئ سهواً وعمداً ﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والأئمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقد عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفاً في صدر الاسلام بالمرّة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء وبعض الكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه ويقيم سنته وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتب الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سأل عنها فكتب إلينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها إلينا بنصها والجواب عنها بالفصل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» وانا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وإنما يصح ان يمتنى به هذا الاعناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم يمثل ما تقدمت الإشارة إليه أو بغيره فان لم تقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله) . أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو وردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشبهة أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جملت في اللقا من الورق بعد ذلك الجواب الجميل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تتمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحاشى السماع ولكن الجود في كثير من البلاد على تقليد المعسرين لا يلبس الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يري القارىء المصنف ان ما قاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بزمان الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الإباحة التي تهدمت أن قول من قال باستحباب السماع أوندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الاوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الاوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الاسراف فيه فإن الاسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للعروة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الفناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لانه اذا لم يفر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فرما كان لا يفر عليها مطلقا وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ولهذا الدالة تقول لواجتمع جماعة وزينوا عجلوا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصوبوا فيها السكنجيين ونضبوا ساقياء يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحجي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتقاد أهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاورار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطباخين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخر ولا يذكرها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقى على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست الفسلة في تحريمها بمجرد اللذة الطيبة بل القياس لتحليل الطيبات كلها الاماني تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧) قل من حرم زينة الله التي اخرج اعباده والطيبات من الزينة فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بما رخص

(المنار: ٩٠:٢) بعض العوارض المحرمة للسمع . حديث اذا فعلت أمي ١٥ اخصلة ١٤٣

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كأن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضعته فإذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يهد فيه منشئها بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والغلباز في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحت في أخرى لعل التشبه
وعندما وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق
كأنه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبه إليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لتبعية بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

الكلام على عبارات الاسئلة

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الح فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمعازف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعل التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو الى الفساد فهو محل نظر اذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يحرك الساكن
ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع
تأثيرا في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطل
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وإن ذلك لا يمنع ان
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمعازف وفسرها بالملهي من الأوتار والمزامير لم تذكره في أحاديث

الخطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعاً
 « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان المقيم دولا والامانة مضمنا والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارقت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان والممازف ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك رجحاء وخسفاً أو مسخاً »
 والفرج بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف قليل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ وقال هذا باطل : قليل من جهة الفرج قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير وقال أبو حاتم لا يجل الاحتجاج به وقال مسلم انه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وإن لم يصح الحديث لأنهما من السرف في الترف وفساد الاخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الهيتمي من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو ما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلو في التعصب لا قول علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر المستقلاني امام الحديثين في زمانه وبعد زمانه . وقد ذكر له ترجمة طويلة في طبقات الحافظ قال فيها : وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيًا ثم انتقل الى القول بالظاهر وفي القول بالقياس وتعمك بالعموم والبراءة الاصلية وكانت صاحب فنون فيه دين وزهد وتجر للصديق — ثم قال — وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسمهم معرفة مع تسمه في علم اللسان ووفور حفظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحليدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وقبه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم حجة عاملاً بطله ما رأيت مثله فيما اجتمع له من الذكاء ومعرفة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الاسلام العز بن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل الحلي لابن حزم والمنفي للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الميمني الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بمثلاً أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملائمة سكين الري ثم هذان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وأما كان يرى إباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر المستقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الميمني من انه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجس ؟ اللهم اللهم هؤلاء الأئمة الذين يسبهم ابن حجر الميمني المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فاذا لم نصح عنه فقد صحت عن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بعد نقل تحريره عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله بن أبي عبيد وأكثروا فيها المدينة . وحكاها الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقد منا ذلك عن إبراهيم وابنه سعد وحكاها الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاها الفوراني في كتابه القصد . وحكى الروياني عن القفال أنه حكى عن مالك أنه كان يبيح الفناء على المازف وحكاها المارودي في الحاوي عن بعض الشافعية ومال إليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاها عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاها ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكرهه ولا لنهيها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالرد للغير أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل الرد مكروها غير محرم ، وما حكاها المازري في شرح التلخين عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن العزيز بن عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني النزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات ما لا يحتاج بنفي ابن حجر الميمني وهو ليس من الحفاظ ولم يطن في أساسيهما لينظر في طمته . وسقط بهذه النقول ما جاء في الاستئلة من ذكر الاتفاق على تحريم العود ونحوه وتنسيق من يسمعه وأما سؤاله عن جواز نسبة ذلك إلى العلويين الاتقياء فجوابه أن النقل لا يكون بالرأي فإن نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الحل كاتقل ذلك ممن هم خير منهم وإن كان غير ثقة لم نصدق

وأما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم إذا سبوا العود فنقول

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماحه المود من غير ان يشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهانها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتاج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدخول بلانكير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو المرض فهو من المحرم ولا يحرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يضره يحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان توتي رخصه كما يحب ان توتي عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والامراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

أَنَّكَ عَالِمٌ بِحَقِّهِ

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكها من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه المقد) يقال امض على سننك أي على وجهك وتتح عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات المقد الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كغير جمع حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي يبيضاء مدملكة ملساء فيحسن تشبيه حبات

الصفوحا واطلاق اسمها عليا . ولا يضر التشبيه بث رائحة السن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته (ص ١٠٤) رأنا مشري أرق وحزن وبقيته لدى الركب المجدود (المجدود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب المجدود النائم وهو ما أراده الشاعر فهو يقول ان الطيف تحاكي زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف انما يأوي الى الركب النائم . وقد ينبخ الركب ولا ينام (ص ٩٩) اخوا الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على المجنود (العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرنا به هنا . (ص ١٠٥) ينصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شظف الايام في عيشة رغد (أنفري انصلح) أنفري هنا بمعنى انكشف وتقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر « به انكشف عنا النياحة الخ (ص ١٣٨) فملوت هامة فطار فراشا بشباب موت في اليمين مجرد (الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزن كتاب وان معناه ما ذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريد أهله اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقب من عظم أو حديد . (ص ١٣٩) فسوك فالتسوامدك فاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد (بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ الميزة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في غناء وخيبة . فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الأخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتزل » أي كما يزل النازل على الصخرة المساء . (ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قسطها على حيطان قسطنطينية أعصار (التقع رفع الصوت) القسط ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالنقع هنا

النبار وتكون إضافة النقع الى القسطل الذي مناه النبار أيضا من قبيل الإضافة اليبانية (ص ١٤٨) وإذا القسي العرج طارت نبلها سوم الجراد يشيح حين يطاز

(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوماحات وهو مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتشارها حومان رجل الجراد الذي هييج فجدة في الطيران . وجواب الشطر البيت بعده

(١٥١) لولا أحاديث أبقها أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السمر (السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يسقط في الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منهما هنا المعيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل .

(ص ١٥٨) مصفرة مخمرة فكأنها عصب تين في الوغي وعصفر (العصب صبغ ينبت في العين) العصب ضرب من برود العين ذو وشي وتقوش وقد أراد الشاعر ان الريح أفرغ على الأرض من أزاهيره حلالا ملونة فحاشي تلك البرود الجمالية المسماة بالعصب لأنها تحاشي انصبغ نفسه

(ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التصغير (اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا اجتمع وانتظم واستوى . واتساق القمر اكتماله واستواؤه . وقولهم وسق البعير أي ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له .

(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المحفوف ترب والندى حلس (الحلس الكبير من الناس) : نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر أصل الحلس مسح يبسط في البيت ونحوه الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعبر لمن يلازم الشيء ويعود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وفلان ليس من أحلاسها فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف قعر وعمر وترب ادب . وقرنها بترب يؤيد كون المراد بها ما ذكرناه .

(ص ١٦٩) قالت وعي النساء كالحرس وقد يصح النصوص في الحلس

(الفصوص احداق العيوب) نعم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى ؛
 اصل الفص حجر الخاتم وتجوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فمسه أي أصله
 وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حراز الفصوص اذا كان مصيباً
 في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على
 عيبن قد يقمن على الصواب ويعيبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قالته
 المرأة . فالفصوص في البيت بالنصب مقول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض
 (البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق
 الحصى كالأبطالح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض
 المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانيات فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيع
 (يعجمون يعصرون) المعجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا
 عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لانه يك
 في العواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالمعجم في
 البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص ٢١٤) يوجب الى شمائل منه ميث قليلات الاماخر والبراق
 (الاماخر الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يوجب يوجب الى الشمائل
 الذي أرسله الشاعر الى المدوح يعنى أن سلامه يرجع الى شمائل المدوحه التي
 وصفها بقوله ميث اي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وارض
 ميث . ولما وصف الشاعر شمائل المدوحه بصفة الارض الحسنه ناسب ان ينفي عنها
 صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماخر والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة
 الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الفليطة ذات الحجارة والطين والرمل
 ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول ان شمائل المدوح وطباعه لينة وليست
 بمنشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فزيت خلة في درج ثوب اللابس المستوق

(الحلة الشق) الحلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه ويبالغ في تزينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك المدوح (ص ٢٢٨) ضحك إذا خسر استأبطاله نطقت فيه الصوامم والخطيبة الذليل (الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضمور كقولهم ذبل الفرس ضمرو وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى ولان وتذبل في مشيه فخر فيه ثم أجروا المادة على الرماح تيجزاً فقالوا قنا ذابل أي دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطلة القشرة التي تكون على القصب وربما كان اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح إذا لم يكن لينا لدينا تقصف ولم يصلح للطنن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من ذبول الرماح. وإذا أريد وصف الرماح بالصلابة قبل كما قال الحماسي ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك أزور فقوله صدقة أي صلبة مستوية لا حائرة هشة.

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين: وحسبك منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه: ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان سعيداً أمر بميض أزقة مكة فسمم الأخضر يفي في دار العاص بن وائل وهو يقول
تضوع مسكاً بطن نعمان اذ مشى به زينب في نسوة خفرات
فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد
ولست كأخرى أو سمعت جيب درعها وأبدت بنات الكف في الجرات
وعلت بنات المسك وصفاً مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات
وقاضت نراى يوم جمع فأقنتت برؤيتها من راح من عرفات
وأثبت الخافظ ابن عبد البر أن هذه الآيات لسعيد لا للثوري. أقول وقابل
ماعاب سعيد من توسيع جيوب النساء وأبداء بنانهن بحال نساتنا اليوم . ويوم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتقنى بهذه الايات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جفائها وعسرها (١)
 بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمنديل الرطب نارها (٢)
 من الحفرات البيض لم تلق شقرة وبالحسب المكنون صاف نجارها
 فان برزت كانت لعينك قرة وان غبت عنها لم يفك عارها
 فقيل له أصلحك الله أنتقي بهذه الايات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن بها ركيان نجد . قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتقنى بهذه الايات

فما طيبة أدماء حفاقة الحشا تحب بظلمتها بطون الحائل (٣)
 بأحسن منها اذ تقول تداللا وأدمها تدرين حشا والمكاحل
 تمتع هذا اليوم القصير فانه رهين بأيام الشهور الأطوال
 قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله اتحدثني في هذا بشيء ؟ فقال نعم
 حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
 فخبى بهذا الشعر :

مغيرية كالبدر سسنة وجهها مطهرة الاثواب والعرض وافر
 لها حسب ذاك وعرض مهذب وعن كل مكروه من الامر زاجر
 من الحفرات البيض لم تلق ربية ولم يستلها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال :

ألمت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفض القطرا
 فقلت أعطار نوى في رحلتنا وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقلت سالم أما والله لو لا أن تداوله الرواة لاجزئت جازتك تلك من هذا الامر مكان اه

- (١) الجشاح نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو النرجس البري
 (٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
 لحسا لينته والحفاف اللحم اللين تحت الالامة

﴿ رسالتان في قراءة الفونوغراف والسكرتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبتهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد نجيت الأزهرى المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقوم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا يحل لذكره هنا ووصف الفونوغراف ووصف من لم يره ولم يعرف شيئاً من علم مخترعه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : « وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملى الشرقى بولاية سلايك يتضمن السؤال عما يأتي و يطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت والله التوفيق » اهـ وياليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبيه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا - في الروملى الشرقية من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا - في ولاية سلايك من مقدونيا - استنباط يرد كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من الحال ويثبم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم الإمامه بالجغرافيا التي ما برح يذمها وينفر عنها حتى انتمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافراً أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلد القضاء ويأذن بصلاة الجمعة كافراً واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان بخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان بخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

جليل في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخطيط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر أنه أفسد أسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جعدان وهو ضعيف .

وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فإنه واد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فإن المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينبى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا ان الشيخ سعى رأيه استنباطاً وقال في أول الرسالة الثانية :
« الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ،
ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائماً مستمرا باستمرار الأهل ، »
قد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول
بإقفال بابيه ، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط
منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبدل شيئا من جهده
في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وأنه لا يدل على ما قال
ففسى ان يروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورماعنا الى انتقاد الراسخين
(مجلة جمعية الملاجي - العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة
أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث
الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى
ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها
كانت ضعيفة حتى اتحدت بجمعية الملاجي - العباسية في فاتحة هذا العام صدرت
المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعاً متناً على ورق جيد وقد تنوعت
مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولا من الكتب والجرائد
وجعلت هدية للمشتريين في جمعية الملاجي - العباسية وأما قضية الاشتراك السنوي لغيرهم
فيلتون قرشاني مصر وفرنكات في سائر الاقطار . ويتقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة — ان وجد بأرباحه يعي الخير — فهو لمساعدة الأيتام والفقراء والمجزة في تلك الملاجئ ، فسي ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاثبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها الأولى، مؤلفة صفحاتها من ٣٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمقاطيع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجر الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر — بردا وسلاما — تشعرون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي، اطال الله خدمة منشئها لفنون الآداب، ولقي ما هو أهله من تمزيد أولى الألباب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ « لاحظ » لا يتعدى بعلى وصاحب التقرير يكثّر من قول « لاحظ عليه » فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الأدباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار المشار اليها كانت موجبة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من الاصل شي عند الطبع وأصل العبارة هكذا: « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة وهو النظر بمؤخر العين . وتسمع الملاحظة مجازا بمعنى المراقبة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي . ولا حظ لا يتعدى بعلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديده لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضهها ص ٢١ ص ٩١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مملكة سراكش ومؤتمر الجزيرة

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة الثمان الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان سراكش بأن طوفان أوربا لابد أن يفيض على بلاده فيغمرها إذا هلم يبادر إلى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة العصر لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يتكرون ، وإنما يعتمدون على أهل القصور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاربهم إلى قبرسيندي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقبيات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالماني يرمته وإيساره إلى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح سراكش على مؤتمر أوربي فانقضا المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاؤه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون . أما المصرف فلا يتلأع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتنأمن تجارة أوربا التي يتعاملون بها أموال الاهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال التنازع بين فرنسا والمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تفكيه القراء ان نكتب إلا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين مما اختلف القوم وتنازعوا فهم أقرب إلى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطتنا بل تقليص لظاهنا عن بلادنا ولو بالتدريج القوي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه إلى بذل دماءهم واهلهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذ لهم في بلادنا وإزالة نفوذ لنا منها فتألوا بعضه كما جرى لنا في مسألتي كربت ومكدونية وكما سيجري في مراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقاً رسمياً في القبض على إدارة البلاد وأموالها . اذا أُرجعت المسببات إلى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مراكش وبين الانتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجحود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فماتان اللتان هما المائتان من فهم الحق ومن كل تغيير يدعى اليه المقلد للآباء ، المفوض أموره إلى من اتخذهم أولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين برون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري أحداث ناشط لها ينتهي بفرصة العقبة في البحر الأحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن إيصال السكة إلى الحرمين فإن رجحنا من السكة لا يكون قليلاً اذا استعصنا عن ذلك بإيصالها إلى العقبة . وقد اجتهد الصدر الأعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهدا عظيمًا في إقناع السلطان بوجوب إنشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتدخل الإنكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن إخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية إلى العقبة لتهديد العمل . فلما رأت انكسار ذلك خافت من الدولة على مصر أضاعف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه ما دفع السلطان على هذا العمل إلا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكسار وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بمد وصول الناشط إلى العقبة فأرادت بناء معقل عسكري هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فنهمت الجنود المصرية بمن البناء بالتهديد فأنشأت انكسار تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي نطقت بوجوبها . على ان انكسار اقد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها المدارس المصرية منذ بضعة سنين .

البدع والانحرافات فَالْبَقَايَا لَيْدٌ فِي الْعُجَا

«سلطان الشياطين على عالم أزهرى . ومخادعة دجال غوي»

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال -
حادثة في الأزهر» يريد ناشره أن يشهر به نفسه بالولاية والقدرة على إخراج الشياطين
من الأجسام والبيوت ورأى أن إعلان لا يقرأ الا اذا افتتحه بذلك الاستاذ الامام
رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لئلا يقرأ الا ما يكتب عنه . ومن العجائب أن
بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته واننا ننشره ونسكبه وهو باختصار
«لا ريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام
الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الأزهر ويقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك
وعرب وعجم فضلاء يجالط ذلك من دان وشاسع وكان اذا تكلم يصيح باعلى صوته بان لا
وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يجاجونه بالكتب
المترجمة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاهام وضرب
لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد
والواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس واقفه على هذا امر على انه
يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الأزهر
ومن رجال التثريفة وامين الكتبخانة وهو الشيخ محمد حسين وتحير بالخبر ان هذا الشيخ
اشترى من مندسين منزل بأم القلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى في هذه
الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الحال
وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قرود فيخازير وكلاب وقطط ومساووا يقولون الكتب
والملايس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشفاه
واشتمل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر
وضم احبيه وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بفتاوى وصفات وكثير من اعانهم مصر

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبى الكتيبي واستحضر جملة من المناربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى ينس حضرة الاستاذ وصمم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله وأخيراً حضر بعض الاعيان واخبر الاستاذ بأنه وجد رجل ٠٠٠٠ ساح في الارض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفضت الناس الطشت فخرج من تحتها طيرة تشبه النسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها و اشار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبرهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت قدعت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضع له سور من حديد على أنه لا يمكنني ان اطلع احداً عليه مهما كان ميله اليّ وقرنه من فؤادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا القلوة في شهرة صاحب الاسم المراد اشارته بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمرء والافرنج ٠٠٠ قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يعتمد الكذب .

(أولاهها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أديعة في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفصوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب ونيته ان يقر اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير النار الذي يقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الأزهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد والولاء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس واقفوه على انكار

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول أن الحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان

صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في آيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رواية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الحوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكماء بالامتناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة — ابن مسعود وابن عباس — هل كان معجزة للنبي (ع) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المتبادرة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤوا متى شاؤوا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الا منكر ادجالهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام

استعمل البجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا تخص عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكلم من بيت كاذبه شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فخبثوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء ان عيشتهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا

وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عقارته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود لياوي إليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للمفاريت والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسابوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور المفاريت لتحوت العوام اذ قلت الخرافات والأوهام ؟



هو الحكيم يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أول الألباب

المعجزة
١٣١٥

يسر جدي الدين يستحق القرب فينبون أحد
أولئك الذين عداهم الله وأولئك هم أول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صويوة منارة «كنار الطريق»)

(مصر الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤ - ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦)

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لأن قلب الشيء عندها لبه ومحضه وخالفه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩:٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب (ومن الثاني ٣٧:٥٠) ان في ذلك لذكرى ان كان له قلب) وقوله (٤٦:٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأئمة على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تميز تخصص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصيصة للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم أنها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لاهقيقته فهو يخاف مما لا يخاف أو لا يخيف ويرجو ما لا يرجو ويتعبد به الوجدان مواقع الهلكة فيسذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرّفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم ، ومصاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة التهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فإذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان للقلب وأنفسه حكماً على الجوارح ، وإذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده ، وإذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فبيدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فبيدهم وعدة نفسه قد ارتقت بذلك ارتقاء

مبيناً، وإذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر السامعة الفسيحة ولاآخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقاً لا يزال ينقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزعه عن التمسك بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به وفريقاً يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له، وإذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وتمده سائر الوجدانات الدينية، وإذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل مخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأموار المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده — أفلا يكون القلب والعقل ضدّين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب أن نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدّب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، ونندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان، ؟

وأما حجة الداهيين الى أن لكل من القلب والعقل سلطاناً مستقلاً يبيان الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل أن الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثراً منه النافع والنافع وأحكاماً منها الخطأ ومنها الصواب وأن الإنسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثاً وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للإنسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأمر كوان الذي يحلّي للإنسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فإذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب وإذا بحثنا سيف تاريخ الإنسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلوفرنا أن الإنسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعناء الماددة دون الدين والمرسلين لانه قد يكفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجاد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يشقى بها الملايين من الناس ليسعد الثابت والأوف بشقايتهم ولكنه لا يكفي قتل بركة جبل شعوره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان الفذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبني والمدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين لا ينكر علينا علماء الماددة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كل يعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة تقصا وأشد الاستعدادا للكمال وأن كاله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي بقوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منهما قد وجد حكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤ ونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعد خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط . موجبا لا نقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعد خطأ العقل في تلك الاطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وإزالة سلطانه

تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالالوهام حتي استعبدوهم وتقول اننا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم الفساد والمضلل فك من عالم ببعض خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكمن مدع للعلم بها قد أضرمهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تسترفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في محتمهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كهيئة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين أننا نعلم أن أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي بمقام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كآيات التوراة أن الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها وأثبت العهد الجديد للتثليث . (وثانيها) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منها سهل . أما الأول فإذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمتم بأن الخطأ واقع فلنأمن بقول إن بعض ما في تلك الكتب مدرج من النسخ وإن ما قاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وإنما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وإن كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو أرادوا أن يبينوا حقائق الالكون مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكن تصديقهم له خروجاً عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والأرواح وأثرة للشبه والشكوك فيها فإن المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك أن الإنسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي وأما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه إلى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الإنسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لناية كماله الروحاني والوسيلة لتحذيق جميع أنواع وجدانه وشهوده وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيداً بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب أن وظيفة الوحي اصلاح القلوب والاخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف الخطاطين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو إخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمداً من الحس والعقل ولكنه وحى من الله فإذا كان لكم طريق إلى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم إلى الحكم في كلامهم المتعلق بالإيمان بالله وبعلم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنغير عن المعاصي والردائل لأنه من باب الإنشأ الذي لا يتأق في الصدق والكذب وإنما يعرف حسن مثله وقبيحه بآثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفات من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يميزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن إقامة برهان على أنهم استمدوا عرفاتهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئاً من عرفاتهم بالكسب وانظر فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابته في الآداب والوعظ لاعتد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكوراً وفاتهم ان في مواعظ الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز اكبر الفلاسفة عن عشر مشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يميزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لها أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أوفي الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فأنهم لا يرون ذلك مجوزاً لابطال أحدهما الآخر أو مسوغاً لتركه لأن صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعمل لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اصاطينهم متدينين كسبارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . ويعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيراً من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لاني جوهره وروحه فهو ينفرد ويتسامع به

لشدة الحاجة الماروح الدين التي لاغنى للبشر عنها
وتجدي في هؤلاء العطاء المتعجب في الدين المتهب غيره عليه كعظيم الشعوب
الجرمانية (غليم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على
النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حاسة واننا لشعر بناره تأجج في أحشائنا
وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع هورابي لا يمنع
من الاعتقاد بوحى الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطة يني ان استفادة
موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي
الايان بأنه كان مؤيداً بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة
بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون
النبي الموحى اليه مؤيداً من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله
تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء بما لا يرضاه المسلمون
بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من
عبيد المادة واسرى الخواص الذين زعموا ان الدين من شعور القلب وجسدانه
الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً
كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها
واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها
تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرق منها ، وقد كثرت في متفرنجي
المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر
ما ليس هؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين
أهله أولئك المتبوعون من عداوة العقل والحس وعلومهما ما ليس في دين هؤلاء
ولان أولئك قد أغلوا في العلوم الكونية فشغلهم عن غيرها كلهم القلب والروح
فلم يعرفوا حقيقة على أنهم استعبدوا لأحق وجردان القلب وهو اللذة الحسية وهو لاء لم
يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عبي القلوب عمو عن كل فائدة لا نهم كفروا بالله تقليداً

**

هذا وإن المسلمين في العقل والقلب والدين منزعة آخر وهاك يأنه يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفان غيضي فيه ويختلفان فيجيب دعوة أقواها سلطانا على النفس، وتستخيرا للحي، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيهدن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا له فيطيعه تارة ويقصيه أخرى — يطيعه اذا كانت داعية الوجدان ضيفة ويقصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد وقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفرة يطغى في شرته فيفسد، ويترسخ في فتره فيخفل، فلا جرم أهمها في حاجة الى مرشد حكيم، ذي سلطان مكن، مطاع ثم أمين، يرضيان بحكمته، ويقان عند نصيحته، مها ظهرت لها آيته، ورفعت فوقها رايته، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وإن ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرا، وإن ارتفع رايته بمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والمدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيمرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيمرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تمتلئ فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطف وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كما لا غنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أوفي حكم القلب لذاته وإنما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يطغى فيجني بخطفه على القلب وينحرف بالوجدان عن القصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو البهاء والشرف وينفض القبح الحسي والمعنوي - يتأذى بقل ما يحب ويرجاء فيه ويتألم بما يكره - يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فإذا رجى ما لا يرجى أو خاف ما لا يخاف أو أحب ما لا يحب أو كره ما لا يكره ، فأنما يكون في ذلك تألما لحكم غيره أذ ليس من شأنه هو أن يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وإنما الحسن هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما حزم العقل بأن هذا الشيء "يرجى غيره وذلك الشيء" مما يخشى غيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتقصه ، وقبلا يطفى الوجدان في شيء ، إلا ويكون الفكر هو الممدد له في طفيلاته ، فكلا أوغل العقل في التصور والتفكير ، ويغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتصفه في مجاهيل الاوهام لو فقد الانسان الوجدان فأسمى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو لهلاك بمرش العمل والسعي في جلب المحبوب ودفع المكروه وإتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة الباشين ، ومواخاة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتفي عنه شيئا ، فإذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فينصح بعلم أو ينفض يجهل فهل يصح أن يقال إنها ضدان ، أو نطلب على حقيقة الأول منها البرهان . كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ، على هذه الطريقة أسماء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الاسفل في ارتقائه التدريجي بحسب استعداداته وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن أعمال الاشياء وأسبابها فكلمها عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الاذعان له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استمد أفراد منه للارتقاء عن التعبد للاشياء المحدثه بعث الله تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليتبعه القلب في العبادة والاذعان ، يدعو الى التوحيد الذي هو

(نظر ٧٤)

(المجلد التاسع)

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تنقيد بشيء ولا تحمل فيه ليلم العقل ان تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كاتدرك الحواس المحسوسات ضرب من الحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله ويبحر في البحث عن حقيقتها فإلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وإنما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نملك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وإنما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكوان ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاعتقان ، لتوقن انها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجله عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين (الخ) وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهديب كان محصورا في الكهنة والأخبار والقسيسين ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحفظون على عقولها حرية التصرف ولهم المذرف في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الوجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استمد ذلك آتاه الله الدين الأخير الذي هو متعمق النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وأخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الجبر على العقل فلم يجعلوا له رأيا سيفي آداب النفس ولا في

(المنار ٩٠٣) إبطال الاسلام بسيطرة الزعماء والتقليد . توفيقه بين العقل والقلب ١٩٩

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسهم الدين من ذلك بيناته على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجعل للنبي نفسه شيئاً منها (١٢٨:٣) ليس لك من الأمر شيء . ٢١:٨٨-٨٩ فذكر أمأنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه إلى رأي أصحابه ثم أنه بين العقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والأخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الأحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد إلى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الخواص والقلب والعقل شركاء في هدايته وأرشاده ، لتكون جميع قوى الإنسان متحدة في إبلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، وأعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا يحل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين أن يقول فيه بنقبض ما جاء به اتباعاً لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به أن يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا أن من عرف هذا الدين لا يمكن أن يتركه ولا يكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، وأضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حججهم عن محاسن هذا الدين ، وأبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « تركب سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم العلة الكفر من كفر ، وفجور من فجور ، فمسي أن يهي الله للمسلمين من أهل الإصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد إليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم إلى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتأخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وإن ذلك لواقع ولو بعد حين ، والساقية للمتقين .

(تصحیح) فی ص ٢٠ ص ١٩٢ «تمتدل» وصوابه (تمتل) فليصحح

باب العقائد

﴿الايان يزيد وينقص﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص وتنقل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة وانما نورد من ذلك ما عدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نرين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين قال والظاهر أنه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد تنطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا أمر يمجده المؤمن اذا نلت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان مالم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ يحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر مالم يكن فيزداد علمه بالله ومحبة طاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند نحو يفهم بالعدوم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقيناً وبوكلاً على الله وثباتاً على الجهاد وتوحيداً بان لا يخافوا الخلق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول انكم زادته هذه ايماناً) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهياً عن شيء انهموا عنه فكهروا ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستبين الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هده لقلبه زيادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآياتهم تتوأم) وقال

(انهم قتيبة آمنوا بربههم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع المطلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجتلا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المنفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنة ومعانيها لزمه من الايمان المنفصل بذلك ما لم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أن كل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والتهي لان كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وأنه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل من عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقرر المنقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا يعمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكلا عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجتلا أو عرف بعضها وكما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكمل

﴿ الثالث ﴾

ان السلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهد به كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿ الرابع ﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا عليه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهروب من النار والآخرة علمه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل الا لازم دل على ضعف المألوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا المعجل لم يلق الاالواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بصدق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور الخبر به وان كان مصدقا به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿ الخامس ﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلا ظاهرا

﴿السادس﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضا من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿السابع﴾

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلا عنه أو كمل
من صدق به وغفل عنه فإن الغفلة تنقصه وكال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
يكمل العلم واليقين ولهذا قال عير بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿الثامن﴾

قد يكون الانسان مكذبا ومنكرا لأمور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم
ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم
يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من
الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له وهذا تصديق جديد
وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا وإن أشبه
المجهل والمفصل لكن صاحب المجهل قد يكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق
شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجال
على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقولهم
من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا
عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو
عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يبدل عنه هو
من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به
الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو
أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجبل الائمة ان الايمان قول

وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد
أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال
والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا
ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تنسى ايمانا
قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى
بنت قال وأما مائث الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام
ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي
والثاقفي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام
وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان
وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا
كل ما يطلع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد
بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي
الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى
الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد
مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على
تورث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة واتحلوا دعوة المسلمين من
قربانهم المؤمنين الذين ليسوا بذلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الدنيا في المصار وهذا
مذهب الجماعة من أهل الحديث والجد لله

ثم رد على المرتبة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموارنة وبحديث عبادة بن الصامت «من
أصاب من ذلك شيئا فوقع به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها
فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا)
أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين
ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون إلا كل جني يكون غيره ناقص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا امانة له» يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطائفي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن ائمة السلك الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انتقد في نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهوان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الاظهار وشبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق مجمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من أصبع أو يدا أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وإنما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بمضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن المحجب ان الاصل الذي أوقفهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان واهو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره ولاجل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا في ما هو مخاف الاجماع الخفي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقبول جميعهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولاً فظانها للنقص

والاجماع القديم حقيقته ويكفون معتقدا انه متمسك بالانص والاجماع وهذا اذا كان مانع حكمة واجتهاده فانه يذبحه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويفقره ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان قلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فثبت لهذه السميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الازهان لافي الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما انصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فالانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي والاشترك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن ثمة التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المميئة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علماءهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عايقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصورة لا يكون في الخارج أبداً وهكذا كثير من الملامسة تصوروا! نادوا مجردة وحقائق مجردة يسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبهذا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهو لا كلهم اشتبه عليهم مافي الازهان

بما في الايمان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تتم به الشبهة وقال يزيد ان كل واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقيناً وأخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفیان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة وحكاة فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (وبرزاد الذين آمنوا إيماناً) الآية انتهى وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً «الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً أيضاً والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالان كان يزيد بالطاعة ويضعف بالمعصيات وقد ذكرنا من ذلك ما علمه يحصل به الماتريدية والله ولي الاحسان

* *

(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من تصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان رواج شبهة المرجئة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين بإعراضهم عن هدى الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ما جاء به النبي حق دون العمل وان المؤمنين فيه سواء قد جرأ الناس على الفسوق والعصيان ، ثم حملهم على التحريف المعنوي للقرآن ، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لا تخص الا بمجهود وعناء وترى أهل هذا المذهب يلتزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهاء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وإنما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجمالا ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويحملونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنة في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك بحال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ما حقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن تقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وإنما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ » فيما تقضهم ميثاقهم لئلا ينقضوا « الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقيون على استقلال ما عرضة للخطر ثم ان كثيرا من كتابهم يترثرون في دأبهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبائهم ، وهم يحملون الداء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اتبعه فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة اعلمهم يكونون من الهادين المهتدين

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشر تطلى السائل ان يبين
سنة ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واقتانذ كرا الاسقة
بالتصريح غالبا ورمقاد مناسنا خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورهنا جينا غير مشترك لثقل هذا ، ولان
بعضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذ كرم مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا قدر سيبسح لاعماله

(الاتفاق على التعاليم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبى علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرس
بتوتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من
العلماء المتصيرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في
القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكي صوما »
ذلك انه يجمع في كل سنة قود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغيره مسلم وتوضع
في هذه الخزانة تحتفظ الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر
ويصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف المأمورين الملكيين وسائر
مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور المعجزة ونحوها
ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الاتفاع بهذه النقود -
لانزع الحكومة بل اعلم سواهم ذلك للأوهام التي يطول شرحها - على اشتراكهم
في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس
فيها مكاتب دينية لفقر الأهالي وقصد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة
الخصوصية للجميع فتم الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسفة
أزعجت اقلوب المملوءة بالحقيقة والجأت الى التشاور في هذه المصلحة المهمة فتشاوروا
وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة
فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستعانة بمالهم في تلك
الخزانة) فسمروا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما محصله : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الاسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الاميرية يكفي لتأسيسها والفتحة عليها اذ الفرض من وضع تلك الخزانة هو ارتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالارتفاع بها مع المساواة في الدفع النخ وسميت ان المحكمة الملكية (زيمسكي اويرافا) اجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدت عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أي فقير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانة في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ! وظني انه لا ضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصلحتنا إنما هو من نقود المسلمين المتينة نوعيا وبعضهم يتعال بأن فيها مال الايتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال في الادارة للملكية تتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه ونذله في مصلحتنا فان هذا المال على كل حال لا يرد الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري القاتر فارجوكم أيها الاستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما لبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جُنّوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأنني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماح هذه المسألة وبكى ، وبكل عدو للمسلمين قد أغرب لسماحها ضحكا حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاه لصرفه في مصلحة المسلمين فهل يشترط لحواز ارتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مال غير هذا الحاكم

أويمحكم بأن له صرفه في المصالح العامة لا يحل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لأن الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وأرجاعه الى من أخذه منهم متعذر فإذا أعطانا شيئاً منه لتنفقه في مصالحنا جاز لنا أخذه حتماً بل قالوا إن جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم إذا أخذوها برضى أصحابها ممن غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا ولو كانت وجود بعض أموال يتامى فيه غير متميز مانعاً من الانفاق به لكان وضع درهم ليتيم في ألف ألف درهم لغيره مانعاً لهذا من التصرف في ماله كما قال الغزالي في شبه هذه المسألة وذلك بديهي البطلان، على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذناه من الحاكم لا يخلو عما أخذه من يتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيراً جداً بحيث يعلم أو يظن أنه لا يخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك. وهنالك وجه آخر للجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجع جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم. وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فإن ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائز أيضاً لوجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦٤ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضعة سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية. ومنه تعلمون الحق في ذلك وتعذروننا إذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ اللذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشأة خلفه (اليوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فذكرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالمأكول والمشرب والمنكح وإن تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكل من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كاللذات وإنما تحصل لأهل الجنة لذات الأكل والشرب والجماع عند اشتها أنفسهم ذلك بدون فعل كاللذات يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلذ بذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقة فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك فهو قوله تعالى (٧٢: ٤٣) وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وقوله تعالى (١٩: ٥٢) كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٢٠: ٥٢) وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالجنة بالأكل والشرب والنكاح المعلومة لذاتهم تقريباً لأنها لهم وتشبيهاً لذلو وصف لهم التمتع بغير ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التمتع . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء . ولقد قصوري عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجياً الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملائمة الاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراك في المجلد الثامن ولازم في عز وجه والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لاختلاف بين المسلمين في الإنسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقة لا تبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرق مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من الملل وفي كل الانسان انساناً فلا وجه لاستنكاراً كله وشربه وغشيان أحد زوجته للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لاجرائها عن ظاهرها ونحوها عن معانيها اتباعاً للهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرق مما في الدنيا وان حقيقة غيبة ما رأيت مثلاً عين ولا سمعت مثلاً أذن ولا خطر على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقة جماعة بين الذة البدنية والذة الروحية لان الانسان بدن وروح . واني لأعرف سبباً لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا أنهم هم ان الذة الحسية تنقص في الحلقة لا يلبق بالعالم الآخر . ولوعقوا

حققوا العلماء أنه ليس في الفطرة نقص فداعية اللذة والتعظيم من كمال الحلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في تمتعه وقد يسرقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليمتتع به وكان ذلك ضارا بنفسه وبمن يعيش معهم كلف الاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضا على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الاسراف والعدوان من النقص لأنه يعوق الانسان في افراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وانما يناله اذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوقه سواء أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجع المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردت مزيد البيان فراجع تفسير الايات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أو آني الفضة وزكاتها﴾

(ص ١٢ و ١٤) على أفندي مهيب بتفتيش التفرقات بمصر :

أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصيبها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة النهي عن الاكل والشرب في آنيها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجهايرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٧) والذي أعتقده الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجاهل وان كانت الزكاة المعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالنقدين والانعام السائمة وغلة الأرض . ولعل الاصل في ذلك ما رووه في الحلي وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية انما الزكاة فيما حرم استعماله من الحسلي وأعل البيهقي ما روي في زكاة الحسلي بما

لا يحلّ لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتد عندي ما قاله الترمذي من أنه لم يصح في هذا الباب شيء.

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكتنز من الذهب والفضة وهو ما يجمع بمضه فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزوننا هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة واصطلاح أكثر الفقهاء على جملة بمعنى ما وجبت فيه الزكاة فلم تؤد والمبادر أن المراد به النقود المضروبة لأنها هي التي تكتنز وتتفق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي مرفوعاً «قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاؤوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء» فإذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن ضمرة وطريق الحارث الأعور عنه وقال سألت مجمداً - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال كلاهما عندي صحيح. والرقة هي الدراهم المضروبة. وقد أيد القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس. قال في حاشية المقنع وقد تكلم عن روايتين في المذهب: ووجه الأولى ما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم «ليس في الحلي صدقة» ولا يهرصد لاستعمال مباح فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل من البقر وثياب القنية والآحاديث التي احتجوا بها لا تتناول محل اتزاع لأن الرقة هي الدراهم المضروبة: اهـ وما ذكره من القياس على العوامل من البقر والخياب ظاهر جداً.

وقد علم السائل أن الذي أعنقده في المسألة أن المحذور من استعمال الذهب والفضة هو ما جاء به النص وإن ما تجب فيه الزكاة هو ما ورد به النص وقال بعض العلماء إن الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية. وهو ما يوجبها لا كبرون. وعلم أيضاً أن نصاب الفضة مئة درهم وإن فيها ربع العشر والله أعلم وأحكم

(بيع انقضاء المسجد وتجديد بنائه بشئها)

(س ١٥) ب في يبتزورغ (جاءه)

ما قولكم رضي الله عنكم في انقضاء مسعده ووقوف خرب وارادوا بناء فبل يجوز بيع تلك الانقاض التي لا تصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفتونا مأجورين
(ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع ما لا يستفاد منه الايتمه
وانما يناط مثل هذا بأمر القاضي المصلحة اذ ليس كل ناظر وقف يقف عند
حدود الشرع فلو وكل الامر الى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر
الاتفاع بها كذا وعدوانا ولا حاجة الى بيان اننا لانكاف حفظ هذه الاتقاض
بغير فائدة تدينا وتعبدنا ومن البديهي ان تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف
يتمد مع وجود تلك الاتقاض والأمر دائر بين بيع ما لا ينفع به في بنائه وبين
نقله الى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ انما يكونان بنفقة كأجرة التاقلين
وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأبي كتاب أم أية سنة تعبدنا بأن نفق المال
سدى لنحفظ ما لا فائدة فيه للوقف ؟ واننا نرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف
ليستبدلوا بها أعياناً أخرى أكثر ريباً والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نساؤها بالخور العين)

(س ١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي
تعلّمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمون بها بالاعمال فما بالـ
الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالخور العين الحسنان يتمتع بهن وينعم بقربهن
فهل في ذلك من حكمة

(ج) الخور العين هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها
فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لازوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب
السؤال هو توهم ان وصف الخور العين خاص بنساء يخلفن في الجنة وان نساء الدنيا
لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿ أسئلة من سمنافوره ﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبد . قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على
كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها الى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها
بعض نصر ف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالتراي كالمصلاة بالصحابة وتسلسل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وإنما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يصح منها شيء قطعي الدلالة لحديث أبي البرداء مرفوعاً « ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساكر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساكر « خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب « علي خير البشر فمن أبى فقد كفر » قال انه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة الاسانيد لكنها ليست نصافي التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي » قاله لعلي وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عتبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا وخير للمسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يمحوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه : أفندنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محق فيما ادعى به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطئ أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو عاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية نفيد بحيلتها وتفصيلها أنه كان طالباً للملك ومحبا للرياسة وإنه لا يعتقد انه قد وثب على هذا الأمر مفتاتاً وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايحه أولو الأمر أهل الحل والعقد وإن كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته شيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لثلاثا يفرق كلمة المسلمين ويشق عصامهم ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أخرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوضا ثم أنه جعلها وراثته في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطالها واستبدال الاصبغاد بها حتى قال قائلهم علي المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول علي المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استمتم فأعينوني واذا زغت فتوموني » وكان عسر يقول « من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه » وانني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطعن في الاشخاص والنزب بالالقاب . واللعن والسباب ، وانما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسموا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسما مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطع واليقين ولا يعرف قبر لنبي آخر ولا بالظن الراجح وانما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذر علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



أَنَّكَ تَجِدُ فِيهِ

وصف الأسد

لأبي زبد الطائي

دخل أبو زبد الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلغني أنك تجد وصف الأسد فقال له : لقد رأيت منه منظرا ، وشهدت منه مخبرا ، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات مامر على رأسك منه . قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صياحة من أفناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتعي بنا المهاري باكساتها القزوانيات (٢) ومنا البقال عليها العبيد يهودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمرا الساسي ملك الشام فاخروط (٣) بنا المسير في حمارة القيط (٤) حتى إذا عصبت (٥) الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وشالت (٦) المياه ، واذكت الجوزاء المصراء (٧) وذاب الصيغند (٨) ، وصرّ الجندب (٩) وضايقت العصفور الضب في وجاره (١٠) ، قال قائلنا : أيها الركب غوروا بنا في

(١) الصياحة بالتشديد من الناس جماعتهم ولبابهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا .
(٢) المهاري جمع مهربة الابل المنسوبة الى مهربة وهي نسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتد . (٤) حمارة القيط شدة الحر . (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد بشالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة إذا قل لبنها وأصله شول ذنبها للقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شولت القرية والمرادة قال في التاج ولا يقال شالت (٧) المصراء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشملت الأرض (٨) الصيغند عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغ نهايته (٩) صرّ صوت والجندب كدرهم صفيح الجراد يلزم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يصر الا عند ما يحمي وطيس الحر . (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دأثم الظل (١٣) شجراؤه
هفنة، وأطياره مرنة، فحططنا رحالنا بأصمول دوحات كنهيلات (١٤) فأصبنا
من فضلات المزاد (١٥)، واتبناها بالماء البارد، إنا نال نصف حرّ يومنا ومما طلته
ومما ولته، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه، وفحص الارض يديه، ثم مال بث
ان جال فحمم (١٧)، وبال فهمهم «١٨»، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد
واحد فتضعضت الخيل، وتكلمت (١٩) الابل، وتقهقرت البغال. فن نافر
بشكاله (٢٠)، وناهض بعقاله (٢١)، فعلنا ان قد أتينا وأنه السبع لاشك فيه،
ففرع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣)
فاقبل يتظالم (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدره نحيط (٢٦)،

واذا اشتد الخرجات العصافير الى الظل ولو في الأوجرة (١١) قال في الاساس
أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها: أي حيث
الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوج بالجيم وهو موافق لما في القاموس
ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الماء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل: الشجر
الكثيف المتلف والنبت الكثير المشبك. (١٣) الظل الماء الذي يجري بين
الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات. وشجر كنبيل كسفرجل
عظيم فهو وصف مؤكد. (١٥) المزاد أوعية طعام المسافرين. (١٦) صرّ اذنيه نصبها
للسماع. (١٧) حمم سهل بقلق «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف. «١٩»
تكلمت: أحجمت وتأخرت الى الوراء. «٢٠» الشكال جبل تشد به قوائم
الدابة وهو خاص بالدواب. «٢١» المقال: جبل يعقل به البعير في وسط ذراع
رهو خاص بالأباعر. «٢٢» جربان السيف نمده. «٢٣» زردق كجعفر بزاي
فراء وبراء الفراء القيام من الناس قال أبو الطيب يصف فكك سيفه جيش
مددحه بعدوهم

لقد وردوا ورد المطا شفراتها وصروا عليها زردقا بعد زردق

«٢٤» يتظالم يتمازج من الظلم وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات
الجنب «٢٥» الهجار جبل يشد في راسه البعير الى حقوه «٢٦» المحيط الزفير

ولبلاعيه (٢٧) غطيط ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه تقيض (٢٩) ، كما ما يخطب
 شيئا (٣٠) ، أو يظأ صريحا (٣١) وإذا هامة كالجن ، وخذ كالسن ، وعينان
 سيجراوان (٣٢) كأنهما سراجان يقدان (٣٣) ، وقصرة ربلة (٣٤) ، ولهمزة رهلة (٣٥) ،
 وكتمد مغبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مقول ، وكف
 شنة البرائن (٣٨) ، إلى مخالف كالحاجن (٣٩) ، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠) ، وكشر
 فافرج ، عن أنياب كالمحاول (٤١) ، مصفولة ، غير مفولة (٤٢) ، وفم اشدق (٤٣)
 كالنار الاخرق ، ثم تمطى (٤٤) فاسرع يديه ، وحفز (٤٥) وركبه برجليه ، حتى

(٢٧) البلاعيم مجازي الطعام في الخلق «٢٨» الوميض إيمان البرق الخفيف . «٢٩» الرسغ
 كقفل وبضمتين الموضع المستدق بين الخافر وموصل الوظيف من اليد والرجل
 ومفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة .
 والتقيض صوت المفاصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرجال
 وما في معناها «٣٠» الشيم النبات اليابس . «٣١» للصريم معان كثيرة أوجها
 هنا الأرض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت خابط المشيم وواطي
 الصريم والخبط الوطاء الشديد والحجن الترس والمسن ما بسن عليه يعني ان
 وجهه لالحم عليه «٣٢» سيجراوان مشوب بياضها بحمرة . «٣٣» القصرة كبقرة
 أصل العنق اذا غلظت . «٣٤» الربلة الكثيرة اللحم «٣٥» الهمزة كهكرة بالكسر عظم
 ناتي في الهي تحت الاذن أو يجتمع اللحم بين الماضغ والأذن سورة رهلة مسترخية . «٣٦»
 الكتد الكاهل أو يجتمع الكتفين ومغبط محبوك أو مرتفع «٣٧» الزور وسط الصدر .
 ومفرط ممثلي وهو مجاز والأصل فيه أن يستعمل للتدبير وقهوه فيقال غدبر مفرط أي
 ملائ ما . «٣٨» كف شنة : غليظة . والبرائن جمع برثن كقنفذ هي من
 السباع كالاصابع من الانسان . «٣٩» مخالف الاسد أظافره . والمهاجن جمع مهاجن
 كبير وهو العصا المنعطفة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالم
 الخ . «٤٠» أرهج : أثار الغبار «٤١» المحاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مفولة مثله
 «٤٣» أشدق عظيم الشدقين . «٤٤» تمطى تمدد وتبخر «٤٥» حفز وركبه برجليه

صار غله متليه ، ثم أقمى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فاكفر ، (٤٧) ثم تجم فازار (٤٨) فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، سكان ضخم الجزيرة ، (٤٩) فوهسه ، (٥٠) ثم أقمصه ، (٥١) فقضض منه ، (٥٢) وبقربطه ، فجل بالغ (٥٣) في دمه . فدمرت (٥٤) أصداي فبعد لأي (٥٥) ما استقموا ففكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيها حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من دوني رجلا أعجز ذاحوايا (٥٩) ففصه نفضة فترايلت أوصاله (٦٠) واقطعت أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) فقرقر ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زار فجرجر ، (٦٤) ثم لحظ فوالله خلط البرق يتطاير من تحت جفونه ، عن شماله ويمينه ، فارتعشت الأيدي واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الأسماع ، ومججت (٦٧)

دفعهما بهما وهما مثني ورك ككتف هي ما فوق الفخذ (٤٦) أقمى : جلس على آليته ونصب فخذيه واقشعر ارتعد . (٤٧) اكفر كاح وعبس . (٤٨) الجهم الوجه المظليط السميع وتجمه قابله بوجههم وازار : تنفس ونهيا للشر . (٤٩) الجزيرة كمنخالة أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . (٥٠) وهسه رماده وضرب به الأرض . (٥١) أقمصه قتله مكانه واجبر عليه (٥٢) فقضض منه كسر ظهره - وبقربطه : شقه (٥٣) بالغ يشرب بطرف لسانه . (٥٤) ذمه على الشيء حثه عليه لاثما أو معنفا ليجد فيه (٥٥) لأي : بطا . (٥٦) مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لدته (٥٧) الشهم كبيرق التنفذ العظيم - والحولي الذي مر عليه الحول (٥٨) اختلج انزع واجتذب . (٥٩) الأعجز المتلي جدا أو عظيم البطن - والحوايا : الامعاء (٦٠) ترايلت تباينت وانفصلت - وأوصاله جمع وصل كمنسر وهي المفاصل أو مجنح العظام . (٦١) الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . (٦٢) نهم : بمعنى نهم أي تمنعج - وققرقر هدر وزار : زفر اخرج نفسه بده بصوت - وبربر صوت (٦٣) زار : صات من صدره . وجرجر : رد صوتا في حنجرت (٦٤) اصطكت اضطربت (٦٥) الاطيط صوت الرجل الجديد وما يشبهه وصوت الظاهر والجوف عند الجوع واطت الابل أنت من التعب أو الحنين (٦٦) التجميع هو نظر الفرع المذعور والمتعير المبهوت فالاول يكون بدوران الحدة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

العيون، وانخرزل المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،
عبوس شمس مصلخه خناس (٦٩) جري على الأرواح للقرن قاهر
منيع ويحمي ككل واد يريده شديد أصول الماضفين مكابر
برائه شين وعيناه في الدجى كبحر الفضا في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنساب حداد كأنها اذا قلص الأشدق عنها خناجر (٧٠)
قال عثمان (رض): اكف لا أم لك فقلقه أرعبت قلوب المسلمين وقصد
وصفته حتى كأنني أنظر إليه يريد برأثني.

﴿ قد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص ٢٣٣) شاكي الجواض من خلائق ظالم شاكي السلاح على الحب الاعزل
(شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة
فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما ان يكون من الشك ويكون
أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتمام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر
(ص ٢٥٤) رأيك للسفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل
(السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرّد الطويل) السفر هنا ليس أصله
مفتوح الفاء فكأنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح وانما هو بسكون الفاء
من الأصل لأنه جمع سافر كصاحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفاري مسافرون
والمطرّد اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرّد وهو
نست سفر باعتبار لفظه كأن يؤمّن عاد اليه باعتبار معناه . والمطرّد انما يكون
بمعنى الطويل اذا أجزى على اليوم نعمتا يقال يوم مطرّد اي طويل كامل تام يقول

اليمينين وكلاهما يصبح هنا «٦٨» انخرزل المتون أي انكسرت الفؤاد «٦٩» والمصلخه
المنقصب قائما الشمس المنتع لا يسكن منه أحد الخناس النكر، المطر والتوي الشديد
الثابت وهو من أسماء الأسد «٧٠» يدل بالشئ يجرى بسببه ينال أدل بقوته وساماته
وأدلت بمحسنها وجمالها والأشدق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكثير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يؤمّونك كما يؤمّ السطاش المناهل .

(ص ٢٥٤) والأتكن تلك الاماني غضة نرف تحسي ان تصادف ذبلا (ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذا لم أصادف اماني غضة طرية فاني براضر بان تكون ذابلة لا غضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨ وتفسير الذبول هنا باليأس فضلا عن كونه لا يصح لغة لا ينطبق على قصد الشاعر ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من الفائدة والنفع ولو قليلا وتلك القصة كفى عنها شاعرنا بالذبول فلو أراد بالذبول اليأس كان كناية عن خيئته وعدم نيته لآمانيه وقوله «حسي» ينافي هذا كما لا يخفى (ص ٢٦٩) قدعتم فشيتم مشية أما كذلك يحسن مشي الخيل بالهجم (قدعتم الحتم) لعل صوابه ألحتم لانه يقال ألحمت الفرس لاجلته . ثم ان تفسير القدع بالالجام لا أراه صحيحا وارادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن القدع الكف قدعه فاقطع وقدعت الفرس اذا كففت بلجامه لتنه من حدة جريه فالشاعر يقول ردعتم عن مراكم وكفقتم عن غيكم كما تكف الخيل بلجامها فتشي مشيتها المبهودة

(ص ٢٧١) أرض مصرّدة وأخرى تشجم تلك التي رزقت وأخرى تهرم (مصرّدة لاشجر بها) الارض التي لاشجر بها يقال لها مصراد كفتح لا مصرّدة اما المصرّدة هنا فمن التصريد ومعناه التقليل وصرد له الطاء قللة وصرد السقي قطعه دون الري وشراب مصرد مقل قال النابغة وتسقي اذا ماشئت غير مصرد بصبا في حافاتها المسك كارع وقرن الأنجام بالتصريد هنا مثل قرن الوابل بالطل في الآية الكرمة . (ص ٢٩٤) وبالخدمة الساق الخدمة الشوى قلأهس يبعن العبسى المحدما (الخدمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لافي تفسير الكلمة الاولى «الخدمة» ولا في تفسير كلمة القافية «الخدما» لان ما ذكره من صفات التحجيل وهو الخيل . وكلمة القافية جارية على العبسي وهو العظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محركة سير غليظ يشد في رسغ البعير اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فيها وصف للفائدة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخددة أي مخولخة لأن الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلل كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبذل قطيعه فبعد ان كانت تمرح فيه الغواني زلت الخلائيل عارت ترتع فيه التياق اللانثة بخلها المشدود الرسغ بالسير .

(ص ٣٠٣) قد قلصت شفتاه من حفيظته فخليل من شدة التعنيس متبسما (قلصت كدت) الكد والكدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليس في شيء . والتقليس له معان واذا استند الى الشفة قيل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى أنزوت وتشرمت علوا وهذا ما أراداه الشاعر (ص ٣٢٣) ويرم المصدفية حين ساموا أو شروان خطبا غير هين (ساموا اذا قوا) سام فلانا الأمر كلفه اياه وسامه خسفا أولاه اياه واراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كافي الاساس وأصله ان يحاول صاحب السلة بيعها بشئ ويريده مشترها على أقل منه . فتقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أو شروان على التوسط في خطب اعتدوه له وهو يحاول التضي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذافة تكون حملها مالا طاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا .

(ص ٣٢٤) تأمرت نكبات الدهر ترشقي بكل صائبة عن قوس غضبان (تأمرت اتعقت) تأمروا تشاوروا كآتمروا واستناد التأمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف . وتفسير التأمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه واللائق بها هنا . واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وإنما هو شيء يفهم من المقام (ص ٣٤٤) أميلوا العيس تنفخ في براها الى قر الندامي والندي (البرى الثراب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أقب البعير تكون من صفرو ونحوه ومنه قول المتنبي « يرعفن بالامشاج من جذب البرى »

والعيس إذا أوصت في السير تجعل تنفع ونفخا يمر على تلك الحفقات المعلقة في
أنوفها لالتراب الذي على الأرض على أنه لا معنى لإضافة التراب إلى العيس
(ص ١٣٤) كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقادة لقادر غريب

(اللوب الابل السود) الالة الابل المجتمعة السود على أنه لا يمكن أن تراد
الابل السود هنا قطا ثلاثا يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لأن الشاعر إنما يصف
الابل ويظهر من تشبيهها بالليل والزنج أنها كانت سوداء فكيف يشبها وهي
سود بالابل السود. وإنما اللوب هنا جمع لوبه وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض
ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لوبي نسبة إليها وتسمى الحرة أيضا لالة
ومنه لابتا المدينة.

هذا ما أردت محادثة الشارح فيه أو مؤاخذته عليه مما سبق إلى الخاطر
الكليل لأول وهلة ويخيل لي أنه لو بالغ منتقدي انتقاده لمر على أكثر مما
عدته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب علي ظني تحريجه أو تصحيفه
كقول الشاعر ص ٢٧

فضربت الشتاء في أخذه ضربة غادرته قودا ركوبا

فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح أن القود باقاف الخيل أما
البعير المسن فيقال له القود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص ٤٤٩
قضيبي من الرميحان في غير لونه وأم رشا في غير أكرامها الحمش

فقال الشارح (الحمش الخشنة) والصواب أن الكلمة في البيت مصحفة عن الحمش
بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضليلهما وقد حشمت ساقه وهو
حمش الساقين ومنه قول الخاسي بهجو امرأة

وسباق يغلغلها حمشة كساق الجراد أو أحمش

ومثله ما في ص ٣٥

كلاجل العطر يصب لإح لينة خزر وأنت عليه مثل الاجدل

فقال الشارح (الخزر الحساء الدسم) مع أن الاجدل الذي هو الصة لا يأكل
الاطعمة الدسمة ولا ينقص عليها وإنما الكلمة خزر كخز دولا يهازح لاراء عنها ذكر

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صهوة فرسه كالصقر يطو صقرا
رأى أرنباً فجذ في أثره . ونظيره أيضاً ما في ص ٢٥٦

أبا جعفر ان الجبال أمة ولودٌ وأمُّ العلم جذا حائل

فقال الشارح (جذا بلا ثدي) فسرهما على كونها من الجذ بالذال المعجمة
وهو القطع وإنما هي جذا بالذال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللين لميب
خالقي في تدبها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلاً ربما
لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (هي) جمع أمنية (جيش أرب)
متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (أخرج) أجبر (الحديث مرار)
سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلاقه)
تضطرب (يجم) يترك (الطويل) الحبل الطويل (سيديل) سيتقم (المعرس)
المنزل (الاصطلاح) الانتهاب (الوابل) المطر (البنان) الاصابع (لاحب) طريق
من حاجة كاسدة (الكال) المصيبة (الهبات) الامور (شكائم) انتصارات (اقتضى) طلب
القرض (يختر من) يختار في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو
بالاخف أو باللازم وهو ما ياباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا
فاحشا وجريمة لا تنقصر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره . ألم أحدث بها حضرة الشارح
وهي أنني عدت عليه كلماتي من قبيل المشترك وقد فسرهما بمعناها غير المراد
للشاعر كتفسيره للبرى بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما أنفا
فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشارك بفسر المراد منه غير موضع
للاتنقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحاً
لديوان أبي تمام وعداً مؤاخذاً له على تلك الكلمات مؤاخذاً في غير محالها وعلى
غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين
جارية » بقوله الدين الباصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحاً الكلام
الله تعالى - وكنت اذ ذاك جديراً بسحب الكلام وطلب انفق والسلام »

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح • لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعه النصارى في عصره فدلنا أن القوم هم الذين كانوا يمتدون في الماضي كما يمتدون في هذا العصر وما كانوا إلا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص وأنه مؤلف من ستة فصول (١) في أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل إلى الجاهلية من العرب (٢) أنه أنشئ في القرآن على دينهم بما أوجب أن يثبتوا عليه (٣) أن نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤) أن ما هم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) أن المسيح جاء بعد موسى بنفاية الكمال فلا حاجة بعده إلى شرع وقد أورد كلامهم في كل فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على أنه كان مطلعا عليها أم الإطلاع وأيديان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يبعد في كلامه من البسط والايضاح • وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم والتاريخ وإيضاح المشكلات النامضة في الدين وغيره مما لا يوجد في كتاب سواء ومن أعظم مواضع العبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع لبيان وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الأمة على أهل الكتاب بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحقق في جميع العلوم من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية كعلم الطب ومشلا والحساب وشبه ذلك (أي من العلوم الكونية الطبيعية ورياضية) هم أحقق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوائل الذين كانت غاية علمهم • وقد يكون الخائق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الخندق في تلك العلوم
فصار حالة المسلمين ، أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من المتقدمين ،
ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الإلهية والأخلاق والسياسة الملكية والمدنية
وانتقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم . ولا شك ان
المسلمين كانوا الى عبده أكمل الالتم في علوم الدين والدنيا . فماذا عساه يقول لو خرج
من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يحاربون
فيها العلوم باسم الدين وصارت حالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علمائهم في هذه
العلوم التي كانت حالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علمائهم ؟ هل اقبلت الحال
واستحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم
منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الاولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذلك
ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم
الكونية ؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم
وبمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح

هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القباني بخان الجليلي
وفي مكتبة المنار وعن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بيلم أدب
اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما بقيت عليه حوادث الزمان من كتب سلفنا في
دارنا وما جذبه منها طيسية العلم والعمارة منها الى ديار أوروبا لعلوا ان القوم
ما غادروا متردما فقد أوفوا على الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا
بعضها الاسس لتبني أو بنوا لهم ونكّل فقصنا ما كملوا وهدمنا ما بنوا وعفونا تلك
الاسس حتى جهلنا شكلها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس
الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلشندي المصري
المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة عني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) طبعتها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الانسخة قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوروبا
والكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أودعه صندوق مساكنه
وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامة فوجد جزءاً
منه قطعه طبعها حسناً بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت
صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة. وفي الأبواب
فصول. أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها
خمس أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الاسلام
واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في
قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه
وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول.
وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان.
وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاً ووراء وفيها ثلاثة
أبواب. ولو أردت ان أسرد للقارئ ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال
انه لم يترك شيئاً يشغفه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه
لأسماء الامور الرسمية كالاسماء والكنى والالقب والنعت ورقاع كاتب السر
وقوائم الوزارة ومهمات الجيش والمناسيب والاقطاعات والمستندات وكتب
البيعة والهود والتقاليد والتعاويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن
والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية
كمكاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات والادوات الفنية
ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله. وجملة
القول انه لا يستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في
مطبعة الواعظ بدرب الحمامين ومن النسخة منه ثلاثون قرشاً صحيحاً وانتقدنا على ناشره
أن نشره بفهرس جدول للفهرس فوعده بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الزواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيراً لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبساً من دروس الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بعلاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئاً فمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قرش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويبيع بمكتبة المنار هذا وإنا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة ترميماً بالقرص من الكتاب قال بعد البسملة والحمد والتسليم

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وقفنا لجمع هذا الكتاب، لذي تلقاه بالقبول أولو الألباب، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية، مع مراعاة حال العصر والترقى من شرور المدنية الغربية، تلك المدنية التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت، إذ فتن الناس بشر ما جاءت به، وطفقوا يتركون لأجلها خيراً ما كانوا عليه،

«لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار، وتنقل في الأقطار، حتى نفذت نسخ طبعته الاولى، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى، رأيت أن أريد في فوائده ومسانله، وأضف اليه شيئاً من أحاسن الكلام وعقائله، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية، مقالات في « الحياة الزوجية »، المنشأ الذي نفتخر مع حضرة قاسم بك أمين، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين، فأخبرت ان أجعلها خاتمة للكتاب، لأنها في الموضوع لب الباب، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاماً عالياً، وهدياً سماوياً سامياً، في تفسير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كلن اقتنسه

صاحب « المنار » من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وهاكم نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذكروه . ففرض المؤلف أن تربي البنات تربية دينية ويعلمن ما يحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، ويانهم الفرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفتش اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدى اليها القسم الأول من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتوح يتميد تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلى ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من ثرو الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الاموية والعباسية . ويدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحقق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمه المحرر بحريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصري القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربعة فصول اثنان منهما في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المراكز الكاذبة لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . و يليه الخاتمة سيفي بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقيا متعلق بتحريرها ورأي بحريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التبريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الاطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم وأمل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن
 الأوربيين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب إلى
 الاخلاص من بعض أحداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في
 ذلك الا ويقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها
 افصح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملنر في قوله « ان مصر بلد
 التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة
 المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدهش فيصير مضحكا » فيليق إذن
 بمن يرقب أمور هذه البلاد ويشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقفا لنلا
 يلقيه حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه . وما أظن ان
 المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه . وقد أحسن مترجم
 الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويوم علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس
 الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل
 وقبض الحول على أقلامهم بيد من حديد : اه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس
 من أقدم الكسل والحول عن العمل لامن أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع
 بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى
 تكون بنية صحيحة قوية . فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم
 لاسما اذا كان أمة » وجملة القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب
 والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينبغي شي الا الترية الاستقلالية الملية والعلم والاقتصاد
 وانه لا حياة لقوم لا هم ولا أكثرين منهم الا التمتع بالذات والاهتمام بأشخاصهم
 دون أممتهم ، أولئك هم الذين اذا أعظمهم مستعبد يسرقهم مستعبد ، فليطلب
 المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لامن انكثروا بقول قائل أو كتابة
 كاتب يخاطب من لا يسمع وان سماع لا ينالك أن يحجب كافل الشيخ توفيق البكري
 بخطاب ولي عهد انكثروا بالمؤيد ، فحسب انكثروا ان تبيع لهم كل عمل ومن لا يعمل
 لنفسه كان من الحاقان بطالب اجنبيا ملكه بأن يجره . وهذا لا يمنع وجوب تذكرة
 لجرائد الامة بطلب الاستقلال والاستعداد له . وثمن الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجمايز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية ونيف

« وضعت إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقرير هذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم نجمع
حروفه في المطبعة لأن ورقته سقطت من أبدي مرتبي الحروف كما أظن وقد ذكرنا
بعد ذلك مذكر مناباته أخرج من بين الكتب التي يراد ترميمها أو التعريف
بها ولم يكتب عنه شيء في المحلة. وما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض
الكلمات العربية بمرادفها العامي. وطبع الكتاب متقن ورقة نظيف وشكله
لطيف وصفحاته ٦٢٤ ويباع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقوم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقوم فهو ترب المنار. وصاحبه محمد أفندي مسعود
يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيد إتقاناً. وقد كنا أول من
اقترح عليه وضع الفهرس للتقوم ونحن الآن نقترح عليه ثانياً ان لا يجعل الفهرس
خاصاً بالأبواب بل عاماً للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى أنه
إذا وضع للمباحث فهرساً مرتباً على حروف المعجم يكون ذلك مزيداً في فائدته
وفي إقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدها وأضيف
إليها مقالة كتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي) في حكمة تهريم الخنزير
أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتاباً يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير
وتمن النسخة منها مع أجره ثلاثاً قرش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجعت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الضرب

من القصص المعروفة بالروايات محبب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تولف لها قصص في انتقاد عادات البلاد المضارة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما اهدي لنا من هذه القصص - أهواء الشيبية ، عشيقه الملك ، مقتل هنري الرابع ، الفؤاد الحكيم ، القاتل المنتكر ، شرف الاسم ، سر ولاسر ، والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولاسر وقصة الخنجر التركي الممثلة بها فخيرها ترجمة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كلهن والآخره نين لك آراء الافرنج وتخيلاتهم في الترك وعاصمتهم . وإننا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة نصف الرذائل والشعور وتشرح أعمال الفجار الارذالين بحال من الاحوال

(خير الدين)

« مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجمابي مدير جريدة (الصواب) بتونس » وقد صدر العدد الاول منها في غرة صفر مطبوعاً على ورق جيد مؤلفاً من ٢٠ صفحة مصدراً بصورة محمد الهادي باشا باي تونس العظيم وفيه بعد الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالمثال المذكور بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب « أقوم المسالك سيفه أحوال الممالك » وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحث على العلم ، فنبذة في الشعر المصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك فتش على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، ونتمنى له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

المنبر

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيورورك عيد افندي ميخائيل ذببه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فتش على التوفيق والنجاح

بَابُ الْحِجَابِ الْأَعْلَى

﴿مسئلة العقبة﴾

بيننا في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا إدارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدت لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكاثرا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعادل الحربية في شبه جزيرة سيناء لان محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير مقبول وهي تخاف من انكاثرا على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بإشياء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان اسكاثرا أنفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكاثرا ان العساكر العثمانية بالرصاد فظهر الامر وبدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكاثرا هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكاثرا من جصل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيره عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دون جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكاثرا ما توهموه من الدولة بايهاهم من جنسه فأنشأوا يهودون شيعهم وسائر انشعوب الاوربية بأن السلطان يريد تهيج العصبي الاسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لا يهاهم شبهة في ثروة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وان أضعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سور يا والحجاز لما بالأت ان تزيد في مساحة ما ساحت به لمصر منها، ولولا أن انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تتوقع هيجان مسلمي مصر أو نورهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أسرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بمحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الحدود بين وفي التفراف الصادر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتتعهد انكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فسي ان تحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال - وهي في هذه الحال - ان تزحف على مصر أما انكلترا فلا يبعد أن تقصد إقامة الماقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعاد اقامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة بخالفه لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية - وأمانتي بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم - وان تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكراً ولو مصر يا فأت كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (مصالحها وحكامها) ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطراً من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الإصلاح منهم انه لا يمكن الا تيان بعمل يحيي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غيره مصر والهند بل لآخرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

(النار ٣: ٩) الأمير حسين باشا رئيس الجمعية الخيرية . تنصر المسلمين بقبرص ٣٣٣

ابريطانيا العظمى ان تعدد هذا الاعتقاد عوناً لها على كل دولة تناوئها في الشرق وعليها أن تحافظ عليه وتحمي مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة ، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بنفسيهم ايهاا على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهد المقدسة آمنة اعتداء الاجني عليها ، أو تدخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغررين بالفتوغا ، فازبد يذهب جفا ، وانما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿ الأمير الخادم للفقراء ﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)
استدار الزمان وتغيرت أحوال العمران ، وتبدلت الأوضاع ، وارتقت شؤون الاجتماع ، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء ، محصورة في خدمة الدماء ، بعد أن كانت قائمة باستعباد الفقراء ، وامتصاص دماء الضعفاء ، وما قفى أمراء المسلمين يرون أنهم من جنس أعلى من جنس الامة ، وان شرفهم ذقني لطيتهم لاشرف الملّة ، فهم يرفعون عن مشاركة الجمهور في المصالح العامة ، ولو اعرف لهم في ذلك بالماز بالخاصة ، حتى في مثل هذه البلاد ، التي زال منها الاستبداد ، وهن الفخر بمجد الآباء والاجداد ، وصارت المعارف والأعمال ، هي الميزان لاقدار الرجال ، — حتى قام الأمير حسين كامل باشاعزير مصر بأبطال تلك التقاليد العتيقة ، ومن للأمراء في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطعم أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختبار هذا الأمير رئيسا لها بعدد الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ما يعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية ، فعرضوا عليه رجاءهم فيه فانأبى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين ، وأطمانت قلوب الفقراء والمساكين ، وشكرت له ذلك أسنة المسلمين ، بل أسنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى الجزيرة وضياها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين يجيئون من بلاد اليونان للدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يمجب قراء المارثلل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاء تعاليمه وموافقته للعقل والفطرة لا يمكن ان يختار عليها غيرها ويعهدون أن دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، ويفتقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يحجب دعوتهم في كل بضع سنين، الا واحد أو اثنان ممن أضلهم الفقر، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا العجب اذا علموا ان أولئك المنتصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فمادى الجهل يظلمهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولغتهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن ير بي في أفرادهم حساس الشرف الملى والذمرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأمف المعجزة والزمنى أو يشفوا غمظهم بدم الحكومة التي تبسح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا ويفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . وليعلموا أن أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الاديان خطرا عليه وهم مشركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن تفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المعتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين تجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كتبرص وأفريقيا للإرشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (١٠٤:٢) ولكن منكم أمة يدعوون الى الخير ويأمنون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجرائدهم ﴾

كتب البنا صديقا الشيخ محمد نجيب التونتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٢ م انصه:

(وتأخر نشرها لتأخر دور السؤال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوحدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المنكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المجال المتعددة ذا كروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الاهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية اسلامية في الروسية فيعد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قران مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قران مخبري - جريدة سياسية علمية ملية تصدر في كل اسبوع ثلاث مرات (٢) طائف (صباح) كذلك (٣) بلذر (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغجه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم نوان - مخصوصة بالاناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان اسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية باغة أذربيجان والاخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم تخطر أسامها وفي جايق (أروالسكي) (١٣) فكر - جريدة (١٤) العصر الجديد - مجلة كلتاها اسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) ألقت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما بعد فالأحسن الخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الإصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس يفتضوا به الرقعة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ إصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قران يقول « اتنا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بهد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختها بواسطه محبتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الاسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قران وخيم

جدا لا يدرس فيها الالمان في من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التقاراني والنحو والصرف يكتبه المعروفة بشرط أن يضيح من العمر خمس سنين من غير فهم ولا يدرس غير ما ذكر لامن التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريموا من هذه التكاليف واستقلوها لاعتياهم أكل « بلش الحلة » - طعام من الأرز خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم جان البارودي اثنان ومثان طلابا من ذوي النهى وأبقوا من لا يهتم بشيء من الاصلاح وسبوا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) واسكن الظالمين في ضلال بعيد ، فيا أهل الخير والحمية الدينية، ماهذه البربرية في زمن المدنية، إلام نكون ضحكة للاجنيين ، وحمام نعمة في جهاتنا أجهين ، - فاسيدي هذا حال بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تسمى مصر قد خاضت في هذه المسألة في العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغجه سراي - روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى محمد جان والد علجان المشهور) بقران الى آبائهم

حضرات آباءنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقران اذ لم نجدوا مدرسة أحسن منها . وكان مقصدكم من هذا هو ان تعلم في المدرسة العلوم النافعة وتعلم بالاخلاق الفاضلة وتكون رجالاً نعمل لمصالحنا ولمصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه الحالة لا يرجي منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبتغي عالة على الناس نتعجز بالدين أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان تعلم عشر سنوات أو أكثر

وليس امامنا سوى التأذين والامامة . وهذان المنصبان يشول أمرها شيئاً فشيئاً الى التماسه والشقاء فان الامة والحطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي تعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والحطابة أيضاً . ولا يعلمون شيئاً من الاخلاق والثرية بل تعلم فيم الاخلاق السافلة كالجن والطمع وظلم الفقراء والتعلق بالاغنياء والكسل نحن لانكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلما سوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام مامعناه (شر الخلاق علماء سوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر ونقاسي فيها من أصاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمقتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل متخرج في المدارس .

وأما أسانذتنا فيملون أدمقتنا بالحرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا بالبرانيات والفتازانيات ، ويسوموننا لحفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤوس المرة مالا تعلق له بالدين بالمرّة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقويتنا ولا بالعلوم العصرية تسليحنا . عبيد أو هام جبناء ، خلق من العقول سخفاء ، ترمد فرائض الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين . نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين ببنائهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لا نأعلمنا انه لمن مجاري المتعلمون منا في مضمار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربيننا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا اليها شراً ثم سثموا تكاليفنا فأشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتمجّب كثيراً من أن امتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

جعة ولم تخطر ببالها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركناها في زوايا الاهمال والنسيان . لابقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهل شأنا . نحن نقول ونرفع عقيرتنا: ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا لا نأسف لخروجنا من هذه المدرسة ولن ندخل غيرها لانها كلها على نسق واحد حذو النقطه بالنقطه ونختم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس والا فمليكم وعلى مدارسكم السلام » (المنار) وسننشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العالوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود فغدر واعتدى فعمل ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيديته ليلا فرحف عليه الى روضة منها وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد رحف ابن مسعود على (حابل) وتلك عاقبة البغي «وما هي من الظالمين ببعيد»

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوروبا المسلمين بالفلو في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو بركان التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم اقامت قيامتهم على الشيخ محمد بنحيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بمحدث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجسدي في أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الشرثرة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كسب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى هاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبعمهم العوام بلفو الكلام لا تعصبا للخليفة وحماية للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب النجاشي: ح أحد المشركين في الجبل الأسود ما يأتي
 إلى حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا
 أفند كنت سعيداً لما وفقني الله إلى الاشتراك في المنار وإن كنت قليل العلم
 قصير الفهم ولكن نفعت كثيراً ونهيت عن كثير ففي هذه السنين ما أتيتم بالخطأ
 إلا جئتم بعده بالتصحيح إلا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأعجب كثيراً وأجسر
 أن أكتب إلى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي
 قلم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « ويشكو سيدنا الحسين عليه السلام »
 وقلم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن علي عليه السلام » وفي ص ٩٠٨
 منه أيضاً « من أثر علي وفاطمة عليها السلام » فأظن الفقير أن لا ينال بعد ذكر
 أحد « عليه السلام » دون الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين
 فإن قلم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة علياً وآله دون غيره
 من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح
 أو الجواب الشافي من غير مؤاخذتي لأن كلامي هذا يدل على عدم علمي كما
 لا يخفى عليكم والسلام عليكم اهـ

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء فأجازها قوم مطلقاً ومنعها
 آخرون مطلقاً وقال بعضهم تجوز تبهما لا استقلالاً . ومن قال بالجواز مطلقاً
 البخاري واستدل بكثيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صل على آل أبي
 أوفى » وأجيب بأن ماورد خاص بالله ورسوله و بال دعاء ابتداء وقال ابن القيم ان
 كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة
 على الأنفراد وإن كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله
 وأما السلام المسؤول عنه فقيل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي
 وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكون ان يقال « عن علي عليه

السلام » وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : ولا يقول الصلاة علينا : فعلم الفرق والله الحمد أهـ

أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن تبهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشعبة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الاقتاد علي المنار منقولة عن نيل الاوطار لا من كلامنا

﴿ قصة المولد لديع ﴾

كتب اليانمن سنغافوره ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتجهجون في شأن المجلس الذي تقرأ فيه رجاء بالتيب وجراءة علي الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيتنا وبينه فليكتب اليانا رأيه موبدا بحجته ونحن ننشره مدعين له ان ظهر لنا انه الحق أو ميينين مالدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بخيت ﴾

بلنا ان الشيخ بخيتا يريد الرد علي المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك . وانه ليسرنا ذلك وتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مدعين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لانسربا جانبنا الي مائدعو اليه العلماء في كل سنة وندعهم اليه بالانتقاد علي ما نراه منتقدا منهم ليضطروا الي الانتقاد علينا ولو اتصمروا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يهبطون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا برد عليها

في الحكيمة من يشار من يوت الحكمة فداوتي
عمر اكبرا وما يندسكو الا اولو الابواب

المجلد
١٣١٥

في صباهي الذين يستمعون القول فيهمون
أولئك الذين عدوا لهم أوقاتهم أولو الابواب

قال علي الصلاة والسلام: ان الاسلام صوي « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الخميني غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ - ٢٤ ايار (ايار) سنة ١٩٠٦ ﴾

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرها في العدد ٤٩٥ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى - التربية

في ليلة الأحد للماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغانى وانتظم في سلكه جم غفير من نبيهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمى الدواوين ومحضر هؤلاء أولئك شنف المسامع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية نعيماً للفوائد ويانا لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلاً متناسباً بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالغلبة على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلبها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما ييسر بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فإن غلب أحد العناصر على سائرهما واضطربت خواص بقيتهما فانه حرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ماسواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الفريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المحتوي الى اليبس فظير الموت والفناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليعتد في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحتدز من تسلط الحوادث الخارجية عليه وبما به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتتم حكمة الله تعالى في بقاء الانواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالناتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم لها نموها ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) منقولتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها ويقفون بتجاربيهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طيبيا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعى وعلوم النباتات ليعلم خواصها، ويميز فاضها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخبرها بعلم الامراض وأسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئاً كان فقهه خيراً من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ يجعله يستعمل من الادوية ما عساه يبيح المرض ويعين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالماً بجميع ما قدما يجب ان يكون شقيقاً وحياداً أميناً لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فإنه ان كان قسياً عديم الرأفة أو كان خائفاً لم يجر بما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقاء السم في الادوية مثلاً أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من العرض الثاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكثر بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فهدمه أيضاً خيراً من وجوده وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع اصول متضاربة ينشأ من قتالها مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها ومخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبنة سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة ربات شقيسي الحال وسقط في مهوأة التعب والعناء المفضيين الى الحزن والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجراءة وخلق المحافة وهما متضادان ومن مقاومتها على وجه معتدل بحيث يستعمل كلاهما ليق به من المواقع تحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتلب المحافة لكان قاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يهدده في جميع أوقاته ولوان الجراءة تقلبت على المحافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالممالك لحق ونفير حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلبي بروحه في مهاوي الملكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه . وكذلك لا بد من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يتقوم من تعالبيها في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ولوان الامساك تقلب على ضده حتى اضمحل فيه لامساك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللاثى من الاغذية والالبسة مثلا فيضر يده ولم يوف بحقوق مشاركته في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم ويتأدى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ولو تقلب البذل لا تفق جميع ما يبيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما يفتق في أزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة للطرفين متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبطبيعة أحدهما على الآخر يحتل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا يسمنا المقام لتفصيل ذلك . وكما يقع العناد بتقلب أحد الضدين على الآخر في النفس يقع أيضا بتقلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المنفذة للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والفرائر الناقصة وانفعال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقليدها بآدابهم أو باستماع إغواء ذوي الاهواء وتوجيهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيوية المذممين للافكار الرديئة المؤيدين للقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فللفسوس علل وأسراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهديب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولو ازمه لحفظ صحة البدن كما ينبتا فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الاخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما يلزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعى والنباتات والحيوانات وعمل الامراض واسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طيب النفوس والأرواح اذ ارقى منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بالارشاد أبناءها وتاريخ غيرها من الامة أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيا ودركات تنديها في جميع الأزمان وان يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وأنه حديث أو قديم قوي في النفوس أضعف وما هو العلاج اللائق بكل صنف. وكانه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الاخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أميناً لا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السفلة كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة من تعهي المهم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بمطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزقت بمطيين لا أطباء بأن تصعد على منابر النصح فيها الجملية والاغبياء والسفلة والادنيا، فأندرها بالعناء والشقاء، فان المرشد الضال والنصوح الجاهل ودع النفوس رذائل الاخلاق باسم انها فضائل ويفرس فيها جرائم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويعمده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلجج وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت قمع الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن المدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائفا أو دنيا ينحط الى سفاسف الامور أو عدم

الشقة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سبيلا للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خيبر أو شر، صفت النفوس أو تكذبت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعتلت، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والعشيرة لقضاء أوطارهم
الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قبيل الخطايا والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم آراء باب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاحلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلدتهم وإلا استحقوا الرفض والطرود والاباد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقدفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الوباي الذي لا يقتصر ضرره على المبتلي به بل يمتداه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية - الصناعة

قد عاد حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة فابتدأ حفظه يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولا جلية غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتثت ثمارها لغير غارسها ولم تزل في بلادنا على كيتها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها بانما جميع أقواله على البراهين الثانية والحجج القوية ولما كانت دروسه المالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للعموم رأيت من الواجب قياما بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللائقة بها وانشر طيب وفدها في صحف الجرائد لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليترك من له فطنة) وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأها ويسير في عيشه سيرتها ينفياً ظلال الأشجار، ويستكن في الجحرة والاوكل، ليس له شمار ولا دنار، (ولكن خفيف أثمار) يقات نباتات وثمرات تخضرها له القدرة الالهية، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير الا ما يمتعه علي الغدو لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والرواح للاستكنان في كنيه يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكروه الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، وبقية متحكماً في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومتهى سبر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات انما خلقت لاجله، والكواكب والسيارات انما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً حافياً عارياً يزعجه كل حادث، وتستهزئه كل نبأ، ويتهب من كل شكل وهيته، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا أحوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستعمرة في قمم الجبال والاجم والقبائل البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرمم الحاجات ولم تسقمهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فإنهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطاياهم، ولا يحسنون جواباً، الا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة كجلب قوت بسيط ومداومة عادي من الحيوانات وجميع ما يعده الانسان المتمدن كالا و انسانية فهم بعيدون منه. عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكون جلت قدرته لما اختص هذا النوع من بين الأنواع الحيوانية بخاصة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلاً الا بعد الكد والعناء و به قوة عاقلة كلية التصرف، عامة القبول، و لكل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حتى الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها. واهتدى بآثارها والتقط درر الحكم من فعلها وانفعاتها، وتدرج في ذلك شيئاً فشيئاً تارة يخطئ وتارة يصيب، وطوراً ينجلي له الحق وآخر عنه يغبى، مرة تقومه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطراراً للوقوف عليها، حتى وصل الى ما ترام من أحواله الغريبة، وآثاره العجيبة،

ثم ين حفظه الله كيف كان يتلب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المضاعف، ويخترق حجب الجبال، متفادياً في جميع ذلك لقائده الحاجة والضرورة بأن تمرأه، ويتبع سيره تارة يتدرج الى الكمال فيقدمه مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من التفتن في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جحيم الاوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويفل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة إنما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهداً في تبيينه بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلاً بجميع أعماله المنقولة المهودة

وأنه في جميع صرائفه لم يكن ليقم ظهوره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضاً عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الخياكة مثلاً قائمة مقام القوة السامكة للجلود الغليظة المفردة للأشعار والأوبار الواقية لما أحاطته من صولة البرد والحربل القائمة مقام ترص يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره، وصناعة الحد يد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبرائن والأنياب السباع والاصابع وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يقع منها مقام ضروري، أرجأنا في مقام كلي على ما يتضح لك بعد

وإذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع ونظماً مستعاراً فلهذا في كل صنف كانت رأيتنا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الثلاث

ما قرره الحكماء الاقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، لينبين شرف كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات فالقوة منشأ الاثر مطلقا فضلا كان أو انفعالا فالعلم مثلا ذو قوة الفعل والمتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثير والقبول لاتعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية مالم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الخالية التي تعرض آنا وآنا وتتم تزول ليست منها في شيء وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالافعال الطبيعية من احراق النار وتعدد الحرارة وتجميد البرودة وما شاكل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبداهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كاعمال الجذلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولا لقائل ايا كان حقا أو باطلا فليس له حديق عنده بل قوته متوجهة الى مراضة مقابلة فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم اليقين انه وان وقع كثير من صورته وكمالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الحرب مما يؤلم الجنان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان واضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل مالم يتحول غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه كأن يطلب بها تنوية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو نهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

المالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وانحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أغني العقل فهو الذي ينظر الى كلية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كاله أو متمماته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الانسان لا يحفظ بقاءه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التماقب كما نبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده إنما يكون بالاجتماع والالتزام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الأغذية التي لا تمحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرا وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال تستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن نحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوماً بيوم بل ساعة بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بشرة عمل الآخر فيكون المجموع الانساني كبذن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه البدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص - مع انه لا بقاء له الا في ضمن المجموع - فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضواً حقيقياً وركناً ثابتاً يقوم بأداء عمل يعود على كلية الافراد أولاً من طريق كليتهم ويعود الى شخصيته ثانياً ويبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الانساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالعنصر الأشل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسنى الى بقية الافراد في عدم العمل كالإباحية الذين يعتقدون أنه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حينما جاعوا أكلوا أو شربوا واقموا وينشون أفكارهم بين افراد النوع ليقصدوا بأعمالهم ويسبروا بمثل سيرهم فيتركون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيه يكون فأولئك كالأمرض السارية مثل الجذام والزهري لا بد من قطع العضو المؤف « المصاب » بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونوا إباحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يساقوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كانت بالتعذيب حتى يستقيموا أولاً يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالسكران والبله والماتية فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفائهم فراراً من ألم القلب عند آخرتهم واقطاعهم لما لهم من العذر القائم اذ حيث ان مدبر الكون قد حرّمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الايسانية فهم مفوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضا اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه خميس منخط الدرجة رديء العاقبة وان كان شقاؤه يفلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتؤيد العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذور البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبسلا واقطاعا عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكفف وخلمهم لجلباب التعفف فهم يمتزلة شمر الإبط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحلك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتعهد بالتطهير ويستحب ازالتهن ونقية الهبة الاجتماعية من درنهم فان بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمرا يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الاعمال ويقلدون أعناقهم سبع المكر والحيلة ويسربلونهم بسر ايل التورية والتزوير ويفرضونهم بتأبط هراوة الشرواقتاء قدح الطعم يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرثامة الكاذبة وطلب الدنيء من الدنيا من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وغير ذلك ويحبسون ذلك بأستار التليس (الغيب المتظلم) ثم يوصونهم أن يخرجوا أيديكم من تحت تلك الاستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستئثار بشمات اكتسابهم باسم انهم وأنهم (كما ترى) وجب إلحاقهم بالإباحين وتحسم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسعى لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويعود وبال ذلك كله على العامة والخاصة معا . وبالجمله حيث تبين ان لا قوام للانسان الا بالانصته فنأخذ بوظائفها أوراها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فطليها ان تطرده من أبوابها وتمحو اسمها من كتابها

ثم ان الصناعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلة أو متوسطة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كتهصر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي مقننة القوانين وموضحة السبل وواضحة جميع النظمات ومعينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والردائل وبالجمله فهي قوام الكالات العقلية والحلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرايع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لها غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالتيجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على تمام وظائفها والثامن كالصبغة والنقش والتلوين وغير ذلك ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بهجوم موضوعه وشمول غايته وان أعمم الأقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بينا من أنها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذا في أعماله وأفكاره وأخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المتقاد من السيد الحاكم الأمراء

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختلطت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأجيت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المذنوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة الميرانية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذا كر مثالا على شمع عمله الفتوى التي اقتناها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفقه التي ينتمي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعلمت بما أقره

أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عاينكه بالهند منذ ثلاثين عاماً والفاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير ان يزعموا أن الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فمعلمهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائماً لسهام نقد النافدين وطعن الطاعنين من الذين يختص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتموههم بمخالقة الشرع وانتهاك حرمة الدين

امام مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فهو صوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المالية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتظمون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين وغرض اتقاء الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام اذ لرب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتزم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

واعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده السكالية المذكورة آنفاً والطريقة التي تنلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير أنهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتذمر ويقتصر على اللوم والتعنيف بل أنهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهداً في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايةها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفته التعليم الذي يرجون استبداله به . فأنضح لهم أن الرجوع إلى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديماً أضحي ضرباً من الخيال . ورأوا على ما بهم من الأكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم أن التعليم الذي يرقى قومهم إلى درجة تلاءم التمدن المحيط بهم ويردهم إلى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم إنما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الأبواب ، الدقيق الدروس ، المحجب إلى المتعلم كل أمر بدعي عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وفلسفتها فكانت هذه السمة منهم في العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعيهم في بادئ الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادئ لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف النفاسير التي يفسر بها كثير المتدينين به لاستغزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لا تتظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئا فشيئا امام شجاعة المصاحين وثباتهم ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السرسلار جنك تأييدا ماديا من جهة ومعنويا من أخرى في اعتبار الذين يمدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخفين بأخلاق تجلهم وتزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا أعداء الخصوم الى أشد الأخصاء غير عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعاتها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مساعيها لم يكونوا يتصورون أنها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه « انتهى اهـ

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان وبلاد العرب وأوغندة وموتيتوس ومستعمرة الرأس ويبقي أنه لو قصدوا الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال في آخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه: « هذا وأني أوافق السر ملكوم مكرث على ما قاله عن الضربة الثقيلة التي أصابت الإصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد عبده فقد أشرت إلى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا أن الذين كانوا يشاركون في آرائه لا تخور عزائمهم بفقد بل يظهر أن احترامهم لذكراه حسن اظهار بترقية المقاصد التي كان يرى إليها في حياته » اهـ

أما ما أشار إليه من كلام السر ملكوم مكرث المستشار القضائي في تقريره عن المحاكم فما هو بنصه

ولا يعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في شهر يولييه الفائت وإن أبادي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت هذه النظارة بفقدته فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع إليه كثيرا للتزود من صائب آرائه والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو الشبهية بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثير ما كانت خير مموان لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدمة جزية لا تقدر في مجلس شوري القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية إذ كان يشرح للمجلس آراءه والنظارة ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك وأنه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرا لاسمو ومداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فإنه يتعذر وجود أحد غيره حازر للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الاسباب احتسب ان نظارة الحفانية ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقدان كلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروباً من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلاً عن أوساطهم ودهائهم ، فأبنا أن نبين ذلك مع شيء من الشرح والرأي

العبرة الاولى بيانه لحال المسلمين

ذلك انه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتطعمون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم ويقول انه قد بلغ من تنطعهم في جهودهم على ما ألفوا أن كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعليم العسكري في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيهم المعروف وحسبانه من أمور الدين وإن أهل مراکش لأشد تنطعا وجودا على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات المساكر في الحرب أوفي التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

(المنار ٩:٤)

(٣٩)

(الحمد التاسع)

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كؤوداً في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لشيخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقبض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المُفَرِّجُونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ الْإِسْمُ وَلَهُ دَرَّةٌ مَا أَدَقَّ فِكْرُهُ إِذْ عَرَفَ أَنَّهُمْ مَارِقُونَ مِنَ الدِّينِ سَاقِطُونَ مِنْ نَظَرِ الْإِعْتِبَارِ لَا قِيَمَةَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَلَا صَوْتَ لَهُمْ فِي أُمَّتِهِمْ ، وَسَمِعُوا إِلَى ذَلِكَ

(القسم الثالث) الْمُصْلِحُونَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ إِصْلَاحَ حَالِ الْمُسْلِمِينَ الْجَمَاعِيَّةَ مَعَ الْحَافِظَةِ عَلَى الدِّينِ لَعَلَّهُمْ أَنْ كُلَّ فُسَادٍ طَرَأَ عَلَيْهِمْ فَتَنْصَحَهُمْ عَنْ مَجَرَّاةِ الْأَمِّ فِي أَسْبَابِ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ أَمَّا هُوَ مِنَ الْعَادَاتِ وَالْبِدَعِ لَا مِنْ جَوْهَرِ الدِّينِ .

وقد أدرك اللورد بصائب فكره أن هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتطمين في جودهم والمتهتكين في تفريجهم . قال أن هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وإن منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكمه الكلية منذ ثلاثين عاماً . ونقول أن الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الأفغاني يبذر فيه بذور الإصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالين من المقالات الإصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بارشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الإصلاح لولا أنه فتن بالسياسة فخلت دون إتمام عمله في مصر ولم يتمكن من عمل يذكر في غيرهما سوى ما كان يكتبه في أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازماً بأن مسالة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الإصلاح كما يبتغي ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر إلى الاشتغال بالإصلاح وإنما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي أسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن النية عاجلته قبل ذلك فقد مات قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعام مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسيها كانوا من عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين الظن بها فكانوا خيرا للثمة من جعلهم سوء الظن والكراهية بين معاد لعلوم الا فرنج الزافية وبين خائف من كل عمل نافع للثمة وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي أنه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا في ذلك ولا يمنعوننا ما يمنعنا الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضرب على أنفسنا وأنتفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اماما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فإن أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالأوربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وإنما كان المتعلمون من أهل الجود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون أنه ينصر مذهب الفلاسفة أو المعتزلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتأدي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولاً لقائل . فانهضرت بعد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يفتخر عونه للظن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في أواخر مدته . ولا ينبغي هذا قول اللورد ان مريدي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فإنه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطريقة وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون . فمضى أن يوفقهم الله الحضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيا اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير
ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان مطمئن فيه على المنابر واستغنى بعض
علماء الحرمين في أمره فأقنوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا
المبلغ. ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأبعد من السيد
أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضته أقل غباوة واضعف ارادة والأمة انبه منهم
وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

العبرة الثانية ثناءه على الامام

صفوة العبرة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمراؤهم
وعلماءهم فيعتد بقوله فيهم. واما العبرة الثانية فتريد بها ما في ثناءه على الرجل وحزبه
من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تشييطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد
هذا الثناء قيمة صدوره بهد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افرنجي
اسمه (غورفيل) وطبعه بالفتين الانكليزية والفرنسية وقد اشترى الكتاب بفصل فيه
معزوا الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتلين الذين
يدبرون أمرها ويدبرون دفتها وقد ترجمته أكثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال
العظام تبنى أحكامها على الصفات والأعمال لا يصددها عن مقاصدها قيل وقال ،
واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تمردوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي
يعتقده في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم
الشرعية ومناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدراس
الحكومة. وقد كان اللورد العظيم يصع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كرايه في ضرر
إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه
فهل يعتبر بهذا رجلا الذي يمنعهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتلين ما يعتقدون
في المصالح والأعمال ؟ ألا يكفينهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستناد
الامام بما أنشأه بهد موته واحترامهما وسائر كبراء المحتلين له في حياته برهانا على
أن القوم رجال جدد يجلسون من يقول الحق في السر والجهر ويهدى بالاخلاص

في الخفية والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه لم يكن حرباً لهم، وأنه لا قيمة لأهل الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الإيجاز في هذا المقام
هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجل أكثر مما يجب أو ينتظر أول برفه حقن تقرير اللورد ليس تاريخاً لمصر ولا كتاباً في مناقب العلماء والحكام وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهم العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مقتي الديار المصرية أنه رجل جليل مصلح قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام، أو ما في معنى هذا الكلام، ولكن اللورد قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين وتنشيطه وحسه على ترقية المقاصد التي كان يري إليها إمامه وإنتي رأيت صريدي الأستاذ الامام شاكر بن اللورد ما كتبه قادر بن إياه قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

المرة الثالثة حثه اللورد على تنشيط هذا الحزب

اني لأعلم ان من الناس من يحب لقول اللورد « فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من اللورد بين » وبعضهم يضمه موضع الغظة لاعتقاد المسلمين أن اللورد بين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحاً ولا خيراً ما وانما يريدون الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أورباكافة على تنشيط حزب مصلح ينفع المسلمين بل لا ينفعهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا من عرف كنه الفتح أو الاستعمار اللوردي وقد سبق لنا فيه قول وتقول هنا كلمة وجيزة فيه .

ان غرض اللورد بين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمران مهم يحبون عمران البلاد التي يبنونها ومن ثم سموا ذلك استعماراً وعمران كل بلاد انما ينمو وبمعظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين الآخر ليكون في وفاقه وخلافه على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أحدر بالفرز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف اذا كان الأعم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم . ومتى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وأحصروا حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفتن فإن كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يحنى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر ثم ان الأوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تنفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدينتهم وباستعمارهم للأرض هو ما عليه عوام المسلمين من الاستعداد للتبجح باسم الدين ورب هيجة شوى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة — لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محب للاصلاح الذي يعرف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الاجانب الذين يعيشون معهم ويزنل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يفرهم الفارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالاجانب قليلا فهي تضرهم كثيرا . فالاجانب المقلد المارفون بكثرة الشرق كاللورد كرومر واضرا به من ساسة الانكليز يحبون هذا النوع من الاصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم أيضا لانهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطأة نينة كما قال المنار غير مرة ولكن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في امجاده والحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه ، فاعة بقوة العلم والحكمة وقوة السلاح والوحدة ، فاذا وجد فيهم من يحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر اللورد كرومر بذلك

مثل هذا الاصلاح لا يأتي من جانب المتفرجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم ليسد هم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الخرافات التي هي مثار للفتن والآفات . ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لا غرض له الا ازالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الاصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يعارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالتجمعات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور. وبمقتد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الإصلاح الا باتقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به ويجعل مذاره على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها . ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاختلال وقد سألت الاستاذ الامام عن رأيه فيه عند مازار طرابلس منذ بضع عشرة سنة فقال انها مسألة أوربية لا شأن لنا فيها وإنما الشأن فيها للدول أوربا ذات المصالح في مصر مع السلطان فاذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان ، وهو ما لا دليل عليه الآن ، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوربا كلمتها فيها بلسان اتفاق برل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نستغل بما يصيبنا وهو في استطاعتنا من ترقية أنفسنا بالتربية والتعليم ونترك مالا طاقة لنا به ولا يأتي منه الا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الامة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها ودنياها وضغط أوربا عليها

هنا يقول المعارض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثل في إصلاح حال المسلمين ، وإن متبى الحكمة فيها مسألة الاوربيين ، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه ان المسلمين اذا ساروا على هذه الطريقة ارتفعوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب ، أو يكون حاديا لهذا التركب هذا الحزب ، والجواب عن هذا سهل وهو ان طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في المستقبل ، فان الامة اذا سارت في طريق الترقى مع المسألة وحسن التفاهم بينهما وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في اباب ضعفتها وعجزها فهي لا تترك صداقتهم في طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها ويمكنهم ان يربحوا منها في طور القوة والاستقلال ، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانكباب هم القوم الذين لا يماندون الطبيعة وإنما يسايرونها ويستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه . وأهلى لا أكون وأها اذا قلت ان فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين ، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لا تبحث له العمل ان لم تنشطه وتساعد . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كنبه اللورد سيفي تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحيينا ان نزول ارياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بالقوم يضرننا ولا يضرهم ومن انبؤا أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرجي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أور با كلها تحمل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار . وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعلموا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم . فقال الرابع أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجالان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوها بالمال وهما يعملان لدمسلمين ما يرقىهم ويرفع شأنهم

المررة الرابعة رأي في المتفرجين

يظن هؤلاء المتفرجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شرمه عن كثير من كبراء الأوربيين -- علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفرجين وفي ذلك من العبرة مالا يحول لشرحه في هذا المقام والليب من تكفيه الاشارة وأن الليب ميبهم وقد أفسدت الحور الباهم ، وأضاع التمار صوابهم ، فمسرهم في حسرة على حال الذي جمع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يفتي ثروته ، ومستهي الفجر سدسهم كذب غريب يسائر في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وقتاة أوربية تخامس في المنتزهات ، و تقبج ما عليه قومهم من الآداب والعادات ، وتعرفهم في الفن في المآلات ، وان أذاقت الأمة ضعف الحياة وضعف المآلات ،



فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتاوى هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشر على السائل ان يبين صيغة ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانما ذكر الاسئلة بالبرج غالباً ورعا قد مناً آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا لاجتناب مشترك لثقل هذا ، ولما بقي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا قدر صعب لا نقاله

(طريقة ابراهيم الرشيدى — من أسئلة مستأفوه)

(ص ٢٠) من أحد المشتركين في مستأفوه

نيسب بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر

لازال منار الدين به مشيداً وهو

انه نعم في هذه الاطراف طائفة تزعم انها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدى ويعينون في المساجد اذ كراً بلفظ الجلالة يرفع صوت جداً ويشوشون على من هناك من المصلين ويلقبون أنفسهم بمجاذيب وينشدون خلال ذلك اشعاراً من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاتها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) ويحجب بعضهم بعضاً بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباقي بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاتهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك أجابوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم وبأنهم انما يزعمون في حالة الفية مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المرید اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاعت انقاسه منهزماً باخرج على ظاهره فيزعق بلفظ (الله) واذا قاموا للذكر ليلاً وارتفعت أصواتهم بذلك ربما سقط بعضهم مشياً عليه ذكر كان أو أثنى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقة في يديه ويقول لهم (أش) ثم يخرج أحدهم مشياً عليه فيضيق به ذلك ويقول شاهدت في غيبي أحمد بن ادر بس وشاهدت . . . الى ما لا تطيل بذكره فكل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة المدوحة أو هوما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاية الامور المنع من مثل هذا

(الجلد الخامس)

(٣٧)

(المنار ٩٤)

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على منعهم فلنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الامرار فأدركونا بما فيه حياة الدين والدنيا لازتم عدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا المصير كقولهم الله الله... حي حي... أو بالضمير كقولهم هو هو... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول. قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العبودية مانعه بصدان أورد ماورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا إله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أولا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ:

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمرة ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٩١: ٦) قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أين غلط هؤلاء ؟ فإن الاسم هو مذكور في الامر بحجوب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال: من جاء؟ فتقول: زيد: وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمرًا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعا وإنما يعطيه قصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشرعية إنما تشترع من الاذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره . وقد وقع من واطب على هذا الذكر في فنون من الاتحاد، وأنواع من الاتحاد، كما قد بسا في غير هذا الموضع . وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات: حال لا يقتضى فيها بصاحبها فإن في ذلك من الغلط مالا يخفى فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (يعني المحتضر) لا آله الا الله وقال « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » ولم يكن ما ذكره محذورا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في اثائها موتا غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد .
 « والذكر بالاسم المفرد المضمر أسد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فان من قال ياهو ياهو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا الا الى ما يصوره قلبه والقلب قديمتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم ان قوله (٧: ٣ وما يعلم تأويله الا الله) معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) الا الله وقيل هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل المعتدل على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشي من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت « وما يعلم تأويل هو » منفصلة

« ثم كثيرا ما يذكره بعض الشيوخ انه يحتاج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله (قل الله) معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى : وهذا جواب لقوله (٩: ١٠٦ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم، قل الله) أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء) (٥) فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله انزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

« وما بين ما تقدم ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولاً فالقول لا يحكى به الا كلام تام جادة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون « إن » اذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم . والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمن

(٥) أول الآية « وما قدر والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » الخ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المحاطبات . ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الأعراب مر بمؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله: بالنصب فقال ماذا يقول هذا؟ هذا الاسم فأين الخبر عنه الذي به يتم الكلام؟

« وما في القرآن من قوله (٨:٧٣) واذكروا اسم ربك وتبذل اليه تبتيلاً) وقوله (١٠:٥٦) سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤:٨٧) قد أفلح من تزكى ١٥ وذكر اسم ربه فصل) وقوله (٩٦:٥٦) فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » (١) فشرع لهم أن يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الأعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وهذا معنى اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق السامعين » — الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محظور عند جميع العلماء سواء كان بذكر أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو غير ذلك فإن المساجد بما بنيت للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وإن كان بمشروع فكيف إذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منه لذاته وإن لم يشوش على مصل . ولا أراي محتاجاً في هذه المسألة إلى نقل لأنه لا ينافي فيها أحد ومن أراد القول فليرجع إلى الجزء الأول من المجلد السادس ومعه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقول الفقهاء في نفي كتاب أصابة السهام (٣٤:٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الأحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر إلا أنها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والمعرفة . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على الإنسان

(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو حنبل في المستدرک وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه أيضاً أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالذكروالفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالبا اذا كان من يأتيها مستعدا له وهي الخطوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعا يجيء نوبة بعد نوبة ويكون طبعا ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذا عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجبان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا وفي رواية مساجدكم صبيانكم ومجانينكم» الخروا ابن ماجه من حديث واثلة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساكر عنه وعن غيره . واذا كان التشوش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه الماقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعمات) هذه الزعمات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثير بما يهيم نفسه فاذا كان عابدا وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عورة يغلبه وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقا وسمع غناء أو شعرا بليغا يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكى عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الاغبياء الجاهلاء بأسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق الذي يتأثر بالمعنى الدقيق جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب الموارف وغيرهما من متصوفة القرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا قال الامام القرطبي في بيان أصناف المغترين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزني والهيأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زبهم وهيأهم وفي الهأظهم وفي

آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشائيل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيما ظنوا أنهم أيضاً صوفية لم يتبعوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجليية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة وينحاسدون على التمر والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر» ثم ضرب لهم مثل المعجوز تلبس لباس الشجمان وتبرز الى الميدان ثم ذكر فرقة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأساي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يردد هاو يظن ان ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردد هاكاته يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقق بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجرا متعبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجورون ، ويدعي لنفسه أنه الواصل الى الحق وأنه من المقرين ، وهو عند الله من الضجار المناققين ، وعند أبواب القلوب من الحقى الجاهلين ، ولم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الاباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد انقلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتهما (فهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب : الخ ما ذكره في ذلك

أقول اذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يلقوا في التصوف بعض مدي هؤلاء الذين أثبت الامام الفزالي غرورهم . ولعلم ان الوجد وما يتبعه من مثل الرعقات ببعض الناس انما يكون بعد الحب والحب لا يكون الا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون الا بالعلم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الاذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها ان لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه اذا أنكر عليه لاسيما اذا كان الانكار انتصارا للدين وحماية للشرع فكل مدع كذاب وقد دخلنا في هذه الامور وجربناها وكنا نذكر الذكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعم وكنت أقدمه ولكنني علمت ان كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء ان لا يزعموا لما زعموا كم من نائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق (المسألة الخامسة القبة ومشاهدة الارواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رتبة الارواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلانعيدها وانما نقول ان المدعين كاذبون مراون باغون للشهرة وان دعاويهم هذه ان صحت لا تكون من الدين في شيء اذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تدكّر ميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكرته تابعا لإشارة من الخليفة يبديها أو كلمة يقولها وجملة القول ان ما حكيتكم عن هذه الفرقة مما تصان عنه المساجد فان صدقوا في دعوى التصوف فعليه ان يخضعوا لأداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وإن أبا كان على المستطيع أن يمنعهم من كل فعل في المسجد
يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولواستعان على ذلك بقوة
الحكومة والله أعلم وأحكم

غية العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سقا فوره)

ما يقول المنار المنير في رجل أطرى عالما بسمه اطلاعه وجودة مدركه ونحو
د ت فقال آخر حسدا لذلك العالم وجهلا منه بحقيقة العلم دعي من علم أولئك الناس
الذين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . — الى ان استشهد بييت ابن رسلان :
وعالم بعلمه لم يعارف معذب من قبل عابد الوثن
فقال له المطري ههنا فانك تعلم ان الغيبة حرام فالييت يصدق عليك فانك
تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المغتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع
حال أهلها وغية العلماء أشد الغيبة ضررا لأنها تفضي الى تفسير الجاهلين عن
الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء
حرارة أخرى وهي أنه يحكم في أمر من علم الغيب بييت من الشر وذاك من
القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكرنا تحريمه مقرونا بتحريم
الشرك بالله . وقد قيل ان المعنى البيت أصلا في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه
لاحتج به لا يقول من لاجحة في كلامه . روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا
« ان أول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها
فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكذك قاتلت
لان يقال جري » فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار —
و رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها
قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكذك تعلمت العلم
ليقال انك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارى » فقد قيل ثم أمر به فسحب على
وجهه حتى ألقي في النار — ورجل سمع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأني به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما علمت فيها قال ما تركت من سبيل تصب ان
ينفق فيها الا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد
قيل ثم أسر به فحجب على وجهه ثم ألقى في النار » فمن هذا الحديث أخذوا
ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويعذب ولكن ما يدرينا ان الاولوية بالنسبة
الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أو ان افضل ليس على باب . ثم ان
الحديث في العالم الراي لاني تارك العمل بسلمه فهذا الحكم غير صواب وان
اشتهر وتلقاه المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يقتاب العالم الذي يهزم بانزياء
وبخاض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يقتاب الشهيد والمحسن
المتفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخبرهم العالم المعلم فما معنى تحريم الغيبة
اذا حازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لا يجوز أن نحكم به على عالم ولا جاهل نعم
ان مواخذة العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مواخذة من يفعل
الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يؤخذ
على الذنب وعلى الجاهل معا فان الجاهل ليس بعذر الا ما يكون في دقائق الشبهات
وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوكها ألسنة كثير من العامة فتجرثم
على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف
له أصلا وما أراه الا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جلبة مرسلا
« ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من
الويل » وهو على ارساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى
الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة « ويل لمن لا يعلم ولو شاء
الله لمده وويل لمن علم ثم لا يعمل » وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا
﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(ص ٢٣) ع ٥٠٤ ع بسنن افور

سيدي : في (جوهر) الاسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في
نمائر الايام مبهجورا لا يصل في الاخدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية
طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والفراديج وجعل
(الجملة التام)

لكل من واظب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالآلات والإمام ثلاثين ربيلا فأجاب طالبه جم غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة وأحد قال أنها غير صحيحة ولم يجوز أخذ الدرهم بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والحقير من جملة الذين حضروا هذه الصلاة ولم آخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فأحكم بإسيدي فأنت الحكم الذي ترضى حكومته والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجمل بحيث لولم يكن هناك جمل لما صلى بالمرة فلا شك أن صلاته غير صحيحة وأخذه للبل عليها غير جائز ومن سمي ذلك شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقه الإذلاشي فيها لله في الحقيقة وإنما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الأعرين مما - الثواب والمال - فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وإنما صلى في ذلك المسجد بعد نداء الوزير بالجمل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده الى غيره فلا يعد مشركا ولا مرأيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أي شاب على قصد الثواب بقدره ويعاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الفريابي بالأول محتجا بقوله تعالى ٧: ٩٩ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال العز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - اذا كان يوم القيامة آتي بصحف نخشة فننصب بين يدي الله عز وجل فيقول الملائكة اقبوا هذا وانفوا هذا فتقول الملائكة وعزلك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لفسيري ولا أقبل الا ما لبني به وجهي » أقول وما ابتغي به غير وجهه تعالى قسان ما لبني به المال وما ابتغي به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٩: ٧٦) انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المشئول عنه دقيقة وهي أن الجراء فيها على كون الصلاة فيه لأعلى الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولولم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه اختاره لأجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله وينحصر السؤال في قصده إلى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذي يب الفاسق وإذهاب الرجس عن أهل البيت)

(ص ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سنننا فوره

ما يخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي أنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يثبته المنار عن نشره وقال إذا سامنا بدعواه فامضى قوله عز وجل (٣٣: ٢٢) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فرغوا أن المراد بالبيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وإن إرادة الله تعالى هي مشيئة المطلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصاة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم إن معاصيهم صورية لاحقية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت إلى بعض الأنبياء وبهذا قال بعض الصوفية. وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه يخالف المشاهدة واختار هو حفظهم من الكفر دون المعاصي وقال أنه يكاد يقطع بذلك. وقال بعضهم أنها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات وبعضهم أنها تشمل معهم بقية الأئمة الاثني عشر فهم المعصومون

والحق الذي لا محيد عنه إلا إلى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد بأهله هو ونسأؤه وذكر ضمير الجمع المذكور تعليلًا للاشرف أي أنا بأن العناية به ثم بين تباعده أو رعاية للفظ الأهل والعرب تستعمله ومنه (٧: ٣٧) إذ قال موسى لأهله أني أنست فارأساً فيكم منها بقبس (وقوله ٢٩: ٢٨) قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (١١: ٧٣) قالوا أنصحبين من أمر الله رحمة الله وبركائه عليكم أهل البيت) والخطاب لأمرأة إبراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق وتبرأ من كل ما يخالفه فإن العبارة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فيهن بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الأحكام الخاصة بهن لا الإرادة الخلق والتكوين ابتداء فقولهُ (أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الخ هو كقولهِ عز وجل في آخر آية الوضوء والغسل والتيمم من سورة المائدة (٦: ٥) ما يريد الله ليجعل عنكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم (تسكرون) وقوله بهذا كراهكُم الصيام وما فيها من الرخصة (١٨٥: ٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمته تعالى في تلك الأحكام ، وما فيها من الفائدة للأئمة ، إذ هم عملوا بها لا يفهم منها إرادة الخلق والتكوين ابتداء . وقد سألتني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفتي الخليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله أن الله تعالى نفى إرادة العسر بنا واثبت إرادة اليسر وما يريد الله تعالى لا بد من وقوعه وما لا يريد الله يستحيل أن يقع وإنما نرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبت على البداهة بمثل ما تقدم آنفا ولم أكن رأيت لأحد وإنما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا تحمل الآية سواء الابتعاد بها عن موضعها علم أن ما ورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي ولديهما ما يثبت من سباق الآية إذ يصير معنى الآيات يأنس النبي لا تفعلن كذا ومن يفعل منكرا كذا فجزاؤه مضاعف ضعفين يأنس النبي أفعل كذا وكذا أن الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي إلا إذهاب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي إلى اللائمة تطهيرا كاملا . وإن رواية تفضي إلى هذا مما يقطع بطلانها وإن صحح بعض المحدثين سند هابل أقول أنه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الأحكام التي شرعت لأجل إذهاب الرجس بالعمل بها وإنما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الأخبار بها ابتداء غير معلق بشيء

أقول هذا وأنا علوي فاطمي حسيني الابحسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفعلا فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بأنها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فهو بمامتازات على بناءه وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهم بعض الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة. وإنني لأعجب أشد العجب كيف عظم اقتتان الناس بالرواية في الصدر الاول وإن كانت مخالفة لصریح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبني المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الاول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعیم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء بخلاف الترمذي والحاكم ولله در عكرمة إذ كان يقول من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساکر. وروى ابن جرير ان عكرمة كان ينادي في السوق ان قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يحتاج الى شيء من الروايات في فهم الآية فانها في سياقها لا تحتل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارئ له معرفة بالآفة. وقد علمت ان الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها ان الله تعالى شرع لمن تلك الاحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة بضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً اذا هن امستلن وأطمعن الله ورسوله ولا معنى لو عيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه. فاذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك ان يستحيل عليهم الفسق فاذا هم كفبرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكابرة فيها فان لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحسن أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والاول جنون والثاني حرام

﴿العمل بالبيع والشراء وغيرها بالمعولة العرفية﴾

(ص ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب بسنغافوره :

ما قول التارخ فيما هو الجاري الآن بين المسلمين - يبعث أحدهم الى آخر بهروض تجارة فيأمره ببيعها بقيمة الوقت هناك أو بدراهم لشترى له بها عروض

تجارة . وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله غلة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خسا في المنة أو أقل أو أكثر فهل ما يأخذونه جائز لهم شرعا ؟ ان قلتم لا فواضح وان قلتم نعم فلما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لا نأ نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بآراءكم والله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (١:٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على مصيبة كالاستئجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما الآخر ما يرسله اليه من العروض ويشترى له بثمنه أو بمال آخر عرضا معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو للتعارف ويأخذ على المبيع والمشتري أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمس في المنة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل إن هذه الاجرة مجهولة بشرط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري اذ يعرف عند الاتفاق أجر عمله في اللحظة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون أجره الطعن من الطرفين . على أننا نقول إن ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وإنما بمال بالمصلحة يمكن ان يختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فغال الفقهاء ليست ديننا يتعبد باتباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه الجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والحفاظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نساق جميع الاسم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدارقطني والبيهقي «نهى عن عسب

الفحل وعن قفيز الطحان « وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنطوا من ذلك أنه لا يجوز أن تكون الاجرة بعض المعدل بعد العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحد، وفي حديثه عند أحمد وغيره «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره» ومنه أخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الاجرة معلومة خلافاً لما لك وأحمد فاتفعا حكماً العرف في ذلك فما تقول في الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب أن أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلّة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الأول في اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي أن حديثه منكر وثقة مغلطاي وابن حبان والبرج مقدم على التمدل . ثم إن ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قل بعضهم أنه قفيز كان يؤخذ زائداً على الاجرة وهذا هو المتبادر وهو المعبود في بلادنا فنهى عنه لانه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالخشيش . واما حديث الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا أن ابراهيم النخعي رواه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في مجمع الزوائد ذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض المأخذ «من استأجرته» فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي أن يكون بيان الاجرة أو تسميتها بكونها جزءاً من كذا جزءاً مما يبيعه أو يشتره أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها الفهم والعش . ولا نعرف حديثاً غير هذين الحديثين يمكن أن يستدل به على تحريم أخذ كذا في المئة مما يباع أو يشتري أو يحصل أجره أو عمولة وهو لا يدلان على ذلك . ولأوصي حكمة فيما عوقد عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجراً أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف يبيحه له فانه لا يجوز له أخذه وإذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقاً . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله «لانا نرى أنهم إنما يعملون مجازاً» أم يريد أنه يجب أن تكون هذه الاعمال مجازاً وقد علمت ما نعتقد في الامر بين والله أعلم وأحكم

(تقبيل أيدي الشرفاء وغيرهم)

(ص ٢٧) مستفيد من سنا فوره

ما يقول المنار المنبر في تقبيل اليد فاني أرى سادات اليمن وحضر موت المنسيين إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفا للسنة ومرتكبا محرما أو مكروها فقد زادوا في شريعة الله ما ليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون أنه قد استحسن في الآداب العادية ان تقبل أيديهم فصار ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به لا يخلو من إشعار بعدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة أقول هذا وأنا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول وبقل ذلك ولا يكتفى فيها بحديث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصعابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به ويبقى مجهولا لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة مانعه «وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان المقبل يده عالما أو صالحا أو هما معا فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازاه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف إلى ذلك ان يكون المقبل يده ظالما أو بدعيا أو ممن يريد تقبيل يده ويختاره فهو الداء العضال الواقع بالفاعل والمفعول به ومن أعجبه ذلك منهما لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد فعوذ بالله من الخالفة وترك الامتثال كل هذا سببه ترك السنة وأتاهوا بشئ منها»

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جدا لانه عدها بدعة دينية وله الحق في التشديد في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعا أو ترتب عليه مفسدة كإعانة المبتدعين والظالمين على بدعتهم وظالمهم . وأما ما قيل بمقتضى العادة لباسم الدين فهو مباح الا اذا ترتبت عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم سادة حضر موت

باب التعليم في روسيا

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضايق ذلك الجزء عن نشرها فأرأينا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسألة اصلاح المدارس . مسألة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد اننا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الاخطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نغنى بها لان حياة الامم وبقاؤها إنما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سماعتها وارتقاؤها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكما من أمة وضعت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة أخرى وبنت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا فخلقتها ثالثة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها ونظرت بما لم يحظر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقي والكمال

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ما ورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغفر على اخلاقها بل على النوع البشري بأسره

واذا أجبنا الطرف في مدارسنا ترى الفوضى سائدة في أركانها : لا نظام ،

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كاملة يبت طرحت الى الشارع وقت الحريق !
ومن اراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يبتدى منها . فليس
اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها امرا هينا بل هو امر في غاية الصعوبة
ولكن الامة اذا تصدت لهذا الامر يجد اخلاص ذاته مهما كان صعبا اذ لا يوجد
في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتزمة اعضاؤها . وامن غاية
قاصية الا وادركتها الامة المتحدة وامن ملك وعرا الا وعبرته الامة المتحدة
والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جدا لانها
له . فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول :

هل تقتصر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مشكلة اصلاح المدارس مشكلة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى
ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا
واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الامة لم يكن له أثر بالمره . ولكن
الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث
عن أحوال المدارس ومطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرم
تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضررا جسيما يرجع الى الامة
بالخسار فهو لا يذكر ولا يزولون بتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث
عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتمون الى الحق
الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يحلوا الحقيقة ويطعم الكثيرين على مواضع
خطأهم ويقدم من اليه في غمرات الضلال .

انا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجرفها
ومزارعنا التي نحرقها ، والاحذية التي نخطئها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل
وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآنا ، وحروف مطابعنا وغيرها أفلا تكون ديار
التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يتربى فيها رجال المستقبل وقادة الامة
مفتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرسا في مدرسة أو ماليا في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذا نفوذ عظيم في الأمة أورتيسا ليبت من البيوت !
ولا أرى أن وجوب انصاف هؤلاء بالفضائل الجملة وتخليقهم بالاخلاق الفاضلة

يحتاج في اثباته الى دليل !

وإذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة
والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعا . وليست وظائف من يكون زوجا لامرأة
أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته
كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية»
وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من
يرشح للتدريس ، أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة !

أم كيف نحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها قضية من الفضائل الانسانية
ولا تدري ماهي الفلسفة الدينية معصومة غير مقفلة الى الاصلاح ؟ وكيف ترحي الخدمة
للمسلمين من طلبة هذه المدارس ؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواش وشروح وبضعة كتب من
علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالتحلاف والجدل . اتكفيها هذه الدروس في
هذا الزمان ؟

إذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطالسم
والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطييرا بحيوان
مفصوص : ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح نفيس وستفيض بعد
الآن . والقارئون منا أكثر من قارئ الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة
وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المئة على ان مدارسهم متقلبة ودروسها على نسق
جديد والحكومة تؤيدها بجميع طائفة فالذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا ؟ قلنا لهم :
كان الذين يقرؤون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك بالقري وما كان
المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقراءتها أو كتابة أسماء
الموالي في سجل النفوس اذا كان القارئ اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة
حاجة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الايام وتغيرت

لا زمان وكثرت الحاجات ونجحت بين الامم «المنافسة في الحياة» أو «تنازع البقاء» وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالام بشيء من الدين وتعلم الكتابة . اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية «دور حياة» تخرج فيها هداة الامة وقادتها . وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم وينسقونهم الى مستقبل عظيم :

اذا بقي هداةنا حيارى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسروا خسرا نائبا !

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة . وان كان هذا الامر مما كان بعد قبل اليوم ثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن حقيقة جليلة كالشمس في وسط السماء .

هل كان يخطر بالبال ان مسلمي الروس يضمنون نظاما في حاجاتهم الدينية والدنيوية ويرفضونه الى الحكومة وانهم يجتمعون في عواصم البلاد ويأثرون في شؤنها وهم المختلفة كل اربنا اليوم باعيننا ؟ فلا غرو اذا رأينا بعدهم وكلاء المسلمين يجلسون متكافئين مع وكلاء الامم الأخرى في مجالس عالية . وبالجملة اننا نضطر بهذا اليوم الى ان نمش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشتركين في المصالح . واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين .

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة . قط بل الغاية كما قلنا سابقا هو ان يخرج فيها رجال يكونون أئمة الامة .

المتعلمون من الروس أكثرهم يعملون أعمالا نجار فيها عقولنا وأما المتعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالربية الفصحى بعد ان يكون أضاع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني . أيها الاخوان ! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تربي لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل والزجاجع، والامواج والزوابع، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبتته البرهان والعيان .

(رضاء الدين بن خير الدين)

(المنار) ان لنا رجلا كبيرا مسلميا لا يرزله ما نسعه عن جهود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفوذهم من الإصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان
فإن طلاب الإصلاح كثيرون وهم الغالبون حتما ولو بعد حين . ولعلنا نفود الى
الموضوع ونذكر ما يصل إلينا عن مؤثر التلاميذ الذي عقده في قرآنه بعض ما نراه
واجبا في إصلاح تلك المدارس

أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ

التقريب

﴿الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصادي الشهير بين فيه شعب الإيمان
الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما اطلعنا عليه من كتبه
فقد تصفحنا منه أوراقا متفرقة فرأينا كلاما معتدلا ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة
منه شيئا ضاراً أبعد منفرداً به فأثبتته رؤية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيراً من
المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق المنار دليل ذلك .
واما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أرفقه ما يضر القارىء مثاله قوله

«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الاوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية
ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية - فعلم الامر هو علم الفرائض والسنن
والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكرهية والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا
وأهلها وكيفية آداب المخاطبة واكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير
وأبهة الحياة المجتمعة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما
مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا يحتاج الى
اكتساب . وبعد هذا فالهدي هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طريقة عين
والعقل أيضاً محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه آنأبداً وكل علم مد شرعه
في الاكوان انفق رتبه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاءا»
فالعامي يفهم من هذا الكلام انه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول

ان فيه شيئاً ضاراً بعبقيدة القارىء أو آذاه واما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان
 الأقسام - ينكر على المؤلف أنه قال إن الأقسام ثلاثة ومورد أكثر من ثلاثة معطوفا
 بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات
 من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسنته وحكمه في
 خلقه واما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير
 ذلك علماً بالله إلا بتأويل - فان قيل انه طوى هذا في العلم بالاوامر أي بالفرائض والسنة
 - وهو مالا يتبادر من لفظها - يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فانا
 ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو
 لا يعد منه الا بتكلف من التأويل

- وينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطريقها السمع بأنه لا حاجة
 الى ان تتعلم المباحات تعالوا لا تتوقف معرفتها على السمع فاتها هي الاصل واما يتعلم
 من الشرع القسمان الاولان - الاوامر والنواهي - فيعلم ان ماسواها مباح على
 الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح
 عند البخاري ومسلم «أتم أعلم بأمر دينكم» - وينكر عليه قوله في مدارك الحواس
 والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان
 سائر ما ينتقد في تلك الجملة - وما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخطه مسائل
 الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض ان اريد الايمان
 ان ما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون
 ما كتبه ضاراً بعبقيدة القارئ أو آذاهم كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب
 اذاً نافع

وقد أعجبني ما ذكره في شمية الزكاة وهو «واذا تدبر اليبس يرى أن الوجود
 كله يتبدل لله بالزكاة عملاً بشرية الاسلام - هذه الارض التي هي أقرب الاشياء
 اليها تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء
 مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسموات
 والافلاك والشمس والقمر والنجوم السكل لا يدخر شيئاً من منافع جوهرية

وفوائد مادته متمازج بعضها مع البعض في طاعة الله فخانع الزكاة مخائف لجميع الموجودات بل والأرضين والسوات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على اتياء الزكاة فتدبر سر هذا المسلك وحكته يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة ففيها البلاغ اه وهو كلام ظاهره شعري وباطنه حقيقة دقيقة ويا ليت المؤلف توسل الى السلطان بالزام المسلمين باداء الزكاة لعله يجاب كما يجاب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هندية

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تفصيلية ايمانه به وتحمي حبه في قلبه وترغبه في التأسى به فقد قال تعالى في كتابه (٢١: ٢٣) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تتأسى به في أخلاقه وشمايله وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذ لم يمكن ألف فيها الا الكتب المطولة التي تعمير الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا المصغر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة المتقنين الاميرية . كتاب لا يتبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لاهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الاشارة الى شيء من وجوه الاعتبار ، وللمختص سيرة الخلفاء الراشدين . فأصبح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجملوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأتمنى لو يتم نشر هذين الكتابين ويقرأن للعامة في المدن والقرى . ولو كنا عارفين بطرق النشر لادر كنا بعض ما نتقني من مثل ذلك . هذا ما نرى التنبؤ به نافعا بالاجال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب . بعجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

الشيخ أحمد الميجي الكنجي مناظرات مع دواة البهرانية بهمر وردود

عليهم منظومة ومشورة ومنها (السؤال العجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًا عليه فناد الشيخ أحمد الى رد الرد في كتاب منظوم منشور بلغت صفحاته ٦٨ والتظاهر ان هذه الردود تناسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وضارًا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به انهم لا يتصدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقى الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقل فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرف به المنكر ، أو يحرر ما ليس ببحر ، أو يجي به فتا مات ، أو يقيم به رسال درس ، وقد أهدي الياني هذه الايام كتاب (الموسيقى الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الحلبي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجليل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتناولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الاجد أن أخذ له أهبة ، وأعد له عدته ، بممارسة الفن علما وعملا على أيدي اساتذة العصر فيه كالمرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذ الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرها ثم بمراجعة أدريس بك راغب الشهير . فجاء سفر احافل الري ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديرا بأن يكتر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنغم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الفناء وآلات الطرب والسماع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عطف بالصوت فصلا خاصا فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلا للفئات ففصلا لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيهما من الرسوم والجدول ما يجلي ما اشتلا عليه من المسائل ، وجاء بعدها فصول في آلات الطرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والمربية والتاي والصوتومتر والمترنوم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق الصرف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان والاصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالإشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية . ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كأداب المفتي والسامع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المفتي واسماء ملحن الغناء بمصروف تفصيل الغناء القديم على الحديث . وجاء بعد ذلك يدائع الموشحات ثم تراجم اصاتفة الفن وتلاحيثهم المختارة . وقد وضع في آخره تلاحين له عريية على الصلانات الافرنجية المروقة بالنوتة وهو ما لم يسبقه اليه أحد من أهل لغتنا فيا نعلم

أفحق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين هي ربيع عمره وزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويضه وثمن النسخة منه عشرة قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقة وصوره ورسومه فهي الجزاء المادي لمادة الكتاب ، ويحق لصاحبه حق الجزاء الأدبي لمن يعرف مكان هذا الفن من الثرية والآداب ،

﴿ أبداع ما نظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الفتى سنو الحسيني البيروني صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومقاطع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والاواخر ومزجها بمنظومات له أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تعريفا وجيزا بكل شاعر عند ذكره لأول مرة يذكر ما عرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته . وهالك هذه القصيدة مما اختاره لاحد المجاهدين قال

﴿ ومن قصيدة لمدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بلبل تلومني	فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدني
أعاذل ان اللوم في غير كنهه	عليّ ثقي من غيرك المردد
أعاذل ان الجبل من لغة الفتى	وان المنابا للرجال بمرصده

(النظر ٤٨) (٤٠) (الجلد التاسع)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى
أعاذل من تكتب له النار يلقيها
أعاذل قد لايت ما يزع الفتى
أعاذل ما يدرك أن منيتي
ذريتي فاني أنمالي ما مضى
وحُمت لميقاتي الي منيتي
وللوارث الباقي من المال فاتركي
أعاذل من لا يصلح النفس خالياً
كني زاجراً للمرء أيام دهره
بليت وأبليت الرجال وأصبحت
فلا أنا بدع من حوادث تعري
نفسك فاحفظها عن الفتى والردى
وان كانت النماء عندك لا مريء
إذا ما أمر ولم برج منك هواده
وعد سواء القول وأعلم بأنه
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
إذا أنت فاكهت الرجال فجلس
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم
ستدرك من ذي الفتح حقت كله
وسائس أمر لم يسه أب له
وراجي أمور جمة لن ينالها
ووارث مجد لم ينله وما جد
فلا تهرن عن سمي ما قد ورثته
وبالبدل فانطق ان نطقت ولا تلم
ولا تلح الأمن إلا لم ولا تلم

وأبعده منه إذا لم يسدّد
كفاحار من يكتب له الفوز يسعد
وطاقت في المحجلين مشي المقيّد
الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
أماحي من مالي إذا خف عودي
وغودرت ان وسدت أولم أوسد
عناي فاني مصلح غير مفسد
عن الحي لا يرشد لقول المفتد
تروح له بالواعظات وتقتدي
سنون طوال قد أنت قبل مولدي
رجلا عرت من بعد برؤسى وأسمد
مى تغوها يغو الذي بك يقتدي
فتلا بها فاجر الطالب وازدد
فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
مى لا يزن في اليوم يصرمك في القند
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فقل مثل ما قالوا ولا تزيّد
فقف ولا تأتي بمجد فجهد
بمهلك في رفق ولما تشدد
وراث أسباب الذي لم يعود
ستشعبه عنها شمرب للمحد
أصاب بمجد ظارف غير متلد
وما سطعت من خير لنفسك فازدد
وذا القم فاذمه وذا الحمد فاحمد
وبالبدل من شكوى صدقك فافتد

عسى سائل ذو حاجة ان منعه
من اليوم سوياً ان ييسر في غد
والخلق اذلال لمن كان باخلا
ضئناً ومن ييغل يذل ويؤهد
وأبدت لي الايام والدمر أنه
ولو حب من لا يصلح المال يفسد
ولاقت لذات الفنى وأصابني
قوارع من يصبر عليها يجسد
اذا ما نكرت الخليفة لأمري
فلا تقشها واخذل سواها بمخذل
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه
ينطب عليه ذو النصير ويضهد
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر
اذا حضرت أيدي الرجال يشهد
والأمر ذو المسود خير منة
من الأمري المسورة التردد
سأكتب مجدا أو قوم نوانها
عليّ بلبل ذباني وعودي
ينعن علي ميت وأعلن رنة
تورق عيني كل بالثر ومسمد

وقد اخترنا المثال من شعر العرب لنذكر الناس ونصرف الجاهل بما أوثقه
في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به
لعلهم يتذكرون فيوازنون بين ماضيها وحاضرها بل بين جاهليتنا قبيل الاسلام
وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكاديم الاخلاق ليرأى الفرقين
أرجح — ليرأى هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي ؟
هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ملكه وأمنه من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل
ما يملك ولو لاحتاج واحد؟ هل يوجد في دعاتهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من القتل
وحمايتهم من الظلم والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

﴿ حديث الآداب ﴾

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أباطه نجل ابراهيم بك أباطه وهو الآن تلميذ
في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة
بأقراح المعلمين وما نظمه من الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض
الجمعات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سياه حديث الآداب
وقد أحسن في هذا العمل لان ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ
أشدّه ويتم تعليمه جذر بأن يبعث همه في كل سنة الى الأرقاء عما عرفه الناس

منه اوقاه يعرفه الناس ومن كانت حكمة الادب له بداية يرجى ان يكون
فيل الادب له خير نهاية

(اظهر المكنون . من الرسالة الجدية لابن زيدون)

رسالة ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من
يحفظ الرسالة الجدية عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحسنات والتكات
والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، والملاح
واسع، لا يهبط على سلامة عبارتها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم، وكان
له ما توي اليه نصيب من العلم، ومن ثم كانت الطلاب وكثير ممن يوصفون
بالتحصيل والاستاذية في قصور عن فهمها بغير معونه الشرح أو تكرار المراجعة لذلك
الشرح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى النائي أحمد مساعد التفتيش بنظارة
المعارف ان يشرحا «شرحاً جريزاً يتكفل محل المفردات، ويبين مقاصد الكتاب
من العبارات، ويذكر مضارب الامثال»، قائلين انه لم يسبق لها شرح على هذا
النوال، فأجاب الى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها
وطبعا على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل ثمنها قرشاً ونصف قرش

(نتيجة الاملاء)

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى النائي وهي على ايجازها
مفيدة جداً في هذا الفن حتى تكاد تكون محمية للضرورة من قواعده وقد طبعت
في القلم الصغير وثمان النسخة منها نصف قرش

(حبيب الامة) جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتابها البارعين (عبد
الرزاق الطلاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإعلاء
الصحة من غير محاباة للحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ما هنا مضاد فيها
قد كرم وقد احتزل الممدد الاول دوننا - ولم يري ان هذه الطريقة هي الطريقة
الكل وقتنا الله وإياه الى الاستقامة عليها فانه لا خير في سواها

بَابُ الْحَمْدِ وَالْإِثْنِ

﴿مؤتمر الأديان في اليابان﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها بهذا أخرى في ذلك (راجع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ و ٨٠٨ و ص ٩٧٥) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ما كان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقيها وغربيها حتى ان بعض أهل الفيرة وعد يبذل المال في هذه السبيل عند ما تظهر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل النيا حوالة مالية للإغاثة على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من المؤسرين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسي في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما يهدم لاقامة هذه الفريضة المحترمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والفيرة في ذلك بهذا كره الماض ومساكنة الغائب فأجبت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدرة الجمعية التي يراد تأليفها على جمع المال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تعاضده من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفائهم . واتما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تحريك الهم وتوجيه النفوس الى العمل وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألّفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بجره وتفرقه اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف وكان من اقترح بعضهم أن تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستمدون

بالمعالم والمدارس للسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشعروا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس كلهم به خبر المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عقد مؤتمر ديني منذ سنين وقد دعت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملّة يظهرون فيه حقائق دينهم ووجهاتهم على كونه حتماً مفيداً للبشر والعمران يقال ان أولي الامر في الامة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الاديان ، وأعوها على ارتفاع الاجتماع والعمران ،

ذكرت « الجرائد المحلية » وهذا الخبر فشغل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجدد الناس يتحدثون به في مواضع أعمالهم - عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفقهاء في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلما يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الامة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ما تسمح له سمته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون الإرسال أهلاً لبيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الاديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكمته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الاديان الشهيرة الاخرى كالבודהة والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى العارفين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الازهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هو دون شيوخ الازهر علماً ومعرفة ومن الناس من يهوى يظهر للناس غيره وغيره من يجب

ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تتنازعها الاهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسراً قامت به وان رأته متعذراً أظهرت رأيها للناس فيه لهم يقيمون ،

أما الدولة البلية فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم انتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالاسلام، وان في ذلك لبرة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

وجونا ان تحسن الدولة المالية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المخل فلم يقض لنا ما رجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالمذاكرة بينها وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكلترا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتجب الى تعيين لجنة بمحدد الحدود على اوجه المألوف وتنذرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابات انكلترا الى ما طلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كما جقه في مكذوبة وغير مكذوبة اذ تنال أوروبا منا كل ما تريد في تركيا وسرا كس وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبا كبت أيديكم) لا ملوكنا يتوبون عن استبدادهم بالامر ولا أمتنا تتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها في أهوائها وجهائتها . والمجبب الذي لا ينقضي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم منا يرون أنه يجب علينا اظهار القوة من الضعف ووضع الدستور على عيو بنا وذو بنا التي حل بنا البلاء باقراها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهون الامة بان كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

﴿ الشيخ علي الجبري ﴾

رغب شيخ الجامع الازهر الى الامير أن يجعل الشيخ علي الجبري مدرسا واعظا في المساجد المصرية . وبين لمراتبنا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بهذا رسم الخطاب ما يأتي (بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر قد سمحت المنكالم السنية بترتيب ستة جنهيات شهر بالحضرة الشيخ علي أبي النور الجبري محسوبة على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ وبش العلم وارشاد المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقتضى تفريره لسعادتك بلبغا للامر أنفسهم)

مير الشيخ علي على سائر الوعاظ بجملة واعظا في جميع المساجد له ان يعظم ويعظم حيث وجد وانما يمين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا جوال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . وما يميز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز بالذات فانك ترى العالم الازهري من أصحاب الدرجات الرسمية ان وعظ لا يحضر مجلسه الا الآحاد وترى الجربي - وهو ليس بصاحب درجة رسمية - يعظم فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يعظم في كتاب يقرأ ويعرب كلامه ويبين العامة ما فيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شي من معاني الكلام قلوبهم وترى الجربي يعظم بشر كتاب فيفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الازهر يقرأ درسا للعامة في مسجد عينته فيه جمجمة مكارم الاخلاق فاذا هو يحضر لهم حديث «الماء سرج الدنيا ومصاييح الآخرة» فكثت في المسجد ساعة لم يُعَد بكلامه فيها البحث في المصاييح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير التقني أم هي أخص منها . . . وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصاييح . فانظر ما ذا يختارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجربي لا يفعل مثل ذلك وانما يتكلم على الناس بما يستقدأه فيقدم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم وقفا لله وإياه الى السداد والاخلاص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية ينبغي ان يعالجها وثباتها وفيه انما اتفقت على التعليم في هذه السنة فهو ٥٥٣٦ جنيتها منها ٤٣٤١ جنيتها وكسور من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فتدكر لأعضائها الفيورين معهم زادهم الله توفيقا

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كأخوص القطة » وصوابه « كأدحية النعامة » وهو مبيضا في الرمل وسبب سبق الذهن الى الأخوص ما ورد في الحديث من تشبيه المسجد العتيق به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي بينه في السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند علي بمعنى الذي



المجاهد

١٣١٥

هو في المسكن من رشا ومن يؤمن المسكن فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيسمعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى وده منارة كمنار الطريق

﴿ مصر الخنيس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ - ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نسيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطلو بأشعتها الأرض كل يوم ، والا بصار محدقة تحيط بما يشغل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الأرض ما تعرفه الشمس ان كانت ترى الاشياء كما نراها لذات لان جملها يتصرفه في قوى الطبيعة كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفهم به الى من في سائر الارحاء . فالبرق الخافق ما بين الثقافتين ، يفهم الى المفرين بأخبار المشرقين ، وينبئ المشرقين بأعمال المفرين ، فطرق العبارة مستعدة ، ورواحل الهجرة مذلّة ، ونجى العلوم والعرفان دون تناول الأيدي من كل مكان ، هذا التواصل في المكان ، والتقارب في الزمان ، لم يدعأ عنرا لشعب أبغض من الناس ، اذا لم يجار ويبار سائر الشعوب والأجناس ، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان يقبلوا كبارهم الذين ينشئون بينهم في كل ما يروونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثلهم في أحوالهم معدودة ، وعهدنا من طبيعة رجالة أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمور تكون لهم مزايا مشهودة ، فالنقل والانتقال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواحي الطبيعية ، مما يحفظ الانسان أحسن ما وجد ، وبما يتدفع الملم يجد ، فهما الجناحان اللذان يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعدادوا له من الكمال ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصغ الاذن الى ما تسمع من أخبارهم في كل يوم ، تعلم أن جميع الشعوب والأجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية التي أوامنا إليها آنفا ما عدا المسلمين فاتهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير طبيعة البشر لكنهم ادونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان تقول ان أحدا منهم ساوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟ قد اتقد من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب ألا هو الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها -- أرقى منهم في الحكومة

والمدنية، أرقى منهم في العلوم والفنون، أرقى منهم في الصنائع والأعمال، أرقى منهم في الآداب والاجتماع، ولك ان تستفي عن ذلك كله بأن تقول أنهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عدداً ولا حقوقاً في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وإنجلترا وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بهذا الاشتغال بالترقية والتعليم على الطريقة الأوروبية قروناً كاملاً ؟ انهم لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محرزون لشيء من العلوم بل لم تسهمهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف ألف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والإرادة لا يهابون في الحق حاكماً ولا يخافون فيه لائماً، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقيتها تكاد تخرج أيضاً بما تملك أفراد الاجانب وشركائهم من أطيائها في كل عام وما يتزودون من أموالها في كل يوم . ولا فطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تغنيان عن ذلك بما تنهب فيه آناً بعد آناً .

فكيف يكون حكماً عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثنيي اليابان

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن الجيوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد أسسوا وراء هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والثرية والثرية فلم تسهمهم لمساابقة من هم أكثر منهم عدداً كالمندوس، ولم ينجحوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالجيوس،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت الجيوس أرقى شعوب الهند علماً وعملاً وأخلاقاً وآداباً وأكثرهم براً واحساناً لأنفسهم وجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين، سمعت خطيباً منهم بخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره، وسعة عرفانه، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته بخطب الناس في مجتمع عام في بمباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحرق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى أنه اذا اختطف غراب عظاما من عظام الدبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة للكفار فن الله تعالى بغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعت يذكرون تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه ولم يخصها ان مریداله مات فجعل أهله الشيخ على أحيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المرید فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها بأذن الله الا بأذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نجراً على ذكر ما قبل في شكوى ملك لربه وما أجيب به السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الأقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكترون كل دعوة الى الإصلاح بالعالم الصحيح والثرية القويمة كما حاج أرباب العالم في يماي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته « اخواننا الشيعة » وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وأنهم لا ينزلون في مولد الشيخ من البقعات ما لو بذلوه في تسميم التعلیم لو في به

في الهند حركة اسلامية جديدة يرجي خيرها ولكنها ضيقة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الأخرى في فهمهم وجدهم فإذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

بيننا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فثاره غرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جعلهم بدينهم أولسهم لدينهم كما يابس الغرو مقلوباً . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤسائهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على راسه ، أو ناسقة له من أسامه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونهضة وقائصة لم يلونها لهم رؤسائهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لياي الدين وصميم الدين أو من سجاج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خوبت قلوبهم من الدين حتى لا نجد في الالوف منهم واحدا يحكم ما يقتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكة دون ما يقتقد البرهان ، أو يعترف به لانه منصوص في القرآن ،

لأنطيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لما بما فعل المسلمون بأساسيا لديني والدينيوي أو الروحاني والجمالي - أساس الاسلام الروحاني وتوحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت لتذكير بهذا الاصل والامداد له والحفاظه عليه ومن معناه أن لا يلمس الانسان شيئا مما الامن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسيبات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئا ما من غير سببه العام ، المبدول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جبل السبب أو تضرع عليه توجه الى الله وحده اعله يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الام عن استمراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتقاد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما يحلوه لبعض الناس من السلطة الآتية الغيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل ، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الدينيوي جمل أمر المسلمين في حكومتهم شوري بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شوري بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأي السليم الذين منحهم الأمة وثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدينية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الاساس في التسم الدينيوي من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتخصه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفوض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر لتدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الأساس شرا مما فعلوا بالاساس الأول لأن نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قدرضي به جميع المسلمين في بلادهم فيها سلطة الاملا يخلو عنه الزمان من أفراد ينكرون هذه السلطة بالسنتهم دون أن يؤمنوا بجهميات تقوضها على ان الانتكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضعف الايمان ،

للإسلام أصول وفروع فمن حفظ الأصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاءه ومن مغفلة الله تعالى ومن ترك الأصول كان تاركا للدين بالمرّة غير معدود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الإسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمَن يرجو النجاة في دينه من ترك الأصل الأول فعجل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كالقال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يرجو النجاة في دينه من رضى بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدسا غير مسؤول أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢٣:٢١) لا يستل عما يفعل وهم يسئلون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في المصدر الأول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أو رضى بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كعباد الاصنام طال الزمان على اهمال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الإسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان للسلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتقويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من احكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لساير المسلمين في الاحكام الشرعية وما امتاز به عند بعضهم أنه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فانها تحرم على زوجها وتحل له !! وهذا كفر صريح
وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يستقدون أن السلطان
مخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحيته أخضر
أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فاذا
نطقوا بالحق عمل سيف اباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف
الايمان وهو الانكار بقولهم . هل يصدق بهذه الدعوى - دعوى أضعف
الايمان - من يمدح المستبدين ويدعن لهم ويدافع عنهم ؟ هل يصدق بهامن
يصل لهم ويقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم ؟
هل يصدق بها من لم ينل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً ، لتأليف
جمعة تطالبهم بحكم الشورى جهراً ، وتقرهم عليه بقوة الأمة قسراً ، فان الله تعالى
ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من
الامة الا لتكون بآمن من المستبدين ، مسيطرة عليهم باسم الدين ، فاذا فعل هؤلاء
العلماء بقوله تعالى (١٠٤:٣) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى
منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليأسه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان»
اذا ادعى هؤلاء المعجز عن ذلك فاذا يقول العلماء الذين لا يمنعون مانع من
الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام
في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فاذا يمنعون ان
يطالبوا بحكام سائر بلاد المسلمين بإقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن
(٣٨:٤٢) وأمرهم شورى بينهم) ؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى
سلطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يحشون ان
يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أم يحسبون ان كتابتهم لا تنفذ ولا تنفع ؟ كيف
وهم يعلمون ان بعض السلاطين يهتم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرايش
الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الأعظم من المسلمين ؟ ادعوه فأرضوه ، أوخذوه فملووه ،
لا شك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الإصلاح

تفضل في هذه الدولة التي يتعنى الجميع صلاح حالها مالا تقطعه الثورات التي تجري فيها أثمار الدماء طلباً للإصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يتعودوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعودوا علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدؤوا بهذه النصيحة وعليهم أن يسجلوا بها فإن نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بمجمل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي حرين عليها في كريت ومكدونية وإذا تحقق ذلك - والياذ بالله - فقد زالت سلطة المسلمين إذ لا يعقل أن يقضين على تركيا ويبقين على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

إذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم - وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم إلا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين - وكان طول الأمد على هذا الإفساد قد أضفى في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي - وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال - وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الإسلامية لم تسمح للشهوض بإكراه حكاهم على العدل والشورى كأنهم ضمت الشعوب المسيحية واحداً بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكان شاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا - وكان الذي يمكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم أن الدين يوجب طاعتهم على الإطلاق - وكان الحق المجسم عليه أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - إذا كان ما ذكر كما ذكر قالوا يجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر أن يبينوا الملوك المسلمين ولعالمهم الحق في ذلك مادام في القوس منزع - أن يطالبوا الملوك بالعدل والإصلاح في الأرض بحكم الشورى فإن لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بصد أن يبينوا للعامة في الجرائد حكم الله في حكومة الإسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المستول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يستل عما يفعل وهم يستلون

أهل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تهافت عليه الدولة العثمانية لأن أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساوئها — على أنها لا تعرف إلا العز والسير — وتحلبها بالفصائل والفواضل المستحقة التي ترى أنها تشد أو تخي الآمال بها وتغل عدوان أوربا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الأعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به إليها قلوب الشعوب الاسلامية ، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الا خيرا والحق الذي عرفناه من البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجع بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فإن بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوربا الى الاعتصام بمرور الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الإيقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بواحد ونفوذ بالله من أواخره (والثانية - داخلية) وهي مناصبة الدولة للمسلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فليست المحب المنصف في عاقبة أمة تمد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنايات وتشد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الأموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

إذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يمتدحه بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشبه ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تمتد تشهيرا ضاراً ؟! أظن ان الجاهل الذي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم لكل شيء قلن تقيمونه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام) : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابيه

ولا إثم للمسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فأبلى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء أن يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم أن يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها فإننا مستعدون لبيان ما نستل عنه ونعرض الى الله تعالى أن يجعل الله هذه الأمة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بإرشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بخيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بخيت رسالة سماها (إزاحة الوم والاشباه ، عن رسالتي الفونوغراف والسو كورتاه) أورد فيها ما اتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار ورد عليه . وقد اطلنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهاوت قول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليغالط الناس لا اعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال أنه قد دافع عن نفسه وقد كلام المترض عليه ولا أوغلنا في القراءة ترجع عندنا أنه هو نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عند ما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقة منسوباً اليها واتانين بعض تهافته بما فيه المبرة فقارئين

﴿ أدب الشيخ بخيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص ٢٩) من رسالتيه « وانما قلنا عبارة المترض بعطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها برودا من لسيح خيوطها » اه نصه البليغ !!
أقول انني أعترف بأن في عبارة قد المنار لرسالتيه يوسوسة وأشرت الى السبب الطام لذلك . ذلك انني كتبت تلك السبارة وأنا متألم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين كافراً واستدلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذرا في نشر هذا المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذر ولم أجدي في قاله ولا حاله منفذا لنور الاخلاص فكنت «تحت عامل التأخير» كما قول الافرنج خفاء العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من التبر باللقاب ومجاورة حدود الاداب والتشديق بالتفخر والاعجاب ، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات اشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صفة الحقد (١) والحسد (٢) وملؤه قنات النفثات (كنا) في القصد (٣) نستفيد منه رب الفلق (٤) كما نستفيد رب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بندي القوة والحول ، وقهوض أمرنا اليه ، وتوكل في جميع شؤوننا عليه ، فانه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ، ويمنعهما أو يسلبهما بمن يشاء (٦) ويتبلى بعض العلم والعلماء (٧) فيخلق ما شاء ان يخلق عليهم (٨) وينسب كذبا ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وان لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا في (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ، ان أحجب عما جاء في الخطاب ، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه بنصه التزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الاسطر من السب والشتم والتبر واللمز والعجب والتفخروانه ليس فيها وراء الشتم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الاداب ، والترفع عن مجازاة المعترض عليه بالسباب «هذا وما فكيف لو»

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمعتن العنيد وقال في (ص ٢٦) إنه عاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل بيده (وكم من عائب الخ وقص منه لفظ (عجيبا) و) (السيقم) نزاهة وقتنا في البديع ولا يتزه عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص ٢٩) : جرت عادة المعترض وأمثاله ممن كلوا يتميزون من القبط حسدا على أن يحترقوا علينا الأبطال ثم ادعى أنه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الحاسدين على جنبه ، ولا يجري ذكره علي لسانه ، قال : ولكن الحسد بصمي ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعترض أن الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعارض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا نقول بقول هذا المعارض الخالف لكتاب الله: فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمنين والكافر والموافق واستسط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم يتنافى كون الاعراب هم سكان البادية وياليتني راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعارض عليه لم يقل الا بما به قال القويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا يتنافى التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بان المسألة خلافية بين تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعارض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جراً على الاحاديث لافرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعارض في آخر (ص ٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (ص ٥٨) وعرض بعد ذلك بمعارض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعارض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراه انعامه ليسا مظنة (الخلافه) الخ فهو قول من لم يؤثقه الله فهما ، ولم يثق للكلام طلعا ؛ وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يمد في الذروة العليا من الزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في افتاد المعارض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لاثمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما ما قاله المعارض من سوء الأدب في العبارة فانا نسمح فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يفيقه ونقف عند دما يديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فبالت شعري لو لم تكن أرحمة الحلم والكرم والزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للعفو والسماح عن المعارض ماذا كان يقول فيه ' ولولم يذبا لتواضع والحشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئ نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



﴿الاختلاف في عدآي القرآن﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهند في ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته

سيد العزير

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تعبرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو

باحاطي علما برأيك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وأنه عند مراجعة مواضع هذا الكتاب الكريم قد تنالنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثل لذلك في (راكواز) (*) فانهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا وماركش وبلاد العرب والهند لاجل تجميع المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف ان لا يتفق المسلمون في الآيات والصور لكتاب صغير الحجم

واني لا آسف على اني لا أمحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي أعلى توضيح أفكارى باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني رجوا ان توفى الخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجوا ان تكون ممثما

صديقك التخص

بالصحة والعافية

م . كريم بكلمش

(المنار) من آيات الحجة في الأمانة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكماليات والتحسينات من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فينا كان اخونا الهندي يفكر في مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجي رسالة الاقتراح من الهند فرأينا أن ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بمجلة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنهم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

مجمع البرهان القويم

في

الحاجة الى عدد آي القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (و بعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما ارغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لمعانيه سجدا أر باب الماني وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصاييح الهدى علماء الأمة الاسلامية في كل عصر ان تلبس بخدشته تاج الشرف فأمضوا في ذلك اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهقات أفلامهم حتي أشرفت على النام ثم اخضت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز الثمينة تذكرنا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراءاته وعد آياته وحصرها وعمل المعجمات المتنوعة للاهتمام به . ثم تلاهم في الوجود ذلك الخلف فبرهن بجملته على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتاج مسالك الآباء وتنفيذ النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلبت قيمة ماورثوه في انظارهم ومقتوا المناكرة في شأنه مقنا إلا بقوة لا تز يد على عد الأصابع في هذا المجمع الحافل أودت أن أمته يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زمينهم بعمل خدمة للقرآن الكريم وهي (دليل للاهتمام به) فأعددت للعمل عذني وشمرت عن ساعد

الجد فسرت بالعمل شوطا بعيدا قاربت معه الوصول الى ما أَرْضِيهِ من النافذة ثم
وقفت مفكرا في طريق تعميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عد آيات السور في جميع
المصاحف والتفسير التي تبادلها الأيدي عدا خاليا من المباشرة والخلاف ولاجل
تنبيه فكرة اخواني من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي
مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها الى ما شاء الله ان أصل من الثقة بالنتيجة وعلى
أثر الفراغ من ذلك دعيت عوامل الاخلاص الى وضع هذه الاسطر اليسيرة أبدى
بها اصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الاقلام
نموذجا من عملي في تحقيق عد الآيات وبيان ما هو الأولى بالاقتدار لتعميم العد
بموجبه مؤملا من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقده
ونقيحه بما تمس الحاجة اليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالإشارة الى وجوب عد
آيات المصاحف والتفسير بالعد الذي يقر عليه الرأي ويشار اليه بالاقتدار طلبا
لتوحيده ومنما من تعدد المذود رغبة في افراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب
الله الكريم في مشارق الارض ومفار بها والله الهادي الى سواء السبيل



٩- القرآن الكريم ١١٤ سورة الاولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقرة والاخيرة
سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار
معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة
عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية رأس الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة
١- كانت الحفظة من الصحابة تهيئ مع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد
آيات كل سورة من سورته وعدد كل آية من سورته وبذلك كلف اذا قرأ
اقتراى منهم بعضا من سورة قدر ما قرأه بما فيه من الآيات . وكان اذا أراد
أحد ان يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي
ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا الى أول تلك الآيات
بعددها الخاص بها والى الأخيرة منها كذلك ومما يشهد لهم بهذا أولا ما جاء في
الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الأشعرين) وهو حديث عن علقمة قال فيه
 (كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيتطيع هؤلاء
 الشبان أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم بقراءة عليك قال
 أجل. قال اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أتأمر علقمة
 وليس باقرئنا أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت
 خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن... الخ)
 والشاهد فيه تقدير علقمة ما قرأه من السورة بما فيه من الآيات. وثانياً ما جاء
 في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب
 السابع والحسين من أبوابه (باب ربنا إنما سمعنا منادياً ينادي للإيمان... الخ)
 وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن ميثم النبي صلى الله عليه وسلم عند خالته
 ميمونة وقد ذكره الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا
 الموضوع زيادة قوله (ثم قرأ المشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى
 شن... الخ) وفيه الإشارة إلى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين
 السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الأخيرة. ومن قبيله ما ينقله
 المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت
 أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران... الخ) وكذلك ما ذكره صاحب
 لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن
 بن عوف أخبرني عن قصصكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة
 آل عمران نجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك»... الخ).

* *

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما سمعناك
 به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ
 المصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية المشهورة انتقاء الخلاف في ذلك
 الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل عصر من الصحابة والتابعين بثبوت
 معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سورة وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم
 جُمع ما قيل عن ذلك في كل مصر وإذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في
 مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين أن
 اثنين من تلك الأقوال الستة نقلًا عن أهل المدينة عن الإمامين الجليلين أبي
 جعفر يزيد بن الققاع وشيبة بن نصاح ويعرف أولها بالمديني الأول وجملة
 الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الإمامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني
 بالمديني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله
 ورضي عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة ويعرف بالمكي وفيه
 روايتان أحدهما عن أبي بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير
 أبي بلا تسعين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام
 عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان ويعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦
 وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي
 كرم الله وجهه ويعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن
 أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ويعرف بالبصري وجملة الآيات
 فيه ٦٢٠٤ واليك يانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المديني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائله في ستة مواضع
المديني الأخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكي	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبي ممن عد الآيات بمكة ولم يبين من هو
الشامي	٦٢٣٦	الرواية الراجحة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصري	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

السلف من الصحابة والتابعين في استمدائهم من الكتاب الكريم بالإشارة إلى آياته بمددها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم ٢- وأخيرا قامت من احتياجات المكركين داعية الرجوع إلى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فعدت آيات السور أو آخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية وبصرف بالمصنف المياني والثاني عده بأوروبا مستشرق الماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار إلى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآتي في المصنف المذكور وبذلك استفاد من قرآنا الكريم مهرة الغربيين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية عالم يحصل عليه أكثر المتعلمين من أبناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عدد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عدد ٣٤ سورة ويختلفان في عدد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبين أن جملة آيات المصنف المياني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصنف الألماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الأعداد المنقولة عن السلف ولا أجل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتتبع أولا من صحة كل قول ما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سورته وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به عمل كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشبرا بالصواب أمام كل غلطة مؤملا لنجاحي في تصحيحها وفي توحيد عدد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله المبين واليك بيان النتائج التي وصلت إليها

هـ - جاء اختلاف عدد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي أن بعضهم اعتمد في عده من الفواصل ما لم يمتدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم ما لم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الأول بالفواصل المتفق عليها والتي من

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء
الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١
٣	٤	٥	١٦	٤٣	٨
١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥
٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
٦٢١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاءت به النقول عن المدني
الاول والمكي ومنشأ ذلك وجود خلاف للمدني الاول في ستة مواضع ورود
اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأما المكي
فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولا هال الراوي نسبة الاضطراب في
المواضع المضطربة الى احدي الرايتين . (انظر الى قول الثالث من رقم -٣-

-٨- توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم -٧- بمعل تفصيلي مثله لكل سورة
من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بإرشاد الكتب المؤلفة في الفواصل
و بعض التفاسير ولتأت هنا بمثال لسورة بوضع ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان
باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها مبيعة مواضع (أي فواصلها
الخلافية سبع) وقد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها
« (الم) عدده الكوفي (الإنجيل) الأولى عدده ما عدا الشامي ١٠٠٠ الخ » ثم سردت
الفواصل المتفق عليها . فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا وإذا بها
في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عدنا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول - أ -

نمره مسلسله	اسماء المواضع الخلافية	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	آدم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الأولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مها تخبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

وبه تبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت منها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يسطيه هذا البيان من جملة الآيات للمذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجلًا

جدول - ب -

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ماعد من مواضع الخلاف في كل قول						
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري	
٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لأجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم المبدوء فيه من الفواصل الخلافية إلى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط للثقة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فيه المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عده (فلوجل)
فكانت النتيجة ماسأذكره والله المعين

٩- قد علمنا ما ذكر برقم ٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١
وبالتأمل في المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة ووافقهم في عد ٦٠٩٤ فاصله
ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم ٦) ١٤٥ موضعا
وأنفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة
مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عده (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق
عليها ٨٩ موضعا ووافقهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل
الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف
وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨
واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

الاصحاف العثماني عد فلوجل	المصحف عد
٦١٠١	٦١٠١
٧	٨٩
٦٠٩٤	٦٠١٢
١٤٥	١٠٨
٥	١١٨
٦٢٤٤	٦٢٣٨

والتأنيذ المذكورة انما حصص من عمل تفصيلي لكل سورة ما فيها خلاف
على النسق الآتي وليكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب — سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سورا القرآن)

المصحف المتفق	المصحف المتفق
عدد فصول	عدد فصول
عدد	عدد
١٩٧	١٩٧
١٢	١
١٨٥	١٩٦
١	٣
١٤	١
٢٠٠	٢٠٠

تفصيل لهذا الاجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنون) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي السّم • الفرقان • الانجيل • —ثانية— وأخر الآيات ١ و ٣ و ٤٨ وأما ما انفرد بهده خطأ فهو آخر آية ١٦٦ ولفظه (للإيمان)

وأما المصحف الذي عده فصول فالمواضع الاثني عشر التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي السماء • المصير • رحيم • المالمين • العليم • الدعاء • وأطيعون • الحكيم • الكافرين • الكافرين (الثانية) • المؤمنين • البلاد • وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان • آخر آية ٢ وأما ما انفرد بهده خطأ ولم يكن من الفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية وهي ١٨ و ٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب • ومن اتبعني • المهراب • قائما • سبيلا • اخوانا • ما تحبون • للإيمان • الطيب • شر لهم • النار • فأمنّا • من بعض • الأنهار • قليلا

فانظر أعانتني الله وإياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمحت لك
الفرص ونهني على ما تبينه موجبا لتنبيه بداعية الاخلاص الاخوي

٩٠ - رأيتني أياها القاري الكريم أقترح في فاتحة هذه الاطر وجوب عد آيات
القرآن في المصاحف والتفسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ. ووجدتني بينت
لك فيما تقدم (برقم ٣-) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب
العزیز واكتنهما غير متطابقة وكأني بك الآن تطالني بما أجب به اذا سئلت
عن تعيين ذلك المد وتحديدده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القاري الكريم عن
رأيي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختماره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد
فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عدم عدود السلف الستة للعرض الذي تسكلم
في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبين لي في
تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد
منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك
المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول - ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي رل الوحي بها على
غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والمقلنين منهم في غيرها من البقاع
الثاني - ترجيح الم اضطرب الروايات في عدم مواضعه على غيره لان الاضطراب
في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان
أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث - ترجيح ما قلنت فيه المعدادات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره
لان الموضع الذي يأتي عده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بمده مما لم يبحي
عده الا في قول واحد

الرابع - ترجيح العد الذي يحزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع
بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بين

الخامس - ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلاف على غيره لان الخلاف في موضع

موجب للشك فيه كالاضطراب بل أكثر والخلف في موضع معين من قول معين هو انقسام عادي ذلك القول في عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعده والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العاديين أنفسهم وأما الاضطراب فإنه يقع من الرواة فتأمل)

و بمرض هذه المرجحات الخس على كل قول من أقوال السلف السنة وجدت المدني الاخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تدبته من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أجيب به ولك أيها القارئ الكريم الشأن فيما تبين فيه الاولوية والارجحية لاني ماقلت الا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم البقرة التي نقل القول عن أهلها	عدد المواضع المنطوية	معدوداته الافرادية	جنس الرواية	مواضع الخلف	اعداد سلسلة	اسم القول
المدينة المنورة	١	٣	١ مجزوم بها	٦	١	المدني الاول
»	٠٠	٤	١ » »	٠٠	٢	» الاخبر
مكة المكرمة	٤	٥	٢ المجزوم بواحدة منهما	لم تستعدد	٣	المكي
بلاد الشام	١	١٨	٢ مجزوم بكتيهما	١	٤	الشامي
الكوكة	٠٠	٤٣	١ مجزوم بها	٠٠	٥	الكوفي
البصرة	٠٠	٠٨	٢ مجزوم بكتيهما	١	٦	البصري

ولست تجد في هذا الجدول عمدا أجري في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الافرادية عن غيره مع الثبوت في روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم



١١- ﴿بيان الحاجة إلى عد آيات القرآن الكريم بالأرقام﴾

﴿ومن ألف في ذلك﴾

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بما في ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين . وإن كان عددهم بالنسبة إلى المجموع أقل من الواجب بكثير . وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الأسباب التي دعت أو باب الفكر إلى تأليف (دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن)* (١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)* (٢) و (مفتاح كنوز القرآن)* (٣) و (مرآة القرآن)* (٤) و (تحليل القرآن)* (٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك أسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها وليبيان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الحيران - هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علت أو نالها ويشير إلى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به أن من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها معدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان - يشير هذا المؤلف إلى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنيكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنيكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنيكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الأرقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق إلا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بألمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

(١) تأليف الحاج صالح نانظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بألمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة برسيبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أغندي شريفاتي وهو خط بالكتبخانة الحديوية المصرية (٥) تأليف الموسوي (لا بوم) وطبع بياريس من فرنسا

غير معدودة والمحدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالأرقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالشور على مطاوعه دفعة واحدة وهو سبب بما يقضي بإهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن - وضع هذا المؤلف على شكل منترج. ما من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل بذلك مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماماً ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلاً ٦٢٥ - بقره - الله لا اله الا هو (الحق) القويم معناه ان كلمة (الحق) التي يسبقها (الله لا اله الا هو) ويلحقها (القويم) توجد في الشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير معدودة بالعشرات ولا بغيرها صار من العسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطة

تنبيه - اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بمدة موحداً بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف. لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا الخ

(٤) مرآة القرآن - يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعمال الحرف (الالف) للإشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للإشارة الى وسطه وحرف (الراء) للإشارة الى آخره. وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مؤلف كان قصور تعميم الانتفاع به لا الكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية - أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلاً آيات المبراث مجموعة تحت عنوان المبراث والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فنفهته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تنفق مع المصحف عند (فلوجل) للطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الشاء على واضعه الاجنبى عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأيناه في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب (حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الأدلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من الفرق الإسلامية على مذهبه وبما أن أغلب المستبين من المسلمين لا يحفظون القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يبين على الكشف في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني والى معجم لغوى ينقسم الى قسمين يذكر في الاول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة بحسب أوائلها وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضعت لهذه الاعراض قبل زماننا هذا تقصيرا يمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه آفان أساس ذلك التقصير أهمال اختيار عدد موحد تعد به الآيات في المصاحف

والتفاسير التي تتبادلها الأيدى أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميمها والآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قبلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال ذكرناها برقم ٣ — أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهنيد دليلي لتبليضه ودعائي الى عرض هذا الفكر على السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الثاقبة ليروا فيه رأيهم وفي الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضوع بالمطالعة من اقراء الكرام وشاركني في الاهتمام بهذا الفرض السامي فيؤمن فيه نظره ويسرّح فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له ويشير بما يراه من له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلما نه وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات ، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بعددها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم في التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفي الاقن أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قابل وليس بضارنا شيئاً . وأي عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه في هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إيرادها وانني لأراجع الآية بفتح كمنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيها هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب في عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف في العدد والعمل بما يظهر أنه أقرب للصواب هو استعداده الفطري للأمور التحسينية وان كان في أمة لم تتقن الأمور الضرورية والحاجة . ولذلك رأيناه أول من ألف في عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عد الآي وضبطها وعد احاديث البخاري وعمل جدول لابوابه ولاغرو فقد كان والده ميالاً لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلا زال موفياً

﴿ المدرسة المحمدية بقران (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني في المدرسة المحمدية بقران الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى سيدي أبدي اليك المذمور لهدم مكاتبني بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من تشرفي بجمالكم لمدد يطول يباهي والمدد عند كرام الناس مقبول أما بعد فيا سيدي : أنا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قران مشحونة بالكذب والافراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبتها من غير إخراج تصاراً على من أخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، وترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقاييس اليه كذبهم واقراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والإعدادية -- والعالية . ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الإعدادية أربع أيضاً ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضاً

فالترزم في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقا على قواعد اللسان -- وصحيح الاملاء -- وحسن الخط -- وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد -- وانحروديات الدينية من الاعتقادات والمبادئ والمعاملات والاخلاق -- وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلواتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتعمين اقراءة التبركية الثمانية ، ومن الحساب تمرين القواعد (الأربع) به . لياتيها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، وائمة الفارسية بقرائنها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضاً . ونحسين الخط . ونخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية، وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدي المطلق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والديباج ، والدروس ، وأصول الفقه وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اكتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظرية والعملية (الطريقة

المحمدية) ، والادبيات العربية والعثمانية ، والجغرافيا العمومية ، والتاريخ العمومي ، والتفسير (لجلالين) والحديث (للامام البخاري) ، والهداية (في الفقه الحنفية) ، ومن الطبيعيات الكيمياء . ومسائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والقائض وغيرها . ويلتزم في القسم العالي : التفسير - والحديث - وفقه أبي حنيفة - والادبيات العربية . والعقائد المدونة مطابقة لحالة الامة الخاضرة (كذلك) والتاريخ مع السقيفة ، والجغرافيا مع تاريخها ، والطبيعيات ، والبيداوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرتضوم)

هذا . ولحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات اليونان والفتازاني . وقولهم : ولا يدرس فيها غير ما ذكرنا من التفسير ولا من الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالمجان اثنان وعثمان طالبا من ذوي النهى وابقوا (أوتي) من لا يهتم بشيء من الإصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهى دون الباقيين مع انطربق التعليم فيها وخيم (كما قالوا) . وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي تحصلها في مدارسنا لا تكفي للإمامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلمون فيها من الاخلاق والتربية . وقولهم : نحن لا نكون بما تعلمنا فيها الامضية للعلوم وعلماء السوء . وقولهم : اما اساتذتنا فيملون أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والفتازانيات ، ويسومونا بحفظ الحواشي والنظائمت . وقولهم وقولهم . فنرجو من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام في المنار وان لا تندسوا وجه المنار بمثل هذه الاقوال الساقطة والمختلقات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرشاخ على الباطل ؟ والجواب : ان ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقرؤا بالسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من الترقى والتمدن الحقيقي (كما يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومعتقدين على أهلها والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء ونشئت المدارس الحاضرة أيدي سبائهم جمعها على الأساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والنشئت واسطة كل ما يتسمر لهم من الأقوال والأفعال . منها اغواء الطلبة بأن حالهم ليست حالة مرضية لأن جهة المدرس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الإدارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآكل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلاً والعلوم الدينية تبعاً وليحوّل المدارس الدينية مدارس دنيوية وهكذا . لأنهم لا يحسون الاحتياج إلى المدارس الدينية كأزهر أهل فرانسا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكفل يلزم ان تدرس وتنفى بنفسها بعد ما تأسس المدارس الدنيوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الامر ولو بسنة .

ونحن نقول : لا تمسوا مدارس الحاضرة وتصلحها بالنديج ، لئلا يكون حالنا كحال حنين ، وابنوا أنتم وأسسوا المدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها وليدرس المدارس بعدها بنفسها (على ما نزعون) ، ونحن لا ننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس وإلى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية ، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد ، وندعو الناس إليها ومع ذلك نحس الاحتياج إلى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا تخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الرسمية إلى المدارس الدينية أيضاً بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساساً لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئاً من التأني ولا يستقيم بالعجلة ولا نصلى انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، وبزويد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والامير يركب مع ارتقاء المعارف فيها غاية

ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنف العاليه فاتبه المتصرون منهم ولم يساعدهم بعده في حركاتهم فتفرقوا فقتل

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فمجزوا .
ثم أخذوا طريقاً آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن
مرادهم من التحريك إصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضاً يرمون
للعلوم الدينية كما أنهم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس مانعها علوماً دينية
بل غيرها وهكذا . اهتصه وفيه غلط قليل أشار إلى بعضه ولمعلمه راجعه

(المنار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي
روسيا في التعليم والتربية مهمنا جداً ، لا لنا فيهم من الرجاء وحسن الفطن وصاحبنا
الاستاذ كاتب الرسالة أدرى بتلك الحال . وما ذكره من ترتيب التعليم في المدرسة
المحمدية لا ينطبق على ما نسب إلينا بعض التلاميذ ولا يخول على إيجابه من انتقاد
وحاجة إلى الإصلاح وباليته يتفضل فيرسل إلينا نسخة من البروغرام لنبدي رأينا
في ذلك على بصيرة نامة وقد اطلعنا على ما كتب رضا الدين أفندي الشهير في
إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أورنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء
والقاء دلونا مع دلوه لولا أن جاءت هذه الرسالة فحلت دون ذلك وفتحت لنا
باباً جديداً من التروبي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهرون لنا أنها اللغة التتارية
ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة إلى اللغة
الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية
وهذا عبء ثقیل فذلي صديقي كاتب الرسالة يعرف وجه الحاجة إلى تعلم لغة
الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة إلى اللغة الفارسية
والتركية أي جمل تعلم ذلك إلزامياً عاماً . وعلمنا أنهم يقرأون هاملات اللغة في كل
قسم من الابتدائي إلى العالي ولم يذكر مصطلح الحديث . وذكر من المصطلح الشمسية
فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ما ذكره في سبب انتقاد المدارس الاسلامية فالإصاقه ببعض المبتدئين
من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، ویمونا ان نعرف مشار هذه الأفكار .
وكيف السبيل إلى تلافياها ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود إلى البحث في ذاك

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتاونا عند الباب لا حاجة لأشعة المشترين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وطائفة) وله بعد ذلك أن يرمر إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإن شاء ذكر الأسماء بالتدريج غالباً ورمزاً قداماً آخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشتر كمثل هذا . ولما يعني على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عند رخصنا لا نقف له

﴿ اشتراط القبول في الوقف عقب الإيجاب وعدم جواز بيعه ﴾

(س ٢٦) أرسل إلينا أحد العلماء في عبادي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الأنا م بطول بقائكم
وقعت عندنا مسألة يظهر أفضليتها من سياق عبارة السؤال الآتي
الذي تقدمه إلى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب
الامام الشافعي والله يدبركم ويتولاكم
رحل وقف وقفنا مؤبداً على أولاده وهم أبناءه الثلاثة وبنته وعلى زوجته
وأخته بأنه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط
لهذا الوقف شروطاً منها أن يكون النظر لنفسه مادام حياً ثم من بعد موته يكون
النظر لأولاده فلان ثم لا أكبر أولاد بنيه وهلم جرا فإن لم يوجد من شرط له النظر أو
وجد ولكن قعد فيه الرشد فالنظر لمن شرط له بعده فإن لم يبق أحد من
المشروط لهم النظر فالنظر لمسجد فلان (أي وإن كان ابن الواقف الذي
لم يشترط له النظر موجوداً مثلاً) ومنها أن يأخذ الناظر الواقف من غلة
الوقف لكل شهر قدر ما يصيب في مقابلة نظره مادام حياً . ومنها أن يصرف من غلة
الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الحالية وإن يحفظ كل شهر من الغلة قدر ما
معلوم لا يحتاج إليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي
الغلة على الموقوف عليهم المذكورين للذكر مثل حظ الأنثيين . ومنها أنه إذا
ماتت أخت الواقف أو زوجته فمهم كل منها يرجع إلى أصل الغلة وكذلك ما يأخذ

الوقف في مقابلة نظره يرجع الى الفلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائما وأبدا في ابنا وأولاده ما تاسلوا لذلك مثل حظ الاثنين وليس لاولاد البنات شي في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها لذلك ذكر مثل حظ الاثنين . ومنها انه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم في الوقف وإنما يتبرع له الناظر بنزد يسير ومقدار معين قليل لا يزداد عليه . ومنها انه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولدا صليبا فانه ينتقل سهمه الى اخوته لذلك ذكر مثل حظ الاثنين فان لم تكن له اخوة فالى أقرب عصيانه وهم جراحتي اذا اقترضوا عن آخرهم تصرف الفلة في جهة البر وقد بينها وحينئذ يكون الناظر ومتولي مسجد فلان . وشرط أيضا شروطا أخر منها ان تقسم الفلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فانه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يمين عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فان لم يستوف الكرى من سهمه يطالب به وان للناظر ان يأمر كل من أراد من سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها ان ليس لأحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الفلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثاله شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطا واحدا هو ان ربة الوقف اذا جرى عليها شيء سياري من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانيا فللناظر أن يقرض لأجل البناء فان لم يقرض بضمائه فليبيع ربة الوقف وليشتر بشمعا عوضا عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الوقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضاءهم في ورقة التسليم ليستلموا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول وبطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يترد برء الموقوف عليهم المعينين فان كانوا البطن الاول يعطل برءهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فبطل هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لايهيده وقفا واكرهنا على الامضاء
 مما لا فائدة فيه . فلم يسمع قول هذا القائل . وجرى الناظر الوقف شروط الوقف
 وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على
 ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت المقعد للثاني وجعل يتطعم من
 سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهمهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها
 توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف
 فجعل يعطي سهم الاول لاختوته الموجودين لذلك مثل حظ الاثنين وجعل
 سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظار بحسب شرطه لولده فلان
 المذكور فجعل يحذو حذو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم
 المذكور فجعل يحذو حذو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم
 أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهمهم ليتصرفوا فيه مطلقا ليكون الوقف
 قد بطل بردهم كما علم فاني هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهمهم
 في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كلهم وليس لاحد
 في عين الموقوف حق ما

فأقام بعض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندنا كم البلد
 الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقا بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر
 وباقي الموقوف عليهم كذلك تبموا الاول في الدعوى على الناظر المذكور
 ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفعا للدعوى عليه (حسب ما يتضمنه
 قانون المسكة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه
 فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى
 عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد ابطالوا
 حقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التسميم
 هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مذهب

الامام الشافعي
 أولاً - هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم المعينين الذين ردوه عند ما علموا
 به من غير تراخ

ثانياً - هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يلفظوا بالقبول مع ان التلظظ بالصيغة شرط في العتود
ثالثاً - هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلتم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم
رابعاً - ان قلتم ببطالان الوقف بالرد فهل يطل كله أو بمضه فان قلتم بالتالي
فماذا يبقى وفقاً

خامساً - ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف
أم ملك للموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم
انفعه مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلى هذا فمامضى بطلان الوقف بالرد المستفاد
من صريح عباراتهم

سادساً - هل يأنم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان
كل وقف على الميعنين فيحكم ببطالان هذا الوقف بأسره ويجعله من تركه الواقف
وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا ثم عليهم لان النظر الموجود
أبي ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يقيم الدعوى
من أقالها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة
في ملكه قهرا بغير الإرث بعيد كما هو ظاهر وذكرة الرهلي في نهاية المحتاج بشرح
المسهاج أفتونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة
وهو تفويض بيع الموقوف الى اناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج
وشرحه لشمس الرهلي مانصه : (ولو وقف) شيئاً بشروط الخيار له في الرجوع
عنه أو في يمينه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل)
الوقف (على التصحيح) 'ه' ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه
اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك يمينه بحال - واذا كان الوقف باطلا
من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نحجب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف على معين يشترط فيه قبوله كما صرح
به في المنهاج وصرح الرهلي في شرحه باشتراط القبول عقب الايجاب أو بلوغ الخبر

أي فان تأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر انه يصح مع انية اذا لم يترب عليه التراخي كان يعرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فوراً انه قبله وأما الامضاء على أوراق تقسيم الملة فهو ليس من القبول على الفور وان استلزم الرضا بالوقف مع القرينة واما جواب الثالث فهو انما القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فان رد الأصل بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمحتاج (التحفة) انه لا تأثير لرد بعد القبول كحكمه فلور جمع الراد وقبل لم يستحق شيئاً ولكنه قيد بحكم الحاكم على وجهه وتبين ان القاسم في حاشيته رد كعبارة في شرح الروض وهي: فلور رجع بعد الرد لم يعد له وقول الروياني يعود له ان رجع قبل حكم الحاكم به انما يرد مراد كآيته الا ذرعي اه

واما جواب الرابع فهو انه اذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبر الملسي على النهاية «فلو وقف على جمع فقبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملاً بتفريق الصفة» أقول وفي القول بتفريق الصفة مقال سيأتي على ان الاصل فيه ان يكون في البيع أو ما هو بمثابةه كالصالح والوقف ليس كذلك اذ لا مفاوضة فيه ويترتب على تفريق الصفة هنا ان يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر فاذا قيل بطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للذهب والعدل معا

واما جواب الخامس فهو ان ما دال وقفه يكون ملكاً للواقف بل هو لم يخرج عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو ان من أقام الدعوى لا بطل الوقف لا اعتداده به باطل في نفسه لا شمله على الشرط الفاسد فلا يتم عليه لانه توسل بذلك الى إعطاء كل ذي حق حقه وكذلك اذا اعتقد بطلانه ودّ البعض ترجيحاً للقول الثاني في تفريق الصفة فلا أصل في المنذهب أن صحة الوقف تنوقف على الإيجاب والقبول على الفور وان ردّ جمع الموقوف عليهم بطله لانه يكون منقطعاً الاول وردّ بعضهم يأتي فيه تفريق الصفة عندهم والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المحتاج انه لا يظهر أي من قوليه الشافعي ولكن قال الرمي في شرحه «ومقابل الاظهر البطلان في الجميع تفليها للحرام على الحلال قال

الربيع واليهر حاشا في آخره ثم رد الزهلي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكر لافي الفتوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في تفريق الصفة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سعى في ابطال الباطل وأما من اعتقد ان هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك للورثة وبعضها وقف على من قبل ففي لاقدم على دعوى تبطل الوقف منها وتبطلها كلها ملكا نظرا وترجيح أحد الأمرين فيه دقيق فقد يقال ان صاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال حق غيره من الوقف وابطال ما بول اليه من جهة البراءة لان هذا غير مقصود له وانما يجيء بالتبع وهو الابقس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البراءة لاجل منفعتها العاجلة وهو الاورع . والمسألة دينية يستضي فيها القلب والله أعلم

﴿ التتريظ من باب الاكثار العلمية الادبية ﴾

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقل الأضرار للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يقال في كل عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو باجماع الاطباء يقتل بالعدوى ولا أعون لمدوام وفكته بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته وقد ألف الدكتور خليل بك سعادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك ساء (الوقاية من السل) اطلع بداهة بتقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبعه ثم جاء بفصول في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه ودرجاته وأنواعه وكيفية معالجته بالهواء والرياضة والتاثير والادوية وختمه بالسكلام في زواج المسلوخين . وعندي انه ينبغي نكح قارئ وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارئ وقد طبع طبعا متقنا بمطبعة المعارف وبطلب من مكتبتها بالعبدة ومن مكتبة المنار ومثمه ١٠ قروش وأجرة البريد ١ ملبا

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة لمؤلفه وهي قصة تاريخية عصرية تمثل للقارئ كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من الجماعات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القسوة في الظلم من

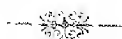
الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارىء في الاطلاع عليه ولكن لا يعتبر به الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتسكيل بزعمائه المستبدين فجعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما نراه مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، ومنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن أن تبقى سليمة الى من الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد ابدلوا جهدهم في وقايتها لانها ركن من أركان الصحة وركن من أركان اللذة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه يمكن وقايتها فهل للقارئ منهم من يقرأ كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقلي ويعملوا بصيحته

(نيل المراد) في تشطير الهدية والبردة وبانت سعاد هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكنا ظميا في المدح وبيان السيرة النبوية والشمال القدسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعا مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطالب من مكتبة نجلة الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

(المجلة الثمانية) مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزمي لكل شهر مرتين والمدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

(الأقلام) مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسين وكتب عليها «ويشارك في تحريرها خيرة الشعراء والمثقفين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الاول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد المصرية



بَابُ الْحَيَاةِ الْإِلَهِيَّةِ

نادي المدارس العليا -- مال طفولية الأمة

نبينا القراء في بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها الاجتماعية التي ولدت فيها الأمة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة وهي لا تزال في طور الطفولية ، بما تقلد فيه الشباب والكهول من الأم الحية ، ومما تلحزت له القاهرة من لفائف التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فاقام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكتاتيون ، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المل الى أربابه ، قبل أن يخرج الامر من اهابه ، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم ، والداعون أنفض بالعمل وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية ينصر وأوربا وما الداعون الأمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمنخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الأفرنجي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت النظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم !!

قرأنا وسمعنا كثيرا من انتقالات التي كتبت والمباحث التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن اكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عا ما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكحظر الخوض في المباحث المدنية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي ، قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لا نثاراً يثار من دفعنا الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

ناديا أنشئ، وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد، وقد أبدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك الاعتقاد الذي يهده الكثيرون حجة مسلمة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب مكسال لا حياة أشية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين « قد اتفقوا على أن لا يفتقروا واتحدوا على أن لا يتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شباننا قد ضربوا ذلك الاعتقاد ضربة جعلته هباء منثورا وأثرا بعد عين

« ولقد تسأل الناس عن العمل الذي قام به شباننا حتى صح أن يقال فيهم ما قلناه اليوم - سؤال لا ترى جوابا عليه أبغ من أن تقول ليقصد كل امرئ نادي المدارس العليا ليشاهد بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة الباقية التي تملأ القلوب غبطة وسرورا - ذلك النادي الكائن في أعظم أحياء العاصمة بجوار فندق (صافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويتبرم بذكره ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة منه غالب صفحات هذا العدد - ولا بدع في ذلك لأنه غرس أيدي شباب في مستقبل العمر في حين أنه كان المنظور أن لا يقوم به إلا الكبراء وسراة الأغنياء ولكن ناشتنا برهنت على أنها قوة عظيمة تحطم في سبيل إرادتها كل عقبة كؤود، وتدوس بقدمها الشوك الذي يمترض وصولها إلى زاهي الورد »

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكرا ما كان من مساعدة الحكومة وكبار المختلئين له ومن ارتباج الأمير له إذ جعل ولي عهده مشتركا فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

« ومساك الختام لهذه المجلة المطالعة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي إلى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دائمة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل أننا أمة حية لا يقتصنا للقيام بكبير الأعمال إلا بالإرادة وطرح الضعف جانبا ففى اعتمادنا على عزيمتنا تمكنا من الوصول إلى كل غاية نطلبها بلغنا الله ما نشتهي من طيب الآمال بمنه وكرمه » اه
الله أكبر . ما هذا النادي الذي كبرته مجلة المجلات هذا التكبير، ونفت

هذا التفخيم ، وجماله البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذلت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، فمرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامر العزيزة أو سميتها ، فان لم تكن سميتها فقد ساوتها ، ا كان هذا النادي فتحا مينا ، أم كان استقلالا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه المهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعاظم قدرهم بقدره ، اذ لا يجهل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فاملا منشورها مواضعهم فخرا ، ولادعوا أنهم تجاوزوا السالكين عزاء وقديرا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكد نتم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيدا لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب بوجه كانه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء

نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشئ بعدا كتاب المكتبتين واشترائك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يرجع على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتاج بعضهم بعد المكان عن وسط البلدة والبعض بحارته . والبعض الآخر بوجود أصحاب مهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت أستلفت أنظار حضرات القائمين بإدارة النادي لتلاني ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعد الشقة وقبلة الاشتراك وأرجو من سعادتك نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا نتقدم من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله
(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار المعلم) كدراسة المعلمين
الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمض للعلوم
العربية وما من متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاستاذة المتخرجين
في دار العلوم وان قوما يضمنون لغتهم وأساتذتها لا يرجي الامة خير في اجتماعهم
بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد
الاجتماع في الندية تقريب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية
المحترمة وعلم الازهر في مقدمتهم ولا يحال هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء
الازهر وأساتذة دار العلوم أبعد في مجرعه عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب
من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في أنظمة
الآديان وكل ما ياتي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة
الحكائين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة
ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) إباحة الخمر بعد منعه وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين
(٥) سرعة ملئ المشركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات
المؤذن بقلة الثبات - فهذه الامور كلها من دلائل طفوليتنا في الحياة الاجتماعية
ولا ينبغي هذا ان في النادي أفرادا تحترم مزاياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء
رجوتنا في كل خلل والاستعانة على ذلك بنقدنا القديين ، وإطراء المادحين ، واننا
لا نريد بهذا الا النصيح والاصلاح والله الموفق والأمين

(خطبة الأمير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرت بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا
الجزء عن نشرها مع فوائد أخرى منها مقالة من أيلول القرن التاسع عشر وقصيدة أبي
طالب مشروحة ونبتة في الثورة الروسية وتقاريظ متعددة وموعظنا الجزء السادس



المسحاة

١٣١٥

يقول الحكيم من يشاء من يقول الحكيم قد أوتي
خبراً كبيراً وبنايدسكو الأورو الألب

جسر مجادي الذي يستعمل القول فيقول أحي
أولئك الذين هداهم الله وأفلح هم أولو الألب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي وهو متاراة كمنار الطريق

﴿ مصر - جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

هدي السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين واننا نذكركم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك

جمل الامام الفزالي الباب الرابع من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيمهم وقال في أوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وإن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في الحل على الحق بالضرب والعقوبة . والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والقهر فليس لأحد الرعية مع السلاطين فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتوعد عنه من المندور أكثر . وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله: وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة تتمدى شرها الى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتعرض بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذاك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٣) ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وإن صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قل المافظ العراقي في نخب نخب احاديث الاحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الاحياء روايات أخرى (٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله الفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطين أنفسهم على الهلاك محتمل أن أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحسنين لما يذلونه من مذهبهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام « اه ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله أنه ليس لأحد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالهجر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الأعداء من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى السعوى إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تألف وتستمد لذلك كما يفنا في الجزء الماضي والأمة تستمد لكل شيء بقدره وقوة الامة أشد بالانحاد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة . وسنعود في فرصة أخرى إلى التفصيل في هذه المسألة . فإنا إنما نقصد الآن إلى بيان شيء من هدي السلف سيفي نصيحة الأمراء والسلاطين تذكيرا للعلماء وكشفًا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الامة عزيزة قوية والدين راسخا معمولاً به

ندع مما أورده الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لتلايقال انهم لا يقاس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وإن كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آتينا عقوبته لبقينه بعدله ودينه ونذكر شيئاً مما أورده عن بعدهم قل « وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرته وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصربه قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتفقده أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تفضل عنهم ولا تطلق

بابك دونهم فقال له أجل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد
إنما سألنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة
ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأنت الشرف »
أقول هذا نصيح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معان للاستبداد
في الاسلام حتى قال على المنبر : من قال لي اتق الله ضربت عنقه : وابن ملوك
زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته ألا انهم اتقوا بالنصيحة منه ولكن ابن
الناصحون ! قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا
مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن
أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك
فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد
قال السلام عليك يا وليد قال فضرب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن
تدخل إلي رجلا يحدثني ويسألي فأدخلت إلي رجلا لم يرش أن يسئلي بالاسم
الذي اختاره الله لي (يعني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه ما سري أحد غيره ثم
قل لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن
في جهنم واديا يقال له هبيب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصرق الوليد
من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس
مفشيا عليه . فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع
عمر بن عبد العزيز فمزقه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الامر جد فجد . ثم
قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال مكثت سنة أجد ألم
غمزته في ذراعي

« وروى عن ابن أبي عائشة أن الحجاج دعا بفتحاء البصرة وفتحها الكوفة
فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا
بأبي سعيد إلى الي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقمع عليه فجعل
الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه

ولنا منه مقاربة له وفارقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاضاً على إيهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قل أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فلي بمن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله وختمه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله أن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحضرها عليه ولا أن يحول بيه وبينها وأقول إن كانت ليلي هناة فالله حسيبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن الأمر به مضطرباً فدخل بيئنا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أنتيت شيطاناً من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت أن سئت فصدقت أو سكت فسلمت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة .

« قال وبشت الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قل ما حملك على هذا ؟ قال ما أخذ الله على العلماء من المواثيق « لبيئته للناس ولا يكتونه » قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك انت ييلغي عنك ما أذكرك فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في البهرة والفرق بين علماء الدين الذين لا يخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون إلى الأمراء والسلاطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال « روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على بردون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل ياتفت في المسجد فلم يرحلة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم نفي وركه فزل وهشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قل سميد وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فلما قطع الحسن كلامه . قل سميد قنلت في نفسي لا يكون الحسن اليوم ولا يظن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيئة الحجاج ان ينقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحو مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على مكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فمليكم بهذه المجالس وأشباعها فاتخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها . قال ثم افتقر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق ققام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكف فرساً وبطلاً وأكف فطاملاً وان لي ثلاث مئة درهم من البطاء وان لي سبع بنات من العيال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه والحسن مكب فل فرغ الرجل من كلامه ورفع الحسن رأسه فقال ما لهم ق تلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً وما الله دولاً وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فإذا غزا صدق الله غزاه في القسايط الهبابة (أي العالية اشترعة) وعلى البغال السبابة وإذا أغرى أخاه أغزاه طاوياً راجلاً : فما فسر الحسن حتى ذكرهم بأقبح المييب وأشدّه فقام رجل من أهل الشام كان جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشاً بالرمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به في كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فعسى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث
الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأُمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من
شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مبعطه وهو يتبسم
وقلما رأيته فارغاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مبعطه فعظم
الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة (٢) كأنكم تظنون أن الحياة ليست الا في
الدينار والدرهم ان الحياة أشد الحياة ان يجالس الرجل فظلمن الى جانب ثم
ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار ، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك
لسانك وتوكل اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا أغزا أعزاء أغزاء كذا لا يالك
تعرض علينا الناس أما أنا على ذلك لانهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك
قال فدفعه الله غي . وركب الحسن حمرا يريد المنزل فينما هو يسير اذ التفت
فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا
فارجعوا فما بقي هذا من قلب العبد

قال القرطبي بعد ايراد هذا الاثر: فهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة
الباطن ومما رأيت العلماء يتفكرون وتحاسدون ولا يتوانسون ولا يذعنون فاعلم
انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم
الراحمين . اهـ

أقول وان حاجتهم الى التماون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج
فان المسلمين اليوم على خطر وأمرأؤهم وملوكهم لا يذكرون مع ملوك بني أمية
وأمرأؤهم حتى الحجاج فأولئك قد منعوا الممالك وهولاء أضاعوها وأولئك حفظوا
من الشريعة ما عدا جعل أمر المسلمين شرى بينهم فأنهم جعلوه ملكا قوامه العصبية
وهولاء أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من حمله وسوء ادارتهم ، وأولئك

(١) يوشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل ما فعل ليعلم
هل تدفع مجاملته للحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث
رواه العسكري وابن المبارك والحارثي بهذا اللفظ عن ابن عباس وزواه غيرهم
بالفاظ أخرى

كانوا يعدلون في الاحكام ويساون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء وبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يلاحظ لهم وينفر الناس من أهل سلطتهم ويحفظ أشدهم سفكا للدماء كالحجاج أفلسنا أحوج الآن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فريضة النصيحة مادام في القوس نزع وفي السلطة الاسلامية رمق .

(الآثار بقية)

التعصب وأوروبا والاسلام

للإسلام دول تحالف دول الحقائق زارة وتحالفها تارة ، ورب خلاف يجر الى خلاف وحلاف ينتهي بخلاف . قديتهم الخليلي بالشق حتى تجعله التهمة عاشقا ، وقد ينكر الكذب والكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، ومنبت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيضة من الغلو في التعصب بشر معشار ما وقع من أهل أوروبا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادء المسلمين أو ما وقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ما وقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوربا مثار بر كان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى

لما رجعت دول أربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ متهى ما حدد لها تصبها عالمة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتحول فاستفادت من الانكسار ، ما لم تستفد من الانتهار ، وما زالوا يرتقون فجا تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن تتدلى بالجهل والكل والتفوق والانفصام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم المكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبطت بعض دولهم

أوقفنا وهدمت أكثر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والديني وسلطت علينا قسوسها يحرقون ديننا في بلادنا. وإن أكثر أروحي أحسن استماراً وأقربهم إلى الدين والعقل لم تبلغ بهض شأنا وظلنا الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الأمويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة

نتحجج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبين لا يؤمن شرهم أن يقع على الخلف لحسم الأبل أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسماعهم والقشاة على أبصارهم ولكن انزاعها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر التوههم منهم لا يعد تعصباً !! لماذا؟ لأنها تقول: أنهم متعصبون للدين وإنما غير متعصبين له، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين، الغربيون غير متعصبين لأن أقرب لا يعرف غير الجامعة الجنسية أو الوطنية، المسلمون متعصبون لتضاريف غير متعصبين، التعصب الإسلامي خطر على المدنية المسيحية، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلا إنسانية على خطر، ما يأخذ الصليب من الهلال لا يعود إليه وما يأخذ الهلال من الصليب يجب أن يسترد منه :

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه تدفق آذان المطلعين من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها ونجح أعينهم ونبه أفكارهم فاعتقدوا أن أوربا متعصب عليهم يحاول محو ملكهم ووجودهم إلى من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وبما كانت تجاهلهم بالتعصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون إلى تحقيتها ولكن روح الإسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو السني في هذا المقال

يخفت صوت القوة في اتهام المسلمين بالتعصب حيناً من الدهر ثم لا تلبث السياسة أن ترفع به عقيرتها وقد قار في هذا الأيام وزير خارجية انكليزي في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والعهد على ترجمة الجرائد — أن روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الأيام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد. قول كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أمة السياسة الانكليزية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير أن يبين عذر الحكومة في ارتكاب

ذلك المذكر وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها أركبان وترى يحمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء عهدي بصوت الممتدر في مقام الدفاع ان يكون خافنا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع ، قد كان أشد من دوي المدافع ، خشمت له في المجلس الابصار ، وخفت له الاصوات ، ولم يلبث ان حمله البرق الى الارحاء ، فكان مع البرق رعداً قاصفاً في جميع الجواء ، رددت صدها الاقطار ، وكانت الشمل اشغال لصحف الاخبار ، فاه الجرائد الاوربية فقد صدقت الوزير في قوله ، ووافقته على ما يريد به ، جارية في ذلك على نهجها المبسدة ، وتقاليدها المتبعة ، وتبعها من الجرائد الافرنجية والفرنسية في مصر من يرى أصحابها لهم فائدة من تقيط انكسار من المسلمين ، وأه الجرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كلى منكرب عرف كيف ينكر.

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لما قبله ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بمتنعي ما ينولد بين الفيرة والوجل ، من فنون الحجاج والجل ، وربما كان في دفاعهم ما يمدد التهمون لهم مثبتاً للتهمة عليهم ، ولم أر منهم من شرح ما يريد به الوزير من التعصب كما اعتقدتم احتيج على بطلانه بما يرجى ان يكون مقنناً للمتعصب ، بل رأيت كثيراً من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضاً لا يعتقد ما قال . أما أنا فأنتهي أقول انها يعنيان بالتعصب غير ما فسر به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيسون الدلائل على ردها .

هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الحال الصوري والمعنوي فنقول لهم انكم تساعدون انما أصبحنا أضعب الأمم اتحاداً وتصاروا : وأشدّها تفرقاً وتنافراً ، هل يعنون به بفضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذا كيف اصابت هذه البروة الواحدة منا جالية اليهود والتصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخاصة الحديدية وكثير من مستخدميهما ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا؟ بل كيف عاش بيننا المبشرون بال نصرانية آمنين وهم يطعنون بدينا وكما بنا ونبيتنا؟ هل يدعون بمحافظتنا على شر بعثنا من جهة الأحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الإلهية والمتحاطة ومدرسة الحقوق ونظارة الخفائية نفسها حجة عليكم فأننا تركنا معظم شر بيتنا الإلهية إلى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا؟ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خمركم حتى عمت المدن والقرى ورجحت تجارة بورصكم وبغاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد أغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام، أضاف الذين يزورون بيت الله الحرام، ولماذا ولماذا ولماذا... هل يدعون به أن مصر تريد أن تتبع سائر الأقطار الإسلامية، بالاتحاد على الأمانة التي يسير عنها الجامعة الدينية، فنقول أخروننا عن قطر بن الإسلاميين أهدمت حكومتها وتحالفت على دولة غير إسلامية كما تفعل دولكم في تعاطفها وتحالفها. ما كانت حكومتان لانتحالفين لإعلاء كلمة الله لا سيافى هذه الأزمان، إنهم الآن متحالفون لوجه الشيطان، بالأئس قامت دولكم على دولة مراكش الإسلامية فأنهدمت على ما شئت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس أن يكون لهما معهم سهم ولا قلة واحدة مذهبا بلمة تشهر بالغبرة عليها أو المساعدة لها بل هما الآن متناوئتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحدثتان على إفناء ما بقي للمسلمين من قرة واستقلال بملك كل منهما بالأخرى. على أن الحكومات هي التي تمقد المحاملات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمت في أعمالها رأي، بل أسس للحكومة نفسها من دونكم أمر ولا نهى، بل نقول لهم لو كان للمصريين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الإسلامية وإنما يصلون بما أرشدتهم اليه من المصيبة الوطنية، فلو وجد فيهم كثير من يهدون المسلم غير المصري فيهم دخيلا وأبونا لا اشتراك معه في أي عمل ولا يقتضون بمعاملة الأجني غير المسلم

إذا ما ذابروا يدون بهذا التعصب المصطنع، التحفز لمواثبة الدول الخرنق لنباع،
 الحجر من ليمد الباع، المترص ليقابل أثرة الأروية، المنوئب ليمحو آية المدنية،
 ألا أنهم يعنون ان المسلمين حريصون على ان يكون حكمهم منهم وأشد
 ما ينكرون من ذلك أن الاسلام قد جعل من حرق الخليفة على المسلمين،
 أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال الخلفين لهم في الدين، ويستندون أن
 السلطان عبد الحميد مأجبا لقب الخلافة لنفسه وعني باقناع الشعوب الاسلامية
 بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليجتمع نفسه بهذه
 القوة المعنوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل
 هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ما يحدث له من الشواغل والعراقل في كل وقت
 وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهاه وقد أعطي هذه
 السلطة الدينية المحيية . هذا ما يعتقد الأوروبيون في التعصب الاسلامي وهذا
 ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى اللورد كرومر أن السلطان قد ظهر
 فيها بمظهر الشدة والحزم ولا يرى أثره بعض جرائد المسلمين فيها بحقوق الخليفة
 والخضوع بخليفة واستنادها في بعض ما يكتب على مختار باشا الذي أبطت به
 هذه المسألة خلافا للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد تمهرا
 باياد امبراطور ألمانيا المتهور على استمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب
 الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يعتقدونه وزير الخارجية
 في ذلك إذ لا مصدر له في المسائل المصرية سواء . فهل يفتأ الكثيرون يقولون
 ان اللورد قل ما لا يعتقد وكذلك الوزير؟ وهل تظن الجرائد بما أ كثر من
 الكتابة في التعصب انها فلتت في الذرة وانفارب، وأقامت الحججة على اللورد
 والوزير وسائر الاجانب،

الحجة الباهضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي
 القرآن، الطائفة بتحريم العدوان، وبأن القتل الديني خاص بمن يقاتلوننا في
 الدين أي يقاتلوننا لأجل منمننا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره .
 وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسير أكثرها في المنار وحسب النصف

منها قوله تعالى (١٩٠:٢) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٨:٦٠) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب القسطين »
 « اما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لوقتة الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأذعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بهالكات كافية في تفضيله عليها ولودوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا به الآية الأولى تأذن للمسلمين قتال من يقاتلهم خاصة وتحرم عليهم أن يقاتلوا المعتدين ومن فروع هذا التحريم ما جرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعلماء والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا بمن يحارب. وأما الذمي والمعاقد والمساكين فيجب على المسلمين حمايتهم من يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز القتل بمن يجب حمايته من عدوه ؟ أما الآيتان الاخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين لتاني الدين الذين نهانا عن موالاهم في أول السورة وفي سور اخرى وبين غيرهم . قال في أول هذه السورة (١:٦٠) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الاعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا التي والايخراج يكونوا لهم اعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم ويسلطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفوا بعد الاخراج والذي عن عداوتهم . بعد هذا قال سبحانه (٦) عن الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » ٧ لا ينهاكم الله الى آخر الآيتين . فهو بعد بطاع المؤمنين في تحويل المداوة بينهم وبين أولئك الاعداء الى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لأجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهوؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوه في الدين لتحويلهم عنه ومنهم من الدعوة اليه واخرجهم من ديارهم او ساعدوا المخرجين لهم على فنيهم وليس نهيًا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن ولايتهم ومعاملتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين المسلمين.

هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم أو أديب أمر بمعاملة أعدائه وأعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكل وجه؟ أليس من أقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال في دين جاء بهذا الكمال الأعلى أنه خطر على البشر لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن كانوا مسلمين لانه وناقضين لهم كما يقول بعض الافرنج؟ بلى ولكن أكثر الافرنج يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جمال المسلمين وغوغائهم أو الذين يتبعون السياسة ويجهلون الدين آله لها وهم جاهلون اذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون.

ويسموننا تعصبا فانني لا أبري كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين في الدين وإن كانت الامة الاسلامية قد أجهت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق ومن أكبر المعاصي الاعتداء على غير المتدي. وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا تعرف تاريخ حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استثنى شيخ الاسلام ابا السعود في إزام نصارى الروم بالاسلام أو ابادتهم لان بقائهم مستعين بحريتهم في الدين والامة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم تعصبهم لا بد ان ينهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم يقته ابا السعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة أو أقول المجتهدين أو ائمتنا المرجحين يسمح له باسعاف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأفق وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين ففي غرس الاوربيين الذين اثروا تلك الحرب تعصبهم وهم الذين يسقون هذا القرس وينموه بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن
شر تعصبهم هذا

لا أدري أي الرأي أفضل ، وأية السياسين شر ، أراي مسلم يظن ان اعتقد
الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تمييز المسلمين على النصارى متى شاء من
عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان تقدم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ
عسي ان يخفف ضغطهم عن تحت سلطانهم من المسلمين ويقل تحاملهم على للدولة
العثمانية ، ام رأي أوربي أو نصراني شرقي يتوهم المسلمين بالتعصب واتخاذهم فرص
للإيقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة مثل التي
تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيلغوا ما أرادوا من
سيادة وكسب ، ألا يجوز ان أي كل من السياسين يتقضى ابرادها فيكون ابرام
المسلمين للاوربيين بأنهم مستمدون للفك بهم عند انحر كم ارادة السلطان جاءها
لكلمة أوربا على ابتسار اشرة قبل ارطالها ، أو تحدثت الاشجرة قبل أن تستوي
على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة
الغربي منهم بأشترقي ، وأمر بي بالبحجي ، ورائف منهم تعصبة تجعل الظن
يقينا ، والألماني منوبا ، ولو بهدحين ؟

أليس مما يذعن له كل منصف محب لطير البشر أن اثناء امتحن خبير من
إحاطها ، وأن إزالة الاخر خير من اضرارها ، فمن أظلم ممن علم هذا فأعرض عنه
واستبدل التفريق بالتأليف ، وأغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن
قوته الذاتية وحمله على معاداة حكومته الحقيقية ، أوانك المفرقون فر يقان — هذا
يقول لاور بالان المسلمين متعصبون ، فتخديهم بالعذاب لعلمهم برجوز ، وهذا يشغل
من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، ويهناق أمانيتهم بالدولة العثمانية ،
ومحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من انصارى كلمة كما يوجد
في الجرائد الافرنجية والمنفرجة من ينفر النصارى من المسلمين كلمة بدعوى ان
المسلمين متعصبون عليهم ، إذ ألوقت اواقسة ، فكانت خافضة رافعة
أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل أن يجعل مجردة من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين عامة وعلى الأوروبيين خاصة لأن الدولة دوائهم بأنتراف انكثرا وسائر دول أوروبا على أنهم لا يرضون ترك استقلالهم لها ولا هي تطامع بذلك، ثم ان موضع العقبة من جزيرة العرب وكونه سيكون 'بالأحرار من الشرقيين بحوله محطة لسكة الحديد الحجازية واعتقادهم الديني في الحرم من معروف إذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو حرم لها من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الأرض المقدسة بمنزلة المآجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معا بدوه ومعه هذه المقدسة تحت سلطة الخلف له في دينه ؟ أوليس القائل بأن هذا من التعصب هو أشد الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثل « رموني بدائها وانسلت » ؟

إن أكثر الذين يرون المسلمين بالتعصب يظنون بلسان السياسة والسياسة مسمومة لا تعلم ، ولغة لا تكاد تفهم ، فهي ككتب الجفر لا يعلم ما تطبق أو تنطبق عليها إلا بعد وقوعها إذا كانت السياسة تريد عملا يتوقف على رعي المسلمين بالتعصب فهي تزييهما به تهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع أهلها في ذلك لأننا لسنا من أهل الشورى في سياستهم فنقول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم وأن نحن فيه سواء أذربا كانوا في هذه الحال يشكون من التعصب ظاهرا ويبغون في الباطن إيجاده إن لم يكن موجودا وحينئذ ندع للاستقبل خطابهم فهو أقدر على إقناعهم . وإن كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومبشرين منه فأننا نقول لهم بلسان الصدق كلمة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

اننا لا نذكر اننا نحب ان يكون حكمنا منافا لهذا من خصائص الشرع مما انحطوا ولا نراكم تهيئوننا وتعاقبوننا على كوننا من البشر ، إن تريدون بسمية هذا تعصبا إلا اننا نرى بعض الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لشور عليه وهو لا مسلم ولا روسيا حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يفعلوا بحكمومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم ولا ننسون ما فعل بعض نصائري البلقان من قبل وما يعملون الآن في مكودونية ، إن نحن ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونمار على حقيقةنا على اننا أصفي أهل المال تلو بأوسلم عاقبة إن كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فإن ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مسلمون لبيان أقرب الطرق اليه إن شئتم .
 وإن كنتم تبغون الاثره فينا والافقيات علينا ونعدون عدم الرضى بذلك سرا
 وجها من التعصب فاعلموا اننا منعصون لان طايعة البشر قد جبلت على النفرة
 من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح بخلافها بشي منها للمتسلط
 عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وإن كان متفقا معهم في الجنس
 واللغة والدين والوطن فكيف اذا كان مختلفا لهم في كل شي ؟ اذا لاعلاج
 لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وهذه الزايا ساد الاسلام
 اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد ونراكم لاترضون بمساواتنا في بلادنا
 التي نحكمها بآلة بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب
 على انه كان يساوي أحسن رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كعلي بن أبي
 طالب ، وإنما منعصون لانه لا نرقص طربا لا متميزا لكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتعمل ما تشاء ولا تخشى معارضا فجازى
 الله رؤساء الذين أذلونا بظلمهم وجهالهم واستبدادهم وأضعفوا حججنا كما أضعفوا
 سلطتنا حتى صار بعض الأجانب أرحم لنا منهم فهو يذلنا علينا بعدله الاضائي
 ولولا ذلك الأذلال لما كان هذا الأذلال)

وجلة القول - ان الاسلام اعدل الاديان وأرحمها بالمخالفات فهو صواب الافراج
 ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم المتعبد له سياسة ومنهم المثلثة أنفسهم
 والسياسيين فيه . وإن المسلمين اذا كانوا الاسلاميون من التعصب فهم أقل تعصبا لأمجادنا
 في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم . - وإن الافراج والتمترجين
 هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأفقرهم وأفعالهم ولذلك ترى العارفين
 بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في
 الأزهر - وإن هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا
 في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وإزالة ملكهم - وإن
 السلطان نفسه لا يقدر على الأمر بالمغير العام في غير هذه الحالة لا يقدره شيخ
 الاسلام ولا غيره من العلماء بجوار اعتناء المسلم على من لم يعتد عليه لأن هذا مخالف

لنص القرآن - وان وزير الانكليز قد غنى بالتعصب ماذا كنا تبعا لاورد كرومر
وها يعتقدان أنه قد تهيج في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن
لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكلترا كان من العقل والسياسة - وانا
نعتقد انه لم يكن هناك خطر على الاوربيين - وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها
بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط احتما مجردا
من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المعهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكلترا
قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم - وانها خدعت بهذه القسوة
معظم مارمحتة في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بمحكمها الا انها خسارة نزول
وقسوة تنسى اذا حسنت الحيل بعدها - وان المصريين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم
للمخالف في الدين مودة

هذا وان المسلمين ثلاثة اصناف المستقلون يعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلوم
أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الدين والمعاهد وهو من بيتنا وبين
دولته عهد سلعي كأهل أوربا الآن والمستأمن وهو من دخل من الحربيين بلادنا
بنأمن منا - وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين -
يحرّم الاعتداء عليهم وايدأؤهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الا نداء عليهم
ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطراب وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ،
ومتنبى ما عنده هؤلاء من غمائم خلد عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف والانسياط
مع المخالف لعدم العادة وأما العوام وهم الصنف الثالث فانهم كاقنا يعتقدون ان السلطان
اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيا اذا جهل راية الرسول صلى الله عليه
وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف
من عوام سائر الاممال - وهذا الاعتقاد لا يخفى ضرره وجمله مشارا للفتن التي
اخالة التي أشرنا اليها وهي قيام المنصاري كافة على المسلمين ولن يكون ذلك قال
كان قائم التعصب هو المعتدي والعوام يتبعون علماء الدين فإذا حدثت أمم يخشى
مهما اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل نخشي بالخطب
في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فإذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المشيرة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افضل من كثرة الشرط والحدود
وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المعلمين للعلوم الاوردية فأكثرهم لا يمتازون
عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على
السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح انتصاف لها مثل وقوفهم على مطامع
الاوربيين ، وسامهم لا قواهم في المسلمين ، فوسم يميلون الى التمسك بسياسة
لاتديننا ولكن روح ناهل الاسلام غاب عليهم حتى لا يسلم منه المارق منهم ،
وانني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومنه سيطهم يقولون : أهميتهم وولنا
بالتمسك ياليت كان صحيحا : فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التمسك أقربنا من
الدين ، وأدنا من أجعلنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيتهم لاسيما من
ذاق حفتها منا فمثار التمسك أور بالالاسلام نفسه واذا ظلت أوربا على نهبها
والافيات علينا في شوؤنا فيوشك أن يجرى يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما
نأل الشأن بقي البشر شره والافان في استطاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا
ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويعتقون ،
ويسرون ويألمون ، وثق في خلقه شوؤن ، وهو يعلم ما لا نعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بجيت ﴾

(٢- وصفه الفونفراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفونفراف وصف من لم يره ولم يعرف
شيئا من علم مختبريه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قونا بأنه وصفه
بالمقدار الذي يتماق به ما كان بصدده قل (كما في ص ٢٦) : وقد أخذنا وصفنا
عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المتكطف
بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المتكطف في ص ٧ و ٨ و ٩ ويحي
بمطابقة وصفه لوصف المتكطف في النتيجة اتفقا قوما على ان الفونفراف آلة ناطقة !!

ألا هل من قارئ فيفهم ! الأهل من متفكر فيعجب ! الأهل من عاقل منصف ، فيفتنه كنه هذا المصنف ، :أنا انتقدنا عليه وصفه الفوتوغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نفي ان الوصف غير مطابق للوصف . فإذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لاني تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد علينا بأن المصنف وصفنا آخر نتيجة انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف واننا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للانتقال فتذكرنا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للانتقال فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من ينتقد وصف الخطي بأنه أي الخطي ، - موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله انه موافق للمصنف في كون الفوتوغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بأنه مخالف له في وصفه وانما يصيبون في انتقادنا فلماذا نقتل عبارة المصنف وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفوتوغراف آلة ناطقة الى ايرادها اذ لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال انه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اعترافا على دعوى الاصابة في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخطأ وما يقتضي انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على انه حجة له ، هل يعلم العاقل المصنف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد القول ، قول وقول وان لم تحصل ما يسمى دليلا بالمدلول ، : سيعلم القارئ ، مما يأتي ما يدل مع ما علمه هنا على أنه كتب بغير فهم وان تأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مظاهرها (أي من المواضع التي يظن أنها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض عبارات تدل على ان هذه القول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفوتوغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقيم في الاناضول في الروم الى الشرقي بولاية سلانك للتنبيه على ان العالم اللدني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة المفصيل عند الحاجة اليه فان السائل

الشرعية تتعلق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فإذا كان الفقيه يجمل ذلك لعدم أو تعمير عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون إلى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصفه للاحتقار والازدراء . ولم ينبئ هذا الفرض اعتماداً على اكتفاء القليل بالاشارة ولكنه لغوره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يريينا بقلة الادب معه كما علم القارىء من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكر وانما افترضنا خطأ أحد المشهورين من علماء الازهر بمعارضة الاصلاح وذهم العلوم التي يسمونها المصرية لتنبيه جميع من على شاكلته الى الحاجة اليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . واننا والله لم نكتب تلك العبارة الرجيزة الا بعد ان سمعنا الناس في بعض محارم يضحكون من تينك المسألتين ويقولون في مؤلف الرسالةين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لاحاجة الى ذكر عبارته في وصف الفونغراف وعبارة المقنطف التي قال أنها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لان هذا لا يفيد قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونغراف صندوق وأنه له مخارج كمخارج الحروف وشمي يشبه خنجر الانسان وان افترض من ادارة الزنبلك ادخال الهواء في الصندوق لأجل ان يقرع ما يشبه الخنجر ويكون الصوت وان ذلك الصندوق في مجموع اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام . وان الفرق بينه وبين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق مستعدة وقابلة لأن يتولد عليها خصوص الكلمات التي تتكلم بها التكلم وثانيها ان الانسان يتكلم بقصد وشمور والصندوق ليس كذلك ١١ دعه في اعتقاده هذا فإنه لا بدع في خطاه اذا اخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ماسمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم واصراره على الخطأ بعد العلم به ومحاولته ابهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكل في المسائل التي من شأن مثله ان يكون عارفاً بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخت في أول رسالة السكورة : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالأناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك الشمانية يتضمن : كذا الخ فاتفقنا عليه ذلك وبيننا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الروملي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوربا دخلت في اماره البلغار وان سلانيك ولاية عاصمة من مكدونيه لا تزال في حكم الدولة ، وعيننا لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يهد من الفضائح في هذا العصر وان لم نهرح بذلك في الانتقاد الاول بل نبهنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينه فقل مانصه وفيه عبرتان احدهما في العبارة والثانية في البراعة :

« ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجهه ما ذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يملها ولكنه خطأ مطبعي وقد جرى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما لفظه (محل الحادثة ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي) » اهـ ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جرىء على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايها القارئ أن مثل هذه المسألة لا تخفى عليه ولا ايهاهم دأبه وعادته وقد روي عنه أنه أخطأ فيما هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك أنه كان ينظر في قضية بالحكمة الشرعية قبل عزله بمن وكان أحد الحصص فيها رجل من خانية فسأله الشيخ بخت عن بلده فقال خانيه فسأله أين خانية قال في كريت سأله ألسنت من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخت كونه من أهل خانيه ومن أهل كريت معا وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بخت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بخت وصدقه حسن بك صبري وكان

معاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بن خيت قوله وعده غير معقول وكأنه استنيط هذه المسألة بقياس مصر على كريت اذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يعد عالما اخضاعيا بمسلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خبر في مسألة تعلق بالبلاد ومواقعها يمكنها أن تتمد عليه فلم لا تصدقه : فقال الشيخ بن خيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين !!

أورد القصص بالمعنى كما بلغتنا ولم يفهم الحضور مراده بقوله هذا علم الشحاذين لأنهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذون ولعله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدرأوش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم مبتذلا لاغراضه على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الازهر يجولون جغرافية بلادهم نفسها الامن تعلمها في هذه السنين

(ثانيا) قوله « وقد جرى فيه الطبع بالطبع » الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقفه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله « على وجه ما ذكر » فانه ليس له وجه وجيه

(ثالثا) لا يعقل ان تكون الصارفة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا « المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي) فيجعلها طبع اهل الطبع خطأ منهم « المقيمين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية » فن مثل هذا الابدال واقلاب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بن خيت بعد ما تقدم « ويان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء عما نحن بصدده فيستوي ذكره وعده ولذلك لم نهم له حين ما تنبها اليه بعد الطبع » نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم قل انه أخطأ في الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد غاب

على ظننا أنه لا سؤال ولا مسائل اذ لا يمكن ان يوجد مسائل مقبلا في أمكنة مختلفة
فما هذه المراءغات والمغالطات

ثم قال « واما دعواه اننا من يدم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة
عاطلة » الى ان قال اننا من شدة حسدنا له نخترع عليه الا باطل . ونقول هل
ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بمضاء
(ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضيف
العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الازهر وعلمه بأن
صاحب المؤيد لم ينسب فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم
من الكمالات البشرية لغير أهل الازهر ومن النقائص لهم لأنها تضيف عقولهم
عن ادراك علوم الشرع ، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الازهر في ذلك الوقت
لاسرما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟

أما ما أكثر القول فيه من اننا يحسد فجوا بنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم
منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يتلينا بمثل علمه وتأليفه وأن يعافيه هو من
الابلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا
بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل
في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول
ان من له ذوق يدرك به مراحي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا
« انتمت منه نفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان
العبارة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيها لاعلاقة
له بالبلاد والمواقع ، وانما فهم صاحب الذوق انها من باب الكناية أو التبرهن .
على ان الاجتهاد المطلق الذي يتوهم صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام
في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لاسيا في هذا الزمان الذي
صارت مسائل الحدود فيه بين المذلل من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق
و يترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلم . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ بخيت وغيره من علماء الأزهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار) ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافراً من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاذ منها وبالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبر أفندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت ومؤلف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فأبنا ان نقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثاً الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من متقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبيكات المضحكات ولا أحاشي جلة من اكابر علمائنا وكتابنا مما . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلاً يؤخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء وافقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعمالها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المحتار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضيق هاته الفئة كل هذا التضيق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الخطة التي أخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم باعتبارها على القياس وبمناسبة اوضاعها له حتى في الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الفزالي في الرد على المشبهة والخشوية في كتابه ايجام العوام فترجس لي ان كلام الامام هناك استهوى القوم فقاءوا عليه اكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى قياسهم هذا سوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او تقلا وبيان ذلك

« انورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسسية كاليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الخشوية دليلا على التجسيم واستغفروا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام الرد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقبة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقويس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف (٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الابرار والاعراب والتصرف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحرري بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليه فإنه مما تتناول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الفزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فسموا الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم وبذلك حفظوا على الكتب والمتكلمين استعمال القياس حيث لا يحطون من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالفحابة

والغريب أن بعضاً من أهل هذه الفئة يتساهلون في القياس إلا أنهم يأتون كل لفظ قاسمه العامة أو استعماله على سبيل الكناية أو المجاز مع أن مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلاً من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الأصل قياس أو مجاز من ذلك خاربه في مسأله كذا أو تخايروا فاتهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها إلى نأبأ في مسألة كذا وتنا بأواع أن هذه الأخيرة مأخوذة من النبأ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد إلا أن الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يأتون استعمال تكلفوا على كذا من التكلف ولا يرون أنها كتفاهروا من الظاهر على حين أن وضع التكلف للتكلف في التعاون أقرب لفهم لأنه أكثر مشاهدة من وضع الظاهر للظهور . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكباثر ليس إلا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد التكبير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله العامة مع أنها (كما قلته الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأثمهم أو من عال الشيء فلانا أهله وفادها بالقياس على عائلة الرجل أنهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهيمونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . إذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر إليه ما استهوى أقوم من اتقوا عد الموضوعه لتزيمه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألقنا إليه . فيألفه متى تعدل عن هذا النحرج الذي يقضي القتل والنقل بتركه

« ولا يعني المتنام الآن أن أخوض في هذا البحث إلى نهايته وربما عدت إليه في آخر إذا فسح لي المقطع الأغر مجالا بين صفحاته وليرجع إلى فتاة مصر فاقول أن الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه - ولكن الرجل الفني المطمئع فيه يتناشيه الناس من كل جهة - فإن كان مبدأ الفئة التي أشرنا إليها صحيحاً كانت لفظة - يتناشيه فيها شيء من العامة وعندي أن هذه الدامية هي في منتهى الفصاحة وبألبت الكاتب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فإنها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتقرب حتى عن العامة^١ (لنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالثنائية والجمع الصحيح وما هو غير قياسي وهو ما يعبرون عنه بالسماحي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن أبنية الأفعال سماعية لا يصح أن تأتي من كل مادة بكل بناء وأن سمع مثله من مادة أخرى فذا علم أنهم استعملوا من مادة الحيرة حاور وحبر ونحبر واستعار فقط ككفيتها بها ولم يزد عليها أحدا حارة وحار محاربة واحتار اختيارا وتحير تحاير وحاير وحيررة وتحيرر تحيررا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه القواعد فجاه بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذ عان الخالف للمعتقد ألا أن يكون في المسألة خلاف في كونه مقيدة أو غير مقيدة فيذهب كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فبدخل فيهما من العامي والمتعرج والتخيل ما يستحسنه بلا قيد ولا شرط إلا مراعاة أفهام القارئین . ولو جرى الناس على هذا الرأي في جميع الاقطار العربية لأصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب العراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب الراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية المدونة في الكتب ولا احتجنا إلى معجمات جديدة وإلى نحوي صرف وبيان أيضاً لكل قطر

رأيت المتصربين لهذا الرأي ثلاثة أصناف - الأول قوم قليلوا البضاعة في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا أنفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو نشاء لأرينا كم فامرفهم بسيماهم واطرهم في لعن القول) والثاني أناس يودون إفساد العربية وهم قبايون والثالث أفراد متساهلون في أمر اللفظ لا لفهم شأن المعاني وهم على سعة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا النصف ولذلك يوجد في كتابه من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر أفندي حتى ضيقوا أبواب المجاز والقل والقياس ولكنني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يتولى في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الغزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى
مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات انتشابهات مفردا مثلاً يمتنع شئبه وجمعه كلفظ
عين قد ورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عيني الا اذا
ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المتقد احد من يصفهم بالجود يقول لا يجوز
ثنية شي من الفاظ العربية ولا جمعه الا بنقل عن العرب ؟ اني أجزم جزمًا بأن رأي
الغزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل
العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لاسيما البصريين منهم وأنه ينبغي لنا ان
نسلك في اللغة مسلك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والضرر وبلا يجوز وغير
ذلك ولكن يجب ان لا نجدد فيها الا ما يحتاج اليه ولا نجدد في كتبها والا كانت
الزيادة تكسرا يشل علينا احتمالها بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى
به عاقل فكلما احتار مثلاً لا حاجة اليها لانه ورد بمفناها حار وتحير وكتب هذه
الطور يدى هذا الرأي ولكنه لا يطاق العنان فيه للأفراد لما يترتب على ذلك
من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من
العلماء يبحثون في ذلك ويجعلونه نظاماً وينشرون ما يرونه صواباً في الصحف ليتم
الاستعمال ، ويؤمن الاختلال ، ولا يجوز الخروج عن شئ من النظام الحاضر في مملكة
اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعتهم لها نظاماً جديداً بعد المشاورة والمذاكرة
خلا ما يضطر اليه الكتاب أحياناً من الحاجة الى كلمة وقلم يقع ذلك مني عن عمد
ومن هذا القليل استعمالي لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها
في عنوان المقالة (تطور الامم وانتفاها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام التكبر أيضاً على من ينتقدون الخطأ النحوي
في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبانغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجيحه
بذلك . وسندكر في الجزء الآتي شيئاً مما خالف فيه القياس لتساوله

﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونة

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 أحييك أيها المصلح المخلص النصوص القيور منشى ، عملة المنار الفراء الاستاذ
 السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، وبوأ من الحفظ حرزه ، نعية تحرب عما في الضمير
 من الشوق الى سدتك العليا ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك
 حتى قدرك ، وادرك فيما تؤمله من الاصلاح حقيقه امرك ، فاهتدى بمنارك الى
 سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستنضبوا بنور العلم
 ولم يلجؤا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامه والدين
 وتحملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من هجوع رعا مع كل ريح
 يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن - والملة لله -
 لم يشبط ذلك عزائهم فاهونوا لمسا أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض
 سبيلهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتشبث بأهداب
 العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون
 ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجاوز حده اتباع لقبيل سبيل المؤمنين
 ولولا ان من الله على الامه التونسية بزعيمها الفاضل العالم المصلح الاستاذ . .
 لم تبرح في أدوية الضلال بهم حتى تخرجت من جاء معنا (الزيتونة) نشأة هذب
 الاستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة
 الارسان تركض في ميادين الحرية واني لقمصر في أداء ما يجب من شكره على
 ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضييق المهارق عن
 استقصائها ، وبكل البراع اذا كف باحصائها وحسي ما أثقل به عاتقي من منة
 التمرير بذلك الاستاذ الامام قدس الله روحه فليست والحمد لله من قوم زعموا
 ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مينا . . بل أقول « والنجم اذا هوى » ، ما ضل صاحبكم
 وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العدل ، لم

بندق مذاقك من الفضل ، ولعمرك ان من مروح بصره فيما نشرته مجلتك الغراء في ترجمة هذا الفقيه علم مصيبة رزته على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء... لا برج منارك يبعث من أشعته ما يهتدي به الساري فيدأب اقالى أن يظني منها ما يفيظه من مساعيك المشكورة ، وبأنى الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الاصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشي جديد في العلم يرجي خيره ونشكر لهذا النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب انه قد عهد الينا بأن نكتب اسمه دون اسم استاذ المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندرى أنسى ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جبل الجاهلين ، ولا ييالي عذل العاذلين ، ولكنتا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حاله المسلمين في حضرة موت والاصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرة موت الى السيد حسن بن شهاب في سنفافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرة موت يدعوا بها الى الخير) فرأين ان نشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :

كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماك اقدامه ، والروح الى وسيم طاعته شيقه ، والمبرة لما منيت به من البين متفرقة ، وانقلب مطبوع على الودله واثقة ، وقد اكتب بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ، ولم ازل اكتمه وانا منه في عنا حتى احتج على بقول أبي الطيب * وألشكوى عاشق ما لئلا * ويقول لا آخره فصرح بمن نهوى ودعني من الكى * فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كنه ، وبعثت هذه البطاقة منهية لكم مالمدي من الشوق المبرح ، والين المطوح ، فأني اذا نصورت محالكم

الفاتحة ، ونحيت نادا تم الراتقة ، استخفي الطرب ، وهزني ارجية الادب ،
ولولا ان جناحي كبير ، لا وشكت ان أطير ، لا قضي حق قرابته التي لا تجدد ،
ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد
ان يفرق نسب يرف يننا أدب أقراء مقام الوالد
وأيد الأخر بقوله

وقرابة الادبا : يقصر دونها عند الكريم قرابة الارحام
ومما يزيدني كفا ، ويحشو حشاي شغفا ، عدم أنيس أتلى به ، وانزه بلعه
وأدبه ، لأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويقعب الروح
مقامه ، وذاك السبع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف تخطي
اذا جئت في استفهامها عن ، وعلى كل حال فالحر حينا كان مصاب بيليه ، كالمصحف
في حانة خمار أو بيت بقيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتيبكم أنشتم فيه
على الايام ، وشكوتكم مقامكم هناك رعي ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،
واذا تأملت البلاد رأيتها نشق كانشق الرجال وتسعد
وقد وقفت على رسالتك التي رقتها ، وبوشي البديع غنمتها ، فوجدتها بارعة
المبنى ، رائحة المعنى ،

اذا سمع الناس ألفاظها خافن لها في القلوب الحسد
غاية غنية عن الاطراء والمدح ، معرضة عما يرميها به الناقصون من القدح ،
ولا بد للحسناء من ذام ، وانما ينشأ ذم المسك من الزكام
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولقد ثلت الكناية ، ونفضت الجعبة ، ولكن شكوت الى غير ماجدة ،
وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسناء لعين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سواء علينا
أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا ، ومتهم
أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يندم دعاؤك الا فرارا ، نعم لو غيرك
قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتارجوا لشنة عر فوها
عن أبي زيد ، لهرت ظاهرا باطل من القول ، ولكن ماشأن أولئك الا الا حالة

على الاماني الخائفة ، والخرقة بالقصص والباطل الكاذبة ، وقد استنصر بأرضنا
بنافهم ، وكثروا قدرتهم تراهم ، فآله الناس من خداعهم ومكرهم ، فقد ضاع
الحزام عن الطيبين .

اما ما طلبت من نفي الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خوط القناد ،
كيف وقد أدرجوه في طائفت الاغراض ، رزقوا عبياء بتقلب المداينة ، وجعلوه
قوية لاستغلال الأبيض والأحمر ، هيئات هيئات لذلك أعز من مخ البعوض
فلا تبغ عيونك ببدء الجاد ، ولا تضع فمك في رماد ، فآتت شمت خليا ،
ورأيت سرايا ، واستطلعت جهاما ، فارجع البصر ، لانترك الشيات والصور ،
أعيا كل من نوى بر ، ودونك قلنس لتصيحك أناسا غيرم ، اما هم فما أمهروا
تخطيك الا بالأغراض ، ولا قروضها الا بالناس في الغراض ، وبالجملة فالعروف بينهم
زمن ، ويجدر بان ينسلكه بيت اخي خرافة ، وفن وقد اخلوق انت يدفن في
الرمس ، ويهار في الطمس ، ويمير كأن لم يكن بالأمس ، غير اني لا اقدما من
وجه الله ولا أياس ، وأوحى من الدهر ان ينسج وينسج ،

فلنجمع من بعد الرجوع استفادة والبدن من بعد التوب طوط

ومنذ أيام أنشأت رساله في زيف ماشاع غشقا من تعظيم يوم عاشوراء
واظهار السرور فيه ، وقراءة أحاديث ومكائيات في فضله لا يتبها إلا سفيه ، وفي
واصلكم في طي هذا ، فآلهوا بين الرضا الكفيلة ، وما وسدت من خطا
فاجعلوا الدعوات السنية ، واغرضوها على السيد الجليل . اللهم انك من محسنين صلوا
وان رأيت حشف عني ، منها أوزاركم فلكم الرضى الأعلى والمأمول فلكم شجها
ليحصل الا زيارتها أو زيارتها فاستاذ الحكم عني بمجلة المنار فشرها في مجله
وقد ارتعناها من ، أما وما لمسا فم لا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا
على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، سجدنا بأنه يفضي الرضا فلكم ما حالها
ودمهم والسلام ؟

عبد الرحمن بن عبيد الله

بن محمد السقافي

﴿رسائل سنغافورة﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافورة تدل على أن بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا نألم له النفس ويضيق منه الصدر فإن أولئك الكرام أجدر الناس بالوافق والوثام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿رسالة أحد أعضاء الجمعية الخيرية﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه اليينا أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله إلى المؤيد فشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا نافعا لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المؤيد يفوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافورة وعربها الكرام لثقتهم في تعليم أولادهم وغير ذلك مما يرقىهم ويرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافورة عموما وعربها خصوصا اشتهروا واشتهار الشمس في الرابعة المحافظة على الشرف والدين والسير على نهج الآداب وتعليم أولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقاتلين» ثم أهد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه ويجب اقيام به في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك أنها كانت عازمة على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقا فقام بذلك (جزاه الله خيرا) - وانها تحتفل باستقبال الوافدين إلى سنغافورة من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية - وانها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في اتلافهم - وانها انشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطالبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات - وانها تدير الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج إلى الاصلاح وبتفتح مدرسة كبيرة هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العطاس لاطل له من الحقيقة
والثاني نقل كلاما في تخلة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة
نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفقها لخير مما عملت
ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو
اصلاح ذات البين ولكن كيف كسبتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن
اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررت فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن
المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع
السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أيجوز ان يهجرها سائر أعضاء
الجمعية لا تتقاهما على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقهم وعلى الجمعية نفسها
تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأعضاء المسلمين وأمثال
ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف
(جزاه الله خيرا) لترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم
والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقه والاصول ؟ أين وسائل
هذه العلوم من فنون العربية ؟ أين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي يبرز
العقل ؟ أين العلوم المصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل
اعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم ويعودون الى الاعتصام والتعاون على
المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشريفة

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فأيتها يناقض
بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويند رأي الآخر
عن اعتقاد أو تحيز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كذا
ظلمن اقراء المنابر . فان قال قائل انك أفتيت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل
فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها وبين ما يظهر بهد ذلك انه الحق
تقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لاحسب الواقع الذي لم نعلم

عليه . وتكتفي بأن يقول لبراء النار هناك أنا لا أخرج قول أحد في هذه المسألة .
ليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة في ذات وأمة

المنص من هذه الرسالة ان شيئاً مما بعثت النار لان تلبية يقلل من كميته
واكمله بدينه جميع زعماء لقائمة عبيد وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم عند اجتماع
دعا اليه بعض هؤلاء المحبين للنار وبعد ان اسودهم من العطن ما ظن انه انظفهم
بهم قام عالم منهم حمد الله واشى عليه ثم قال : ان كنتم تحبون شأن المؤمنين
تقدم قال رب العالمين (انا تكلمت قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك
لا يؤمنون) الآية فموا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فاعلموا انكم
الانكسارية مشحونة الابواب واعفونا من السباب فبجئوا وعلوا انهم عاجزون
عن حرب الحق من جهة الشرع والقانون جميعاً . هذا المنص الرسالة وانما لم تنشرها
ببعضها لان كاتبها خافط طريقة عز بنا فطعن بهؤلاء المتعرضين رذمهم ونحن
ندعو الله تعالى ان يلهمنا اولي الامر بالادب والعباد ، ويحسن لنا ولهم المرحم والمآتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المكنون السادس - التوبة الدينية والفلسفية (٥)

الحمد لله المكنون السادس

قد عزت يا كريم مقاصدي في تركك فادوية فاني اودت ان اضلي بينك
وكون مقاصدك مع طغي بعاطفتي في هذا مخالفة قلة لما يحوي عليه الامور عادة
ذلك ان البطل لا يكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة
الديار فيكتمل والله بطلاناً مدنياً مجتمعين فيه بدم أهليته (وهو أمر بين البهامة)
لان حكم نفسه ويسوق عرف بلاده وعرائد قومته وتقاليد دينه الى تحديد الدين

(٥) تابع ترجمة كتابه اصيل (قول التاسع عشر) (راجع اصيل في شهر ١٨٨٠)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الدين اذا فضلا ذلك لاجل اعتبار انفسهما تالين عن الامة في القيام عن المولد قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجابه : اسلم لك ذلك ولاكني اقول ان تالين عن الامة ان تؤدى الى المولد دينا كان حقا عليها أيضا ان تخار له حرقا وعازا من أعمال الحكومة وإذا فسرني حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان نجهل ولادة المولد سبب السلب حرته فان انقسام التالين في ضروب الوجدان واختلافها في الافكار حتى في أيامنا هذه يجعل ولايتها عليه مشكلة مربكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الولدين في الدين غالبا ان يكون الاب كافرا والام مؤمنة فكيف يكون المولد اذا تنازع هذان المؤثران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزا قلنا كثيرا ما نلاحظ في الناس شبابا مشغولين بتوقيع مرائيم يفرق من مذاهب المتدينين ، فيضطربون بين آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائرين ، مع جهة استسما لهم بأوهام الواهمين ، وقد فسق في الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط

وأما أنت فانتك والحسد لله لم تبطل بشيء من هذه الحسن لأنني وأنت لم تعتقد ان من حقنا ان نقتحم فرصة نوم عنك فندعوك الى اتباع ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأيا في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزمك شيئا ولا ينبغي ان تحفل به . «أكرم اباك واملك» ولكن لا تطع الاقبيك فأنت حر ومن حقك ان تسعى وراء معرفة الحق مستمينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة وقد كان هذا السعي في اليوم خارجا عن وسعك وبعبارة عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو حلت في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقتنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بهما كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضلالت من

(المناظر ٩:٦) غباوة المعرضين عن أصول الدين . الاستعاضة بالعلم عنه ٥٧ §

وقاحة احداث الدكائرة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض
بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولاينتز (٤) وهيجل
(٥) ليست خالية بالتمامهم وميلهم للاجهلة الاغبياء منهم كله يطمنون بها في هذه
الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفه من كتاب الكون : « مالي
ولا ضاعة وقتي في حل ما لا يسهر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة
الروح والجسم أو تغايرها فحسي الاستغفل بالعلم »

انا لا اشك في أن العلم الآن مشغول باستشاف عمل الديانات سالكا فيه
طرقا اخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبييا
ومراقبتها مراقبة قربية أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون
بلوغه من طريق الهداية اللاآسية واني لجازم بأنه قد سلك أقوم المناهج لبلوغ
الحق وان كان من المتسمر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقهنا حالة
المعارف على ما هي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يقدنا في بعض ما قد يهمننا
استقصاءه من المسائل الاشياء من المعرفة قليلا جدا فاننا اذا استثنينا علم تركيب
الحيوان لانه قد امكنه ان يؤدي اليها معنى من معاني الانسان على ما فيه من
المذاهب المتعارضة والآراء المتناقضة وعلم طبقات الارض لانه قد فتح اعقد لنا
منافذ لنلج منها على بعد منتأ الحياة رأينا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

(١) . ديكارت هو عالم رياضي جبراسي في طبيعي واخص ما يعرف به انه فيلسوف
فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق وله
سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧
(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كابر نونت فرانك سنة ١٦٢٣
ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٤ اعتزل في بوررويال
دي شان حيث كتب اقليدياته وأفكاره

(٤) لاينتز هو عالم شهير ولد في لاينبرج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العلم الاولى التي هي اهيج اشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني بحسب بأن هذه العلم لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لانها ليست من متناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أقطن ان ما حصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه ومساكنه المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على ما يحمله لينمى طمع عقله ويحمد شوق ادراكه؟ اما لا أعتمد من هذا شي بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكالة له أما لشرف في طبعه أو لحسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المسائل العيرة أن وصف بانها ماضية لاجلها لكان التفصي منها في غاية السهولة . كل حي يطلب النمو لجسمه ماعدا الانسان فإنه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات المضيوية بطب الارتقاء بفكره الى ماوراء حاجاته المادية فطابه الارتقاء المكري موحود فيه سواء سعي خيالا أو غريزة دينية ولست أدري مطلقا ما عسى ان يعود على العالمين على إزاله من المائدة بتكاف احترامه والزيادة عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزع من النفوس الشرعية فإن تطلعه الانسان الى ما وراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعبر بهض الامور التي تطلبها الفكر حادثة أو وهمية لمجرد انها تحير عقولنا أو تدفعنا ادراكنا فاما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمالات مما يقارن تصوره من مروبات الوساوس والاهام والاعمال المنبثقة عن النفاق والرياء فيها ونهت وأما مدركات العقل التي شغلت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التعرض لها بل لا بد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين ومن هذا لرى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وأنه يبعد عليهما كل البعد التافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوفيق

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذهب الدينية والحكمية متقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان اقرروا في ايامنا هذه بانهم تعاطيهم للمظالم وناتجرتهم بالسرار ومقارفتهم للفظائع مبلغا بنا بالعقل في اشهرنا من سيرتهم الى المجهود المطلق فالتقسيمون

م دعة الإلحاد لاثقاديدين .

ومن التو تجسيم امر الإلحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مدعورا امام
وعدان الانسان وانما الآكام المينة والجرائم القوية الحقيقية بأن تدفع نور الهداية
والفرقك هي التي يجرأ أصحابها عند اقترافها على التمسك برباءة الذين نعم تلك
الآكام هي التي تتنازل بملك الامتياز المسائل وهو قلب شرون الدنيا وتشويش
أحوالها فمن ذا الذي لا يجرأ حين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من
عناك مسركها إلى بعض ما يقتضيه من ضروب اللطاة والقوة تسمع بعض المتكبرين
اذا راعهم تهاب الشر على الخير يصيحون قائلين لأن لا يكون لنا الله خير من
ويهود ان نظام (١).

وبسبب آخرويت على المذاهب الدينية والحكومية أيها لم تبين للناس بياقا
مقنا شيئا من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار
ولا اختيار وإنما أسلم لهم ذلك غير أني أقول ان كلا منها قد ساء بفكر الانسان
الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرافت الفنون وأسبأ من الطوائف
والملح مألواء لطل مجسوما في مجاعل الدمم كم ترى من يودون بموالدين المسيحي من
تعليم الناشين من لم يحسن الذكر فيما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا
وأخلاقنا وعواندنا فهم يقولون أنه رؤيا خيطة رآها النوع الانساني في منامه وأنه
بنشأه في طور التدلي والمحمية سبب روح التعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك
بحل للظفر والحدث ولكن هيات أن يقتضوا واحدا من الناس بأن التيار الفكري
الذي جاء به ذلك الدين فقير كل مافي الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي ألتأ مدنيته الحاضرة إنشاء حسنا
أرسيا خلافا لاثنتين باطلها وأحكك على ان تأخذ فيه بالجد وترجع فيها الى أصوله لأن

(١) اجندر يمثل هؤلاء النظائر ان يسوا صميا غانهم هموا من ستن الله
تعالى في الكون وجعلوا ان الشر الذي يضحون منه انما نتج من مدخنة الناس
لذلك الشر فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بخلام للهيد » وما ظلمناهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من « اءش اترجيه

ما يخلص اليك من مطالعة الاناجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الاناجيل مثلاً ان المسيح كان يأبى دائماً امثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزيارة اليهود عليه ولو هم له بمخالفته لم يسم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة وإذا كان القلب يهتز لسمع بعض المواضع الانجيلية فليس ذلك يدع فان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صفاتهم وسوء المستفهمين منهم ووجوب شكرهم للطل والخمير على المرأة الخاطئة وانك لا تجد في غير كتابه أكثر مما تجده فيه من ليل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحقق ولا أكثر من ضررهم الخمران للمشكرين المستأثرين الذين يشتمون الملو على غيرهم من المحقوقين وقد كان لديه قهقراء ولكنه نفسه فقيراً يتسرع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنذره وأسأله الرأفة ولا شك ان تمكن الصراية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الحالية وبأييد مزايا الانساب وفرط التعابر في الفنى لم يحصل الا يلوع رجالها في المسكر حشد الاعجاز فلك الامم التي نسي أنفسها مسيحية ونعمة انما على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت مامن أوقات وجوده لا تعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكمة وليس علي ان أتعرض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يؤيدك اليها بحكم اذا حسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمراً عظيماً ولكن ماحيلي ولا وسيلة غيره لتتور عقلت وهذا نيتك نعم ان في الدنيا كثيراً من العلماء اثقت المشهود لهم قد عهد اليهم بتحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ، ويعلمون الناس كل شيء ، وهذا هو السبب في ان نصف المتهمين من الناشئين يتأدون على ان يفكروا بمخاض بعض افراد من الناس - ان صح لي التعبير على هذا النحو - على ان ثمة أمراً لن تعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فليكن ان تطلب الحق في نفسك مستمينا في طلبه بجميع ما لديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احتراسك وتيقظك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطئ في كثير من المسائل قبل ان تدف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بمرق الجبن وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتمام

وفي ختام مكتوبي أقول لك من صميم قلبي اني وليك التحية

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريزة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه ما دفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في أنجارهم بالدين وان وجد ان الدين يزول الاتحاد لانه ذنب ضئيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يمز زلزالها هي التي تقترف على انها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة القائلين لم تبين شيئا من نظام العالم ولنازع الخير والشر والاختيار والاضطراب وعذره انه لم يطاع على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على القائلين بترك دراسة الدين وفي استخراج محاسن التأجيل وتصريحه بأن النصارى غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة إميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها



أنا فيكم يا أيها النبي

لامية أبي طالب في الشعب

لما أنشأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام عظم ذلك على قريش فتنصتوا له ومن آمن به بالأيذاء بل اتهموا به وأزعموا على قتله فتمه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فابذلتهم قريش وأخرجوهم من مكة إلى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان مكة من المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا يظلم عنده أحد ودخل سر وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الاسواق ومنعتهم ترويض وأجمعت على أن لا تناكحهم ولا تحمل منهم صلحاً ولا أخذوا بهم رافة حتى يسروا للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعقدوها في الكعبة وتمادوا على ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الأرض لحست صحيفة قريش إلا ما كان اسم الله قال أربك أخ برك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط إن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فلعست ما فيها فإن كان كما يقول فأفيتوا فوالله لا نسلمه حتى يموت وإن كان يقول باطلاً رفعت أيديكم فقاتلوا رضينا فقتلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم إلا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يا معشر قريش علام نجس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والظلمة

ثم دخل وأصحابه بين استار الكعبة وقال اللهم انصرفنا على منة الله
وقطع أرحامنا واستحل ما محرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقيل
هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة جميلة
جدا لا يستطيع ان يقر لها الا من نسبت اليه وهي أفضل من المعتزلة
السبع وأبلغ في تأدية النبي : اه ومن نذكر منها ما ذكر في الخزانة
وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خلي لي ما أذني لا أول نازل يصفوا في حق ولا عند باطل (١)
خلي لي ان الرأي ليس بشركة ولا تهت عنه الامور البلائل (٢)
ولما رأيت القوم لا ود عندهم وقد تطعموا كل العرى والوسائل (٣)

(١) الصفوا كالطراء وصف من الطراء وهو الميل تلك صفوت اليه واصفيت
يقول ان اذنه يست يذات صفوا إلى حديث أول نازل أي لا تسمع قوله سمع قبول
واذا كان لسانه ورويته لا يقبل قول اللائم الأول — وهو الذي من شأنه ان
يستعري السمع ويستخف النفس المتعابها بما يلقى من القول — فهو أجدر بأن
لا يصفوا لما نزل الثاني ومن بعده

(٢) التهمة كجعفر الثوب اترقى يشق عما وراءه فاستأمر الرأي التبر الذي
يظهر ما وراء الامور من المواقف . والبلائل كالزلازل والسموم والساوس جمع بلية
أو بلاء كتركة وذلال . ولله يعني بالرأي رأي قرين الذي يشرح في الآيات
التالية يقول انه ليس بالرأي الحيد الذي أشهر اشتراك الفلاح فيه ولا بالتبر الذي
يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو ربما ان الرأي السوابي فيه لا يكون عند الناس
مشتركا مقبلا ولا رقة يأيدونك انهم مقبلة ويجوز ان يريد التهمة الضعيف . ولما راد ان الرأي
عندك يجب ان يستقل بالناقل ويكتبه ارباب خبره

(٣) العرى بالضم جمع عروة وهي كل ما يمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي
كل ما يقرب به يريد انهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي
يسكن ان يقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

- وقد صار حوتنا بالندوة والاني وقد طأوعوا أمر المدو المزابل (٤)
 وقد قالوا قوما علينا أظنة يعضون غيظا حلتنا بالانامل (٥)
 صبرت لهم نغمي بسمره سمحة وأبيض غضب من تراث المنازل (٦)
 وأحضرت عند البيت رهطي واخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل (٧)
 قياما منا مستقبين رتاجه لدى حيث يقضي خلفه كل ناقل (٨)
 أعود برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو مالح بباطل (٩)
 ومن كاشع يسمى لنا بحية ومن ماحق في الدين مالم نحاول (١٠)
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (١١)

(٤) صار حوتنا بالندوة جاورنا بها حتى صارت صريحة خلصة من شوائب التأويل . والمزابل المفاقر البائس والمدو المزابل تصعب مصالحته وموادته ولما له الإهداء قد يذهب بالنداء

(٥) التحائف التماسد والتناقد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضماعي لظنين وهو المتهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

(٦) صبر نفسه حبسها والسمره السمحة النماء المندنة تسميح حلامها بالهز والطعن والأبيض الغضب السيف الناطع والتراث الارث والمناول جمع مقول كبير وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعارة إذا يكن من آباءهم ملك

(٧) رهط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة بيانية كانت الكعبة تكتسبها

(٨) الرتاج الباب السليم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والنافل مؤدي

النافلة وهي التطوع بالعبادة ويعني بحيث يغني الخ منام ابراهيم

(٩) المالح بالشيء المواطى عليه وأصل معنى المادنا تصوق

(١٠) الكاشع الصدو الباطن الندوة كأنه يطوي كشحه عليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أراداه وهو تفسير بالانعم وقل في الاساس طلبه بحية وهو الصواب

(١١) ثور وثير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والتازل هو من يصدقيه للتمد زمانهم يزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

- وباليت حق البيت من بطن مكة والله ان الله ليس بنافل (١٢)
 وبالحجر الاسود اذ يحسونه انا كنفوه بالنجر والاصال (١٣)
 وموطى و ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير نائل (١٤)
 واشواط بين المروتين الى الصفا وهما فيهما من صورة وتماثل (١٥)
 ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (١٦)
 فهل بعد هذا من معاذ لمائد وهل من معيد يتقي الله شائل (١٧)
 يطاع بنا العدى وودوا لو انا تسد بنا ابواب ترك وكابل (١٨)

(١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة)
 فقوله حق البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله
 من بطن مكة

- (١٣) ا كنفوه احاطوا به والاصال جمع اصيل لنة في الاصيل وهو ما بعد
 المصير الى الغروب وجمع اصيل اصال وفي قوله الاسود نذر خاف يسيب مثله المزلدون
 (١٤) موطى ابراهيم في الصخر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت الربان
 ابراهيم وطى هناك حافيا نأثرت قدمه فيه وتماثل لايس التماثل ورطبة حل من
 الصخر ولا يريدانها كانت رطبة بياضها بل كرامة له
 (١٥) اشواط بين المروتين هي صرات السعي بينهما واحدها شوط وهو السري
 الى النابة ويطلق لنة على النابة والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التثنية
 طمان بكسرة يسمي بينهما تسكاً وقوله الى الصفا مناء منتهية هذه الاشواط الى الصفا
 اذ به يحتم السعي وتماثل أصله تماثل جمع تماثل حذف الياء ليستقيم الوزن
 (١٦) ليس فيه قول غريب

(١٧) الاشارة راجعة الى معاذ به وهو رب الناس وتلك الامكن المقدسة
 والاعمال الشريفة والامانلون اناسكون وهم الحاج فهو يقول ليس بعد هذا الاشياء
 ما يود ويأتى اليه لانه فهل يوجد معيد شائل وغير منفذ يعيدني تعالما لا عذبه
 (١٨) الندى بالكسر والضم اسم جمع لندوة وفي رواية الاعتداء وهو بالمد جمع
 ندوة ونصر الوزن في اناج بالندة وحذف حرف العطف من ودوا والترك وكابل

كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩)
 كذبتهم وبيت الله شيزى محمدا ولما نطاعن دونه وتناضل (٢٠)
 ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١)
 وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايات تحت ذات الصلاصل (٢٢)
 وحتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأنكب المتحامل (٢٣)

(بضم الباء) صفان من العجم . كذا في الحزاة وفي القاموس «وكابل كامل من
 ثور صخارستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثغراً . والمراد بسد أبواب
 ترك وكابلهم أن لا يقبلهم العجم أن تصدوا إليهم فضلا عن العرب وأن ينفوا إليها فلا يعودوا
 (١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا نتركها ولا
 نظعن لكن أمركم في بلابل ووساوس وروي ثلاث وهو جمع ثلثة بمعنى الاضطراب
 (٢٠) يقال أبزى فلان فلان إذا غلبه وقهره فقوله : نبزى محمداً : بني الفعل
 فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير
 النبي كالذي قبله قاله في الحزاة . وذكر البيضاوي في تفسير «هتؤ تذكر يوسف»
 أن القسم إذا لم يكن معه علامة للامبات كانت على النبي . واستشهد قبل ذلك على
 تقدير النبي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولوقطعوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا قلب ونقهر بمحمد والحال أننا لما نطاعن أمامه
 بالرمح وتناضل خصومه بالسهم

(٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرع حوله أي حتى
 نطرح حوله مقتولين والتصرع الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألغاه على الأرض
 والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليلة وهن الأزواج

(٢٢) الروايات جمع راوية وهو ما يستقي عليه عن بعير وغيره وذات الصلاصل
 القرب فيها بقايا الماء وأحدثها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الأداود والقربة . يعني
 وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقة كصلصلة الماء في المرات والقراب

(٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والردع بالفتح الطلخ والاثم من الدم وركب رده

وإنا لعمر الله إن بعد ما أرى تتلجج أسيافاً بالأماني (٢٤)

بكني في مثل الشهاب سيمدح أخى ثقة حامي الحقيقة بأهل (٢٥)
وما ترك قوم لا أباك سيداً يحوم الدمار غير ذنب موكل (٢٦)
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه جمال اليتامى عصمة للأرامل (٢٧)

غزاً لوجهه على دمه والأفك المائل إلى جهة والتحامل اسم قاعل من تحال عليه
أنا مثل عليه وجار، يعني وحق نجر الحقد على محمد مطعوناً بركب رده فعل فعل
الأكبر أي ذي التكبر وهو بالفتح جاء بأخذنا لأن في منّا كها فتقطع وتمشي منصرفه

(٢٤) جند الأمر استد وعظام والنبس الشيء بالشيء اختلط به في ملاسته إياه
والأمائل الأشراف يقسم أنه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيها
فإن أسيافهم ستخالط رقاب أشرافها

(٢٥) الشهاب شقة النار والسيمدح يفتح السين والعال المهمتين السيد الموطأ
الأكبر كاف أي المهدد الجواب التي تأتي إليها البطاوة والفساد والحقيقة ما يحق للرجل
أن يحبه والبأسل المجمع الشديد يعني صاحب الصفات التي صلى الله عليه وسلم

(٢٦) يحوم يرمى ويحوي الدمار ما يدمر له أنا ليل ويقولون حامى الدمار وحامى
الحقيقة أن يمنع حرمه وقومه وكل ما يحب عليه أن يحبه. والذوب يفتح فكسر
القاحش البذل الإنسان وسكن الراء هنا للضرورة والواكل من بكل أمره إلى غيره
على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من بكل أمره إلى غيره مجزاً أي
كثير ترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا التي الكامل ولا يتفانون في نصره.

(٢٧) وأبيض مطوف على سيداً في البيت قبله وفرومهنا بالكرم في الحزاة
قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالياش فيقال له عندي يد بيضاء أي
مصرف وأورد هذا البيت والتمام السحاب والهال بالكسر الثبات والمجايع قوم
ويضعهم عند الحاجة والجسم ما يتصم به ويستمسك والأرامل جمع أرملة وهي من
كانت زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا تجد ما تلا. وقال ابن السكيت الأرامل
المساكين رجالاً ونساءً وقيل لإطلاق الأرملة على الرجل غير قايماً وأصله من

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا خير آجل (٢٩)
 بميزان قسط لا يخس شعرة له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠)
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل (٣١)
 وكل صديق وابن أخت نعمة لعمرى وجدنا غبه غير طائل (٣٢)

أرمل القوم إذا قد زادهم وانتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يعد له ملجأ
 سواء كما يقال رب فلان وأرب إذا انتروكا يقال قمر مدقع من الندماء وهي الأرض
 لا نبات فيها والتراب حمل قوله يستسقى النمام بوجهه على الحقيقة وقالوا أنه لا تابت
 على قرين السنون استسقى عبد المطلب النبي صلى الله عليه وسلم وكان غداً لا مقصوراً واه
 الطبراني وابن سعد ولولا الرواية لكان المتبادران الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم
 مصدر الخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيراً ما سمعت النامة يقولون في ذي الوجه
 الحسن لاسياً إذا كان مهذباً أن رؤيته تكفي الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع
 الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

(٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المعوز والصعوك السبي الخال يطلب فضل ذوي
 المال والفواضل النعم العظيمة تفدق على الناس وأحدثها فاضلة

(٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لهم ما لم تأمروا وكان
 ولد أعداء بني هاشم في الجاهلية والأسلام ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
 قصي قال في الحزاة وكان من شياطين قرين قتل علي بن أبي طالب يوم بدر

(٣٠) القسط العدل ونحوه ينقص والنائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا
 الذين يهادون وتاوؤوا ذو تبا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعير ووصف هذا الميزان بأنه
 يشهد لنفسه بالفسط لأن الفسط نفسه يشهد له وإن هذا الشاهد لا يميل ولا يجور وما طاب
 أبو طالب جزاء القسط لا عدائهم إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

(٣١) الصميم الخالص من كل شيء والذؤابة الأشراف مستبارة من ذؤابة الشعر وهي
 الحصلة من شعر الرأس

(٣٢) الشعب الكسر العاقبة أي خاب أمنا في هؤلاء فليس لنا فيهم غناء

سوى ان رهطامن كلاب بن مرة
 وذهم ابن أخت التوم غير مكذب
 راء النامن معقة خاذل (٣٣)
 زهير حساما مفردا من حمائل (٣٤)
 الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥)
 أشم من الشم البهايل ينتهي

لعمري لقد كانت وجدا بأحمد
 فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها
 وأخوته دأب الحب المواصل (٣٦)
 وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣٧)
 اذا قامه الحكام عند التفاضل (٣٨)
 فمن مثله في الناس أي مؤمل

(٣٣) المعقة القوق وبراء بالكسر جمع بري ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الدليل والكثير فنقول انني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه فهاء

(٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب. والحسام السيف الناطع. والخمائل ما يحمل به السيف جمع حمالة وهي الملاقة. قيل لا جمع له من لفظه والمفرد المجرد. وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه ولا يئمه حساماً منصوب على المدح

(٣٥) الأشم ذوالشمم والسيد الكريم ذوالأنفة. وكانوا تمدحون بشمم الأنف وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه. والبهايل جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضايق. وقال ابن عباد هو الحلي الكريم وحومة الشيء معظمه وحله

(٣٦) كلفت بالتشديد والبناء للفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحبت وأولعت به. وقوله وجد أمناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحزن وهو أعم لأنه يشمل كل ما يجده في قلب من التأثير الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه. ويعني بأخوته أحد أولاده الذين ضمنهم إليهم بكفأته إياه وهم جعفر وعقيل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان ألم أب فأولاده أخوة. وقوله دأب الحب المواصل يعني به أنه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفعله الحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

(٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشكل ما يلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

(٣٨) قوله أي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم قاي هذه هي الدالة على الكمال

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها ليس عنه بغافل (٣٩)
 فأيده ربّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير ناصل (٤٠)
 فوالله لولا ان أجيء بسبة تجرّ على أشياخنا في القبائل (٤١)
 لكننا اتبعناه على كل حالة من الدهر جد غير قول التهازل (٤٢)
 لقد علموا أن أبنا لا مكدب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل (٤٣)
 فأصبح فينا أحمد في أرومة يقصر عنها سورة المتناول (٤٤)

والتفاضل المتقابل في الفضل وبه يظهر الأفضل

(٣٩) الطيش الزرق والخفة وهو ضد الحلم وموالاة الآلة اتخاذه ولياً وناصرأ
 (٤٠) قوله حقه غير ناصل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير
 يقال فصلت المحبة من الخضب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناصل إذا خرج
 منه نصله أي حديثه

(٤١) السبة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتجبر من الجريرة وهي الجريمة والجنابة
 (٤٢) التهازل بمعنى الهزل فإن تفاعل قدياًني بمعنى فصل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه
 أبلغ من المجرّد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب
 قريشاً بالهزل ليقابلوه بثأه أي أنه ليس بمجاز حائلهم ومتهازل معهم في قوله وإنما يقول ذلك على
 سبيل الجدل. وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

(٤٣) قوله يعنى بالبناء المفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتماً واستعمل قليلاً بالبناء
 للفاعل فقالوا عني كرضي والأبطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

(٤٤) نون أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل المتناول في الأصل هو
 الذي يتحدّد ويعطى قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر
 وبمعنى الاعتدال لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاولان أن يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول
 الذي يمد قامته وينصبها أن يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشبي بالفتح الزيادة فيه بحسه فقالوا
 سورة الحجر بمعنى حدها وسورة الجحد بمعنى ارتفاعه وأثره وعلامته وسورة السلطان بمعنى
 سطوته: والسورة بالضم المنزل والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء
 وكل هذا المعاني الضبطين تظهر هنا فإني صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حسدت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلا كل (٥٤)

﴿تقاريط﴾

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندى الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري بيلدة (أفارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) بلبنان . وهي تعريف بيلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلاءها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاه الدكتور محمود بك ليب محرم في نادي المدارس انماليا بالقاهرة . اما موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه وأما اسلوبه فيمثل لك اسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار ، والمصنفات في علوم الاسرار في مزجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بما يضعونه من الاصطلاحات الغيبية المالكوتية بل هو اغرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

هان الحقيقة فردية لا تنجزأ ، وان الكون جوهر لا يتداعى ، هؤلاء لا يفنثون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها الهاملة ، هؤلاء لا يعرفون للكون في الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسمه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعهمركز السماء لاهل السموات الملية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله مالمترقبين والمصدقين من رفعة وشرف وسطوة وحدة

(٤٥) حذبت بنفسي دونه أي حنيت نفسي امامه كالأحسب لا تمنع عنه الأذى يقال حذب عليه وتحذب بمعنى عطف وتعطف وأصله ما ذكرنا . والذرى أعالي الشيء جمع ذروة والكلا كل الصدور أي دافست بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو نبال في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى ونبيه ولكنهم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل ولكن فضاه في حماية الاسلام ومن جاء به لاندانها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت العجز والضعف فجراه الله خير الجزاء

البسمة والدينية، وسمه الطبيعة ان كنت من يصبح بأن «المادة لا تتجدد ولا تنعدم»
وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح» اوصفه بالجرشة
(الميكروب) ان تجهورت في نظرك القدر؟ وعرفها بالتخلق ان درست علوم
النشوء وقامت (داروين)، وسمها الصوت ان كان لك ميلا في تعرف النفات
الموسيقية وفنونها، ونادها صوتا متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاكمل
من الفنون والافان، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح»
وصفها بالذرة ان كنت ممن يسمين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجبورة
«الميكروسكوبات» واصطلح عليها سياسة لاقتصاد للجامة الانسانية ان
وددت تسير الأمم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بن تخلق ونشأ فيه،
واقننا «الكريمة» ان درست معلومات هارفي ومن اتبعه، وأقرأها الحرف في
كلم القومين . وسمها الصوت ان كان لك شوقا الى «سفينة الشيخ شهاب»
او محب استماع مناغاة الطيور على اوكارها . أو تميل الى تفنن النصار بين على
اللوناد والمطر بين بأصواتهم الرخيمة وارسمها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت
جلبتك تهوى الجليل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير
المصورة . وسيرها سفينة تجري في الفلك بأمر مدبر دقتها . ومبخر مائها ومحرق
قائها ان تطلب العلم ولو في الصين . واجرها سيارة بارادة قائد هاقوة جاذبتها
وراقها ان كنت تبغ حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت
وفي أي مكان وزمان شئت . لاسماع بين التصويت والتسكيت لارؤية بين الظلمات
والنور . لأنمو بين الموع والشبع . لانفصال بين الحركة والسكون لامتفرق بين
الايض والاسود . لاتجزئة بين الكل والفرد . لاهيولة بين الجوهر والمرض .
لاشفاء بين المرض والنرض ولا تقليل بين البيت والحد . ولا روح بين القلب
والجسد . ولا شك بين القائم والماتم . لاصوم بين الشك والرؤية . لادقابين
الماء والنار . ولا نعيم بين البطلان والرجحان . اه المثل بتفه وضبطه
حسب القارىء هذا فقد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياته كلاما بهذا الكلام .
الفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والمجففة تشبه خروا من

أنواع شتى وضع في علبة وخضع حتى اختلط بعضه ببعض ثم استخرج فظلم نظما غير مألوف ولا معروف . فإليت شعري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابله بتصفيق الاستحسان ، أم بصفير الاستهجان ؟

﴿ الزنامة التونسية لسنة ١٩٣٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من الفوائد الفلكية والتاريخية والأدبية والسياسية والإدارية والتجارية ما لا يستغني عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومولتها سيدي محمد بن الحوجه من أفضل الكتاب في تونس وأوسعهم علما واطلاعا على الكتب العربية والأجنبية ومن فوائد القسم التاريخي في زنامة هذا العام كلام مسهب لأحد علماء جامع الزيتونة الاعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة اللواء المصرية منسوباً الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتيبه الأردن بزعمهم ولم أر هذا العهد الا في الزنامة ولم أسمع بذلكه ابداً نشرته جريدة اللواء ومنها تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الاخبار التلفزيونية وتاريخ خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحسامات المهدية بتونس . ومن فوائد القسم الادبي معجم لاسماء الاعلام الاسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس ومعدة التماسح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها وكذلك القسم الإداري وفيهما كل ما تم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم وصور كثيرة منها رسوم بعض المأهات الحجازية الشريفة وقبر حواء أم البشر وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . ومن النسخة من هذا الكتاب ١٥ فرنكا وهو يطلب من ادارة جريدة المنبر ومن محل الخشاب في القاهرة

(طوابع الملوك) مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر ٥٠ قرشا أميرياً . وكنا كتبنا تقرظاً مغولاً لهذه المجلة العربية في هذا العصر فضاقت عنه العجز الماضي ولما لم يرد إلينا بعد العجز الاول منها شيء . وقد مضت أشعرا كنفينا بهذه الإشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لها تقريرا فاجمع ولم ينشر ثم فقدت وهي لانزال تصدر بانتظام فتشغلنا طول البذل والارواح بالتوفيق للخدمة النافعة (المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة بمحمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن الوصف والتعريف لشهرتهما بتحريرهما في الموعد السنين الطوال وباشتغال الاول منهما بالصحافة مستقلا (وقوم المؤيد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما هتيد بن برأي غيرهما ومما يوي الرجا في نجاح المنبر رغبة كثير من انكباين في أن يكونا من خطبائنا . فنسأل الله تحقيق الامل ، مع امته في خير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السور بين بجر بدته ويستفيد من اقبالهم حتى تكثر أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفكه في انكسابة يشوق القاريء لاسيا اذا كان سوريا فانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا لطيفا من مزج الماء بالراح كما يمزج المزل بالجد فيجمع للقاريء بين الفذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية أنفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمذهبية

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

﴿ زيارة الأمير لطلاب العلم في مسجد المرسى ﴾

أظهر الأمير لشيخ علم الاسكندرية رغبته في زيارة مسجد أبي العباس المرسى لرؤية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخر فظم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمر المعلمين بتأجيل أفراد من كل فرقة مسائل يسر الأمير سماعها وزينت مصلحة الاوقاف المسجد والطريق اليه زينة جميلة وبافت حاشية الأمير (المعية)

شبح الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما من كبار الازهر رغبته في حضورهم هذا الاحتفال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسهوا من الامير النصائح التي تتفق بشؤونهم وقد بيده الشيخ شاكر الوسام المجدي الثاني وهم ينظرون فبين لهم بالقول والفعل رضا عن عمله في ادارة التعليم

لهج الناس تبع الجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية وبما قيل وكتب ان الامير أعزه الله وأعزبه العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسهونها الجدية كتنظيم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه وأخطابه فخرنا بذلك وسررنا لأن هذه خاتمتنا المنشودة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحظرون نص خطاب الامير للعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحفظنا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المريب كتب ما سمعه بعد الخروج ونحرق في الالفاظ بقدر الطاقة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الأمة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت مبالاة الى تبادل الآراء النافعة

والسي وراء الصالح امام

« انه كان في صدأ الامراء اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لأرى الا رؤساء الروحيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزم على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وترتيب مراتب تقوم بحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تسميا للواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندرية بين غاية الوثام حتى داخلهم بعض الدسائس التي أوجبت زيادة النفرة فيما بينهم وقامى فيها الشيخ شاكر بعض المقامسة كما قامى في المدة الاولى من الحصاد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا فمرمنا على ماملة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الخيانة الاولى لولا اننا أملا اصلاح الحال ومناجاة الصل النافع

«غير ان مازال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يحبون أن يستملوا «الفنسة» لانهم لا قدرة لهم على العمل لأنه ليس كل متعمم شيخ فان بعض الناس يظهرن عظماء ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضمنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكسرة) وصار الاخلال به مضر جدا

«وانا أوصيت الشيخ شاكر ان يعامل كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدري الاكثر أو الاقل . فيلزم كل واحد السكينة ويلزم الكبير برحم الصغير والصغير يستبر الكبير وان يترك «الفنسة» فتي ان شاء الله لهنا الميرانيات ولنا الامل في ان تزيد الماهيات والمربيات حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر يني وبينه وداء أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني صررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي أمل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول - وفي رواية قولية ان بعضهم قال - نعم نعم يا أفندينا نجاح باهر جدا استعناهم فوجدنا الامر فوق المرام بهمة افندينا) « الحمد لله لنا أمل قريب يظهر علماء من الاسكندرية يدفعون وطهم واذنا خطب أحدهم لا ينجش الانسان من سماع خطابه ولكن هذا لا يكون الا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والحسد كما اننا مستعدون لسماع أي شكوى فأوبنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لانصب المجاهرة وانفوغنا بين الناس (وهنا التفت الى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر منحد مع اشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك . ثم اني أحب جدا لزوم السكينة ون لا يحصل شيء ابدا حتى اذا جئنا من السفر لانسمع الاما بمرنا » هـ

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما قنه الامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفنسة والرشاية فأمرزكي اشافكرشه (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول : أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تدبيب صفار العقول من

المشايخ من الأمير وقته الله . وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الأزهر
وكون هذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب وبرجو ولم ينس الناس هنا
خطبته عند إلباس الكسوة لشيخ الأزهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

اتدب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم ممن كان ذا كرم الاستاذ
الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجه الذي ذكرناه في ترجمته الى
تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحد من وجهاء الاغنياء للاكتتاب فاكثبوا
في مجلس واحد بمئشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا
مديراً للجريدة وأعضاء للمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة »
وهم الآن يسمون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون
نخشى ان نكون مقعلاً ثانياً ومن الناس من يجزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء
الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا
الرأي فزاد انتشاراً ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا
العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم اضرار مصلحة على مصالحتها ، وانهم
يصلون كما يعلم كل عاقل أن ايست مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصماً لها
والمتناب أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمة النافعة ان تهب الجرائد عند
كل عمل منتقد للحكومة صائحة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المتناب ،
وانهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامدين متعمدين ، كما يعلمون أن من
الحياة للبلاد السكوت عن انتقاد ما يجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها
بالدليل والبرهان ، مع أدب القلم واللسان ، وذلك هي الطريقة المثلى ، في هذه
الخدمة الفضلى ، وسبى أكثر الناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء
مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلاً ليس فيهم من يهدركنا ميسه ولا
لرفته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فأرجاء في اخلاص هذه الجماعة اقوي
من الرجاء في اخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية الجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يقولون كتبها
وتحررها فانما ظنر بحس ادارتها بانكائين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل
الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والاتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشريعة
والقوانين من لا ينسب أيدي أصحاب الجرائد الأخرى الى استعمال أمثالهم تسى
لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو
واذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة وآها الناس دونها لانهم ينتظرون أن
تكون أكثر اتقانا فهم يزعمونها بهذا الميزان

سجل حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام الداجن في
جهة دنشواي التابعة لكرشنين الكوم وكانوا انما ياتي سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية
ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام وافق ان اشتعلت النار في جرن (بيدر)
بالقرب منهم فانبرى بعض الفلاحين لنسدهم عن صيدهم حرسا عليه وخوفا على
أجران غنيمتهم ان تنشق من نزل الينادق وفي أثناء المناقاة أصيبت إحدى نساء الفلاحين
بنار ينادق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المناقاة ملاكمة وضربا بالعصي والوطوب
فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضروبين بالسير الى المعسكر لطلب
التجدة فسار في حر شحرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات
في الطريق . وأثبت المتحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلبوا أسلحتهم
للفلاحين فإزادهم ذلك الاخشوة وعدوانا وقد سلبوا من انضباط ساعة وسلسلة مفاتيح
وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المحتلين لأن العازب بعد الإهانة الصغيرة كبيرة
ومن بين يسهل الموانع عليه فأجهوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة
الخاصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيئة المحكمة في
شبين الكوم (في ٥ هـ ١) وحكمت حكما لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة
من الفلاحين بالشق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة
١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم باطس

مع الشغل سنة وعلى خمسة بخمسين جلدة فقط
وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبمنهم
ينظر الى بعض والاهل والاقرين ينفرون وعسكر الاحتلال محيط بالمكان
وكان الجلاء في نظر الناس أشد من الشق فكان لذلك أشد اتاثير المزعج للناظرين
ثم لجميع أهل القطر فببت الجرائد للاتحاد والشكوى وكثر لفظ الناس بظلم
الانكليز وقال المتطرفون منهم انما كان ذلك للين السابق قبل تمام التمكن في
البلاد ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبما قال اظر خارجية انكلترا في التعصب
وقد اشترنا اليه في مقالة التعصب من هذا الجزم حتى قصرت أسنة الذين كانوا يشنون
على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول
يقول بعض المنتقدين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي ويقول من ينتصر
للانكليز في كل شيء بل هو قضائي عادل وعندي أن الأولين هم المتصرون لأن القوم
اذا كانوا يعتقدون أن الحكم القضائي العادل الذي هو امتصاص المساواة في مثل هذه
الواقعة يجريه الفلاحين على جيش الاحتلال لتعصبهم أو لحشوتهم وان هذا الجيش اذا
لم يكن محملا تطاح النفوس الى الجرائد عليه فانه لا يمكن للمخاض ان يقيموا في البلاد وكانوا
قد قسوا في الحكم للإهاب وإقبال هذا الباب فإن السياسة المتبعة في كل زمان
تقول لهم أصبتم في التسيكيل بصفة رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل في
القصاص العادي لمنع حدوث فتن ربما أدت الى قتل من لا يخص من الرجال
وافساد كثير من الأعمال . واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لسياسي يقول
لنا المتمدن أن القانون أو الشرع الذي نبي عليه الحكم ومنى كان الرأي المجرد
قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم
طول الحياة ليجرح بعضهم من يكفي لشقائه أيام معدودات ؟
فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة
مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لمفظ
الأم وتهديب الفلاحين ليدفع العدوان الذي تأصل في البلاد بصف الدين وقوة الجهول
وزوال هيبة الحكومة وان لا يهود مثل هذا الخطأ في الفهم بين المحتلين والمصريين آمين

﴿ وفد الشريف الى اليمن والثورة ﴾

بلغتنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لهما الى زعيم الثورة في اليمن ليقمه بالموضوع لدراسة العملية . والدولة لاتزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعاً واثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خبر من ذلك كله وأننا ليا بها

﴿ لدولة وموتمر الأديان في اليابان ﴾

بلغتنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزئه سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى موتمر الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طلبت منه ذلك فلم يجب وقد كتب من الانصاة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب وانني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحمد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

﴿ الى وكيل المنار الصديق في تونس ﴾

قد بسطنا رجاءنا لو كمل المنار الفاضل في الجزء لآخر من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن السنين التي نكرم بقبول الوكالة فيها فلم يجز جوابا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نهدي اليه بالوكالة وكفنه القبول كتب الينا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وأنه أرسل طائفة من النقود الى حاسبه عليها وأنه لا يلبث أن يكتب الينا بياناً بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا اليه نذكره فلم يرجع الينا قولاً ولكن جاءتنا طائفة من النقود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقين الاديبين اننا أحوج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لان سنة المنار التاسعة قد انتهت بهما الجزء ونحن لانعرف من سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بارسال ما عليهم الينا ولهم لا ييلفون عشرة في المئة من مشتركى تونس ولهذا يشذرعنا ان نطالب أحدا منهم بشيء ما لم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل يوما كانه من أمر التحصيل ، فنعسى أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليتسنى لنا عرفان ما هنالك من حقوق المنار ، ونستريح من ألم الانتظار، ونشكو لهما الشكر الصميم ، وأعمال الاعمال بالحواتيم ،

يؤتي الحكيم من يشاء من يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المحاج

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله فاعقبوا وفضلهم

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و« مناراً » كمنار الطريق

﴿ مصر - رجب الحرام سنة ١٣٣٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ ﴾

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

تابع لما نقل عن الأحياء

« وحكي أن حطيطة الزيات جيء به إلى المحجاج فلما دخل عليه قال أنت
حطيطة ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال
أن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول
في ؟ قال أقول انك من أعداء الله في الأرض تنهك المحارم وتقتل بالفنعة . قال
فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرم منك
وأنا أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال المحجاج ضموا عليه العذاب قال فانتهي
به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على اللحم وشدوه بالحبال ثم جعلوا
يمدون تصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للمحجاج
أنه في آخر رمق فقال أخرجه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية)
فأنته أنا وصاحب له فقلنا له حطيطة ألك حاجة فقال شربة ماء فأثروه بشربة ثم
مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي المرق لابي أمية) دعا بقباء أهل البصرة
وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً
الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله
ثم قال ما هذان - هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني
الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وغلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا
هبرو اني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليا ورجل مأمور على الطاعة
ابليت بالرعية وزمني حقهم فانا أحب حفظهم وتعهدها يصلحهم مع النصيحة لهم
وقد يبلغني عن العصاة من أهل الديار الامر أجدر عليهم فيه فأقبض طائفة من
عظائم فاضمه في بيت المال ومن ينفي ان أردته عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني
قد قبضت على ذلك النعم فيكتب الي ان لا تردده فلا أستطيع رد أمره ولا انقاذ
كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور
واقية فيها على ما ذكرت قال الشعبي قتلنا أصلح الله الأمير اتما السلطان والهد
يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحد
ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول
انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليا ورجل مأمور على الطاعة ابليت بالرعية
وزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تحوطهم بالنصيحة وانني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرحي رعية فلم
يصلها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة» (١) ويقول اني قد قبضت من عظائم ارادة
صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قبضتها
على ذلك النعم فيكتب الي ان لا تردده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انقاذ
كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فله عرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فابذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزبلك عن سر برك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على علمك يا ابن هيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يملك من
الله وان امر الله فوق كل امر وانه لاطاعة في معصية الله واني أحذرك بأمر
الذي لا يرد عن القوم المجريين: فقال ابن هيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله
ونيته: فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هيرة انك ان تلق من ينصح لك في دينك ويحكمك على
أمر آخرتك خير من ان تلق رجلا يفرك ويمسك فقام ابن هيرة وقد بسر وجهه
وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا
ومروفة وصلته فقال اليك غني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لا أدي اليه وكنا أهلا أن
يقول ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس المربي
بين المقاريف (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل قلنا مقارنة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلاطنا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قل حدثني عمي محمد بن علي قال اتني لحاضر مجلس أمير
المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتني
النفار بون وشكوا الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال
النفار بون يا أمير المؤمنين سلهم عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كحسب وهو ما كان أبوه ذهير

عربي ويقال به الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما نقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين
قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله
لتخبرني قال انك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد ان
الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي
ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا اني جالس هنا لأخذت فارس والروم
ولله ليم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد
ولي أبو بكر وعمر فأخذنا الحق وقسما بالسوية وأخذنا بأفقاء فارس والروم وأصغرا
آذانهم قال فخطى أبو جعفر قفاه وخطى سميته وقال والله لولا اني أعلم انك صادق
لتفككت فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين اني لا نصح لك من ابنك
المهدي قال فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان
الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساء في قولك
له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهدي
وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين
وأفأ بالاحل فأنت فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم
قال لي ما الذي ابتأ بك عنيا يا أوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال
أريد الاخذ عنكم والاعتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين انك لا تجهل شيئا
مما أقول لك قال وكيف لأجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك
إليه قال قلت أخاف ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده
إلى السيف فاستبره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت
أنفسي وانسلت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن
بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما عبد جاء تعة موعظة من الله في
دينه فانها نعمة من الله سبقت اليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله
عليه ليزداد بها اثما ويزداد الله بها سخطا عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول
عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشيا

رعيته حرم الله عليه الجنة» (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فتمد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب اممكم لكم حين ولا كم أمورهم اقرا بتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا موسى لهم بنفسه في ذات يده محمد ردا عند الله وعند الناس فمحقق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم سائرا لا تفلق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبهج بالنعمة عندهم وتبتس بما أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أمهرم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من الدل فكيف بك اذا انبعت منهم فقام وراء فقام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية دخلتها عليه ، أو ظلامة ستمها اليه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويرزع بها المنافقين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب اممك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شققت ابصارهم وسفكت دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بنجر (٢) يا أمير المؤمنين قد سألت جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحيها خير من امارة لا تحصيها » (٣) نصيحة من لعمه وشقة عليه وأخبره انه لا يقني عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقرين) فقال يا عباس وياصفية

- (١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي - ابن أبي الدنيا في مواضع الخلفاء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي (٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

عبي النبي وبافاطة بنت محمد أني لست أغني عنكم من الله شيئاً إن لي عملي
والكم عماك (١) وقد قل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا حصيف
العمل أرباباً لا يبالغ منه على عورة ولا يخف منه على حرة ولا تأخذه في الله
لومة لائم وقد الامراء أربعة فأمير قوي ضف (أي منه) نفسه وعماله فذلك كالجاهد
في سبيل الله يد الله بأربعة - إليه الرحمة وأمر به ضف ضف نفسه وأمر عماله لضفه
فهو على شفا هلاك إلا أن يرجمه الله وأمر ضف عماله وأمر نفسه فذلك المعاملة
الذي قل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة » فهو الهالك
وحده (٢) وأمر أربع نفسه وعماله فذلكوا جميعاً :

وبعد أن أحال في وعظه بما حدثوا به اختصاراً قل

« يا أمير المؤمنين من أشد أشدة أقيام الله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله
انتقوى وأنه من طيب المز بطاعة الله رفاه الله وأمره ومن طابه به صية الله أذله
الله ووضه فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي إلى أين فقلت
إلى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين إن شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو
حسبي ونعم الوكيل فلا تخني من مطالعتك أي شيء بهذا فقلت المقبول القول
غير المهم في النصيحة : فقلت أفعل إن شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر
له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأيسع
نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يبعد عنه في ذلك

« وعن أن المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجباً
فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
فاذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة
لصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند
المترزم وهو يقول : اللهم أني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه نخرج الأحاديث السابقة وسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والظلمع، فاسرع المنصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجدين وأرسل اليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصل ركنين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعته بقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد خشوت مسامعي ما أمرني وأقلني . فقال يا أمير المؤمنين إن امتنيتي على نفسي أنبأتك بالأمور من أحوالها ولا اقصررت على نفسي ففيها لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت: قل وبحك وكيف يدخلي الطمع والصغراء والبيضاء في يدي والخالو والحامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعك أمور المسلمين وأموالهم فأخفلت أمورهم وهتمت بحجم أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاح ثم سجنك نفسك فيها عنهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة أن نسيت لم يذكرك ، وإن ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضيف ولا الفقير ، ولا أحدا إلا وله في هذا المال حق ، فلما رأك هؤلاء انفرد الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يهتجوا عليك تهجي اليك الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لا نأخوه وقد سخرنا فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر الا أنقصوه حتى تسقط منزلته وبصرف قدره فلما نشر ذلك عليك وعظم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والوالا ليقبوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لئلا يظلم من دونهم من الرعية فتملأت بلاد الله بالطغيان وفساد وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطتك وأنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وإن أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فنجاه ذلك

الرجل فيبلغ بطاقتك سألو صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت له مظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويسئل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضر بامير حال يكون نكالا لغيره وانت نظرو ولا تنكرو ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا . ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الارفعت ظلاله اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلاطنتهم فينادي يا أهل الاسلام فيستدرونه : مالك مالك ؟ فيرفعون مظلمته الى سلاطنتهم فيتصرف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وجمالك فقد متهاجرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك لبكي لا بكت عينك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم صرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل امان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك »

وبعد ان أطال في موعظته وخوفه من الله وعذاب الآخرة بما حذرنا به من هذه الاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتمالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائفا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هو بوامتك مخافة ان تهملمهم على اظهر من طريقك من قبل عمالك ولكن اقتح الابواب وسهل الحجاب واتصرا للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أسرك ورعيك . فقال المنصور اللهم وقتني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أخرج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخياط منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة العرابية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الاول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الاساذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحاً مدبراً اذ كان برياسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كالسيطر على جميع أعمال الحكومة كما يبين في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقادا كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها وانا نورد هنا بعض مقالاته قلا عن الجزء الثاني من تاريخ حياتنا (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٧٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة امر ذلك كله بشيائنا وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجبين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاما كثيرا اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريبا على الأذان وحشيا عن القلوب يساق اناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) اذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم وبعض الناس بعد التنبيه كانوا لا يرون خطية أرفع من حطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للكتاب من المكانة عند الحكم والتصرف في الحقوق فاكثفوا بإرسال ابنائهم إلى الكتبة ليعلمونهم حتى إذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة إلى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها ولكننا لا نبيدها وأما في أيامنا هذه فقد تنبّهت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهات السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظيف في الخدمات المبرية أو طلب الكسب من وجوه أخرى ولم يشوق تام إلى كسب فضيلة العلم فلا تساعدهم أحوالهم بالضرورة على الرجوع إلى التعليم في مكاتب الأطفال وتعطيل أسباب معاشهم فيود الكثير منهم أن تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمته جهل آبائهم لعلهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو ستين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعدهم المقادير على النجاح وكانوا في انتظار توفيق الله يسوق إليهم ذلك الخير حتى سمعوا بأن نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سيقب لنا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة أن تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها إلا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا يا سبحان الله أن المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاكي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الفرنسية أو العسرة الفهم وذلك لفائدة (الاولى) أن كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه أن يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرهمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة إذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) أنه إذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقر بها الى الفهم كاحداثات تسلي بها النفس بل ألذين ذلك إذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد فتجذب نفوس الناس الى مستلحات العلم فبدل صرف أوقات ليهم الطويل في مضاجعهم يتقبلون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل نفعها أو في أما كن أخرى تحاشى عن ذكرها يهرعون الى معهد العلم ليغذوا عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجلية في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفني منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدم وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون ويطلبون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الاسف خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجنب (وان كان ذلك غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الاكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في مدارس الغرب ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أبقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف أنها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة يجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا أنها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ما تشاء لهذا الغرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتقدمة لتأتينا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا الحد وان كان الاول قلنا الاول ان لا تكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستهدا أخذاه من البداية سهل الوسائل ميسر الاسباب

بالغة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل بهان المكسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البص على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا و توبطهم الذمة و تلمعنهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتمالون بها اذ ذاك بل نرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
اللي اجباريا عاما لكل مستخدم و قارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنه من مرض و نحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق
القضايا و حل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات و الحقوق و الحسابات و نحو
ذلك و هذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة و ذوي عقل وافر
و هذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيرة

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتحتها نظارة المعارف
قريبا و ربما كانت تلك الاقوال - صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجيبهم الى مطروحاتهم ان رآه موافقا
و خاليا من الموانع و المحظورات و الا قدمهم بأن تميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون
الحق و يرجعون أنفسهم من الجدال و لهم أقوال في مواضع شتى يمتنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام و ربما نذكرها غدا ان شاء الله

و كتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها و أفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق و نذكر
بعضها هنا في هذا العدد حفظا لمفردات الاقوال لعل شيئا منها يقرن صحة فيصادف
قبولا و ليكون ذلك دليلا على تنبيه الافكار و التفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالعلماني
الرفيعة قاضيا على نظار المدارس و المكاتب و معلميها بوجوب التفاهم و لفظاتهم و قوامهم

بواجباتهم مبينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كالأوزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبيخ والانذار وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة فعلا وتبصرنا لاحفظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهم والنذر من لم يحذ حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأنشروا صدور العامة والخاصة بهذه التنبيهات الأكيدة والتعليمات المفصلة وقالوا لعل بهذا المنشور لا طمأننت نفوس الكافة إلى تربية أبنائهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الأزمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماة زمارها فقد كانت النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس القرير والآنكليز والأمريكان والبروسيان ونبرها عامرة بأبناء الأهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك إلا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع مراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدان والأقارب في المدارس الأجنبية وأغفلها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فإن الثفات سعادة ناظر المعارف إلى كيفية التعليم وتشديده في أن تكون على وجهها الحقيقي مما بعيد الآمال ويقويه

إلا أنهم يتسألون فيما بينهم بسؤال كثير منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتداح اجتهدوا من النظر والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فإن مكافأة الشكر والثناء وإن كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير في جلب الرغبات وتقوية المزايم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فإن من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من إرادته لا تنفك عنه الوسواس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب منقصات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنشئه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من هتبه بل ربما أورث خللا في كيفية تأديته لوظائفه خصوصا إذا

رأى غير المجتهد مما مثاله في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من
 الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع
 أن المسموع أن ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستفراقها
 بل نود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الفرض منه
 حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدريب على الطرق
 الجديدة ما يؤهلهم لأجرائه والسير بمقتضاه بحيث تعصل الناية منه بمجرد نشره
 أو أن الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما
 لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم وهل امتحن المملون والنظار كما امتحنت التلامذة
 وعلم المستند منهم وغير المستند بوجه الدقة والضبط حتى إذا وجد منهم من
 لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى ما يستحق
 لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجمل والاهمال ويتوفر على المعارف
 زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خسارة على التلامذة الساكين
 ولا تقصد بالامتحان الا السؤال في الفن الذي يعلمه فإذا تبين أنه يمكنه الاحاطة
 بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عند عارفاً ثم طلب الالتقاء والتدريس
 وكيفية التفهيم قرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفين بفنونهم قادرون
 على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألقوا بعض الطرق العتيقة
 وتمودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وإن كانوا علماء بفنونهم
 والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً ويعجز عن تمرين المتعلم عليها عملاً
 والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك
 يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يحب أن يجهد
 نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف
 فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضلته وعرف الناقص
 مقدار نفسه وأنزل كل منزلته هل اختارت نظارة المعارف لاجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه وعن أي الجهات منبّه فإن كان عامداً جازاً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم وبينوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وإزالة النقص اذا طرأ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درساً آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنتجع هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لا اخلاق له بأن يكون أحق أو دنيتاً أو عديم الغيرة والذمة أو ردي الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوّثهم بالذائل وتكون كلفانه في الدرس مزوجة بسم الفساد فتميت أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب وأما علما صناعا مصحوباً بشروط تعود على صاحبها بالشقاء وياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتمدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقاب النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الحيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في انحاء البلاد لتفويض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بمحصولها على رجال تقيهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلاً ليست
أما ليها سهولة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال
التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم إيجاد طريقة جديدة في التأليف وإزالة
كثير من الصعوبات التي عاقت كثيراً من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية
بتصنيف تلك الكتب وإن حصلت فهين أن يسط تصنيفها وهلا شكل مجلس للظفر
في مثل تلك التسهيلات ودعي إليه أعضاء من لهم سعة في الفكر والاطلاع على
الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي
تدريسها في أي الفنون حتى يأتى إجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال
من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره
الى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة
المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسماها بها فهل أجيب طلبه وحصلت
المذكرة في تلك الآراء القويمة التي أبدأها حتى يخرج من تنفيذ مقتضاها الى
البحث في غيرها من الجهات القليلة

هذه جملة من سوء الاتهم مردناها للاحاطة بها وإنما نجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف
هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تغفل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً
ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد
أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا
يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الاوامر والنطق بالالفاظ المالية
بدون ترتيب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة
العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الاكرم الخريص على تقدم العلم والعبور الرفيع
الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الحاذق وكيل المكتاتب الالهية
حضرة على بك قصبي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الالهام ويفتح
للمعارف في عصرنا هذا ناراً يتجلى جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة
العالية مساعدة على نشر المعارف وتأييدها فعلى ان لا ننسيتها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من الحق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهارا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من اوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير يتبدأ فيه من المهاجرات الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة أما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم أخر ناهية من آداب وتاريخ أحوال الأمم وتاريخ طبيعى وبعض مبادئ الرياضة (فيما سمعت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخوجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك أجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لا تنوسم فيها ذلك الا بيرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تنقص في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية بعد فضيلة يسمى اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية قصد وأعمالها وسيلة لا احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسطة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملكية ادراك في بعض الفنون التي يطلب التمكن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم القاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون معها بعض مبادئ العلوم كما عرفت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لازال نرى مساعيها في تقديم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يجاهد لسهادة فاعلموها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللاتئين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة القليلة وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاها فعليا لاجديا يقنع الناظرين ويفهم الخاصين ويذهب بتمللات المتعلمين ومطالبها لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافتراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يرفعون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يجهيئون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لي طلبهم ويكون اجر يدة الوقائع المصرية شرف الاخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر ومافيه

(المنار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة القليلة العربية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة قيميدا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حاديي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكتاب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المتقدمون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيه واستاذ الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلاسة وله مقالات أبلغ منها عبارة لانها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

آراء وأفكار

للهكتور محمد توفيق افندي صديقي الطيب بسجن طه
هذا عنوان مقال لي جديد ' أريد أنه أفصح فيه عن رأي أبنية العلماء المسلمين
الحقوقيين منهم لا التقليديين ' حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ' وإذا ما كنت مصيباً
أبدوني ' وبشي من علمهم أمدوني ' فاني لست بمن يهوي الإقامة على الضلال
ولا ممن يتنذ بمحدث مع الجهال ' فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه
والإسراع إليه إذا بداني بارق من بصيصه: وهأنذا أشرع في إيضاح المقصود
بالتدقيق ' راجياً من الله التوفيق ' للهداية إلى أقوم طريق فأقول: —

لاخلاف بين أحد من المسلمين ' في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ' لانه
منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ' ومكتوب في
عصره بأمر منه عليه السلام ' بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً
إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ' ومن
ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه العالمين شيء بالكتابة سوى القرآن
الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر
وإننا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة
ولتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحياناً على حسب ما أدامه فيه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز
منظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله ولم يضمن ما في الأحاديث من الواجبات كاضمن ما في
القرآن حتى نأمن عليه من التغير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً
والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب
بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقها على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من التقي ؟) فأجاب
عليه السلام (لو كان واجباً لو جدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أولم يصح فالعقل
بشدهد ورواقي عليه وكان يجب أن يكون مبدأ للمسلمين لا يحدون عنه . ولكن يا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأثم فدفعهم في ظلمات في بحر لحي يشاء موج من فوقه موج من فوقه صاحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحد منهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً أفأله من نور

ولم الناس في الأعراس الأولى بالروايات القولية ولو عاوتها خروا بكثرة جمعها جموعاً حتى ملأت الأحاديث الآفاق وكثرت فيها التضارب والاختلافات وصار من المستحيل أن يعمل الإنسان بدينه بدون أن يقلد غيره ممن أقنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من الأدعاء القرآن المجيد تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لا حداً لأئمة ووجب على التقليد القول (بأن السكك على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين حتى عليهم القول بأن سيبغون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمى فقال بسد باب الاجتهاد وبذلك شفى الرمى بالاعفاء فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين رموه بأنه من المارقين وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل ولولا غابة الله لأزهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعملوا ما فيها من الاختلاف وتعمقوا أن أكثرها موضوعات ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطراً يرفض منها ما صح عند غيره فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تخصي نظرهم أن القرآن غير واف بالدين كله والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وإذا صححت مذاهم فأمرهم فأي تزيط أكبر من ترك القرآن لا أكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج وإن كانوا غير ذلك !

دين الله سهل ميسور والتقليد فيه محذور فلو كان العمل بما في الأحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع والحسن والموقوف والمرفوع والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا استطاع ؟
يحتج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنيين نقول إن إطلاعة الرسول لانزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسذوب؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لانجهل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لا أثر لها في الكتاب ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على القرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بعدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لانه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء. وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليست من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. أليس ذلك أثر من آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرناظر في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها.

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محل النزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأيي أنه لا يجب. وربما كان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه نداءً شديداً أو أنه تطبيق لأوامر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيث أن غير هاتين الأئمة لما أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أمورهما وأحوالهما كإسنيين ذلك في مسألة الزكاة ولنبداً الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا
لكم عدواً أميناً» وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم
فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم وتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا
حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح
في السفر إذا خفتنا العدو . وأن صلاة الخوف للإمام ركعتان فقط وللمؤمنين واحدة يصلي
نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر اركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من
القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف
ركعة واحدة لا مؤتم وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في
أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة . أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت
من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء وبعبارة
أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ماشاء إن زيد
بجيت لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن القلوف في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن
الله لا يحب المفسرين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر
فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فلمسلم
الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن
الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل من السنة على أن هاتين
الركعتين هما الشأان الأكبر في الدين ما يأتي : —

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة
إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فإن قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحدوث
عهد المسلمين بالإسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن اليهود في طباع
البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديدي الرغبة في القيام بجميع واجباتهم
الدينية ويطلبون المزيد . وكلما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان
المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكما ازداد اضطهاد
المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كلفوا بأكثر من ركعتين في أول
الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً
لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف
في الصدر الأول كان مراعاة جانب المسلمين الجديين المهذبين وهم إذ ذاك نهر قليل فلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتفي بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنهما أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى.

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو. ولو كان السفر قصيراً جداً. ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه الغناء والتعب. فلو كانت الزيادة واجبة لمدهنا تهاونا وخصوصاً لأن القرآن لم يبيح القصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً أن هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكْتفاءً بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشرف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا) أن هذا القيد في الآية للمذكورة آتياً لا مفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم.

(٣) كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الاخيرتين وإن جهر في الاولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاولين

(٤) إنا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السن وفي المندوب والمستحب والرغبة الى غير ذلك من التقسيات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة. ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ماضى وقتاً أقل من ركعتين ولا تعيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد.

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويؤاخط على ذلك وإنا كانت الصلاة رابعة أو ثلاثية لم يسلم الا مرة واحدة وإنا ترك سهواً بعضها أعاده وسجد للسجود فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا. أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض التوافل واما المواظبة على جعل بعض الصلوات أرباعاً أو ثلاثاً ثم لا يدل على وجوب ما فوق الركعتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق وإذا سلمت فكيف من أشياء وأطب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة إنها غير واجبة مثل الاستسقاء والاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضضعة والاستسقاء وغير ذلك كثير جداً . وأما قرن الركعات بتسليمة واحدة فكيف من أشياء قرنت بل من جئت بالفرائض وقال الأئمة إنها غير واجبة مثل كثير من أعمال الخبيث والوضوء والصلاة . ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركعتين الأربعين والركعتين الأخيرتين إشارة منه إلى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الأخيرتين وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما عادة ما تركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لأن السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان يزوي أن يصلي أربع ركعات مثلاً ويجد أن قلبه اشتغل بشيء آخر ألساه ما هو فيه كان يذ ذلك قصيراً وذنباً فيسجد سجدتي السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً للمصح عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عفاً بالنفس وإن كان سهواً فلا فسر في أمر شريف يليق بالأنبياء فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وليس سجود السهو هنا خاصاً بترك الفرض بل إذا نسي الإنسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فأن نوى أن يصلي مثلاً أربع ركعات فصلي سهواً ثلاثاً ثم تذكر فيلصق ما نسيه وليسجد لله . قال عليه الصلاة والسلام (إذا قام أحدكم يصلي أتاه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فأذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين)

واما الاحتجاج بالإجماع فهو غير حجة علينا لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحات هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسيه نحن إلا أن سئقوا وفرضاً او مندوباً ومستحباً بل كانوا يحفظون على كل شيء را والنبي عليه السلام فضله . واما إجماع الخلف فلا نسباً به والاستشهاد بمحدث (لا تجتمع أمقي على ضلالة) أن صح هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول أن المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فإن من عرف أن الواجب عليه ركعتان على الأقل فصلي أرباعاً فليبدأ بالرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله أجراً . واما الفرض من هذا الحديث هو توجيه المسائل عاماً ليس إلا . وهو يفيدنا أيضاً في مسائل أخرى من الوجهة العملية فوأن لا تحصى

﴿مبحث الزكاة﴾

نذكر أولاً مقدار النصاب من الذهب والفضة والمالشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ما ورد في السنة المتواترة (١):

النصاب	ما يخرج من الزكاة
(١) من الذهب ٢٠ ديناراً (أي ١٠ جنيهات تقريباً)	نصف دينار
(٢) « الفضة »	٢٠٠ درهم
(٣) « الابل »	٥ جمال
(٤) « البقر »	٣٠ بقرة
(٥) « الغنم »	٤٠ شاة واحدة

فالذي يكاد يحزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لا بد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ ديناراً كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة من عنده ٤٠ شاة وكذا من عنده ٥ جمال ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظاهر لبعض الناس دون الآخرين. وما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جداً أن المالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم تساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جداً إن لم نقل إنه كان متساوياً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ولنا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة أو السجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرنا صاعاً مصرياً بالتقريب. وذلك في مبدأ الاسلام وهي قيمة زهيدة جداً ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافاً كبيراً بحسب البلاد وبحسب الازمنة ومن ذلك نعم أن ما يمتد السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقاً لأنه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحسبه لجميع العالمين وترك أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضعوا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها تسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ما وضع للعرب في ذلك الزمن جهودا يبعدنا عن القل والصواب فان الذي عنده عشرة جنيهات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربح الشمر إذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والناشرين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن تقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضا مصارفها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فزاد منها عن الكتاب إن شئتا علمنا به وإن شئت تركناه . ومافيه من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ما اتفق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئا عن قبيل الحجر الاسود ربما على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضعها ابراهيم عليه السلام ليصرف به الركن الذي يبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يني يتي فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فجاء فخر عنه فجعله في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على ما أخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لأنهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضروب العبادة والتسذل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله وانكسارا مع العلم بأن الحجر والارض لا قيمة لهما بالمرة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التمدد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشيتين الحفيين تعظيما لله كمن يقبل أعقاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوده ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقا ولا بشر زمزم ولا للشرب منها فلندع ما يهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

يقي علي لافواه موضوعنا حقه أن أتكملم على مسألتين أخريين لورود شيء كثير عنهما في السنة وعدم ورود شيء في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ما شاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لأعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضفاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأسيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فإن وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لأنه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا إكراه في الدين) فدينين (الرشد من الغي) وورد في الحديث ما معناه « إذا روي لكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق فاقبلوه وإن خالف فرددوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحصن) حدد الزاني القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المنزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فإن أتيتن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) أي إن الأمة إذا زنت بسدا لأحصان تعاقب بنصف

عقاب الحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب الحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لانصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي الحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجبا لذكره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن ان الامام اذا وجد ان الامة قاسية غليظة القلوب منتشرة فيها الفسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم خشوتهم وشدهم وخاف على الامة الضيف والاحلال والفساد جاز له والحالة هذه ان يقرر الرجم عقوبة للزنا وان يعتبر من أقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . أو ان نكر رمنه الذنب ولم يرده الجلد جاز للامام ان يقرر الرجم على غير المحصن أيضا بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والحالصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها أولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا ورددعها الجلد فيه وإن كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين أوجبوا تهليلهم .

وكذلك ترك القرآن كثير من الحدود وأطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القطع لا يجب لأول مرة بل يستتاب السارق فان تاب وأصلح وإلا قطعت يده . فهذه أفكار في هذه المواضع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وأرجو ممن يعتقد أنني في ضلال أن يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة

إذا تقرر ذلك المذهب فاعلى المسلم الا أن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إيمان وتدقيق وعمل فكل وان يستتج جميع ما يجب عليه في دينه ودنياه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسادة الدنيا والآخرة ومن اقتصر عليه علم سخافة من عابا الاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . قالهم اهدنا بكتابك . وأنهمنا من أسراك . واقبح أعيننا وأثر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الخائضين آمين . اهـ

(المنار) قد سبق الكتاب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم ميرزا باقر الشهير الذي كان تنصر وصار داعية للذهب البروتستنت ثم غي بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذهب اليهود ثم عاد الى الاسلام باجتهاد جديد ودعا اليه في انكسار باضرة وعزم شديد . وقد ذكرني الكتاب في هذا الموضوع مرارا وكذلك في فقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لعرضه في المنار على العلماء والباحثين فنظروا ماذا يقولون ثم تقفي عليه بما تقدمه فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلاسفة اليونانية او شدوذ الفرق الاسلامية التي اقرضت منهاها واما تكون باقتناع المصلين من أهله بحجة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يعرض للمعتقدين المستمسكين ككتاب هذه المقالة فإني أعرفه سليم العقيدة مؤمن بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدبا للفرضة واما كان إقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقتناعه بالالوهية والرسالة ليجتج عليه بنصوص الوحي واني أعجل بأن أقول ان أظهر الشدوذ في كلامه ماقاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم ميين للتأويل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يهتد به جميع المسلمين اليوم فرضا والكتاب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا اطيل في المسألة الآن واما ذكرتها لثلاثعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم العهد بالجواب عنها وسنفصل القول في الموضوع بمد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لافي الامثلة التي أوردناها والله الموفق

الرد على الشيخ نجيت

رعب الينا ثلاثة نهران تكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار يقع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على ما دونه . والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتابا أتاني فيه على المنار وذكروا قائده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا تراب في اخلاص هذين الناحين الثالث مجهول أرسل الينا رقبيا من الإسكندرية كله سباب وشتمات وحكم على قلبنا وسررتا وعمما قاله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثامنة بأنه أخطأ ولكنه أعان يداري خطأه وموهبه فكان يجوز به هذا ان نعمي دالي

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولولا هذا المصنف لم نذكر هذا الكاتب الحليان السباب قبيد الجواب عن هذه الكلمة وإن لم يستحق كاتبها جواباً فقولوا أن الشيخ نجيت اعترف بخطأه في قوله أن خليفة المسلمين يجوز أن يكون كافراً أو أن حديث ابن ماجة الذي احتج به لا يحتاج به لأن سنده لا يصح ومثله لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكشفنا عن الرد عليه وإن نبرنا بالقاب الجبل والحسد و فانتالسناعن ينصرف لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسمى كثير من المفسدين في أيدائنا ولم تقل في أحد منهم كلمة سواء تصار أو انتقاماً وقد هضم أناس حقوقنا المعنوية واكل آخرون مالنا بالباطل فلم تقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد انتقدنا غير مرة على اصداقنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة ترى كثيرين من أهل الأزهر وغيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثر فيه التهميم على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لا سيما إذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه وفي ذلك من الفش للامة ما فيه وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندها قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الدردل على المداوة الشخصية ولم يتعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وإن كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بنينا وبين الشيخ نجيت عداوة لاسيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليها بعض مبغضيه يذكر لنا من السيئات ما لا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكره في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المقاتلين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والنافي أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت وانا لا نحب ان نسمع عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حجتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها ادلاً بمحاجة في العلم والدين هذا وقد سبق الي فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشمر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بحيتا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بماضاه (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه ميينين اننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على أن ذلك كان معروفا لغير واحد . وأزيد لأن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردًا على ثابت بن منصور إشارة الى أن الشيخ بحيتا هو الكاتب لها لا زال يذكرها وهي : لو ان الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لنقله من الخرقةش الى الازهر وكان سائقها لايصرف جغرافية القاهرة فسار به الى جبهة باب الحديد ما كان يفوته الدرس : او ما هذا معناه قد كثر خروجه من الخرقةش كان إشارة من الكاتب الى ان ثابت بن منصور هو الشيخ بحيت . واننا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الاميرية كان المقصود من كتابي الى المؤيد ان أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي اخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ بحيت وليس فيه كلمة تشعير باتقاد الشيخ بحيت وانظر ما كتبه هو الى المؤيد فاننا ننشره لمسا فيه من العبارة في اللفظ والفحوى ' وكثرة الادب وقلة الدعوى ' ولقائده تذكر بعد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الاغر سعادتنا أنفتم حضر تلمي صاحب المؤيد ارجو نشر ما يلي بجزءة المؤيد اظهارا للحقيقة ودفعًا لما افترى به علينا ونشرتموه بها
قد رأيت بعدد ٤٩٥٦ و ٤٩٥٧ من جريدة المؤيد ان صاحب مجلة المنار قد ادعى اني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقا تحت امضاء (ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف الى غيرها من دعاويه علينا وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم اني خبرته بأن كاتب الرسالة المذكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت المنكبوت على ذلك
وحيث أنه يجوز أن يكون المبغضين اليا قد افترى ذلك علينا ليشوه وجهه الحقيقة الساطعة بربدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأن الله الا أن يتم نوره
ويمكن المؤيد أن يراجع الحقيقة ليعلم اني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه لم يسبق لي اني كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها حذرا لتلك المقررات . ولو اني
كتبت اواكتب الى جريدة لكتبت باضائي وحاشا أن أكتب بامضاء مجهول مستشار
فاني ممن يعتقد أن التعجيل جمالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل
ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وفضنا الله للصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

بيده العصمة وتمام المنه والنسمة
كتبه محمد بن محمد المطيعي

الحفي بالأزهر

(المنار) كنت أتمنى لو يعلم الشيخ بنحيت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض الأفراد والاسلوب الذي اكتبه
من المحكمة ولكنهم لم يهتموا الى متعلق « حيث وحيث » في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المفضين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرية
هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومحالسه في شأن الكتابة في الجرائد نقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وهما نحن أولاء نراه كتب
في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هاتون (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن
منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية . وأغلاط الكتاب ﴾

وعندنا في الجزء الماضي ان تبين شيئا مما خالف القياس فيه جبراً فندي ضومط تساهلاً في القياس وحبا في سمته لاجهلاً ولا ضعفاً في اللغة وفنوها واننا نقول قبل ان نورد ما لامندوحة لنا عن ابراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام جميع كتاب العصر الذي نطلع عليه ولا أستغني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في التحرير والتصحيح وأنا أقرّ بانني كثيراً ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف الطبع واكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامة أو جمع غير قياسي أو تمديد فعل عالم تعد به المسرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأ كل يوم فيعلق منه بأذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعترض بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأني لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط الفاشية وهو من يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يعيد اليه النظر أو يقرأ منه سطراً ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فانه يشغل صاحبه عن كل ماعداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه كلها توجهت الى النظر في صور الكلام ومحاولة تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال الذي يراد تصحيحه عنه

أقول انني لم أسلم من الغلط ولم أر أحداً من كتاب العصر سلم منه ولكن أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلطهم جداً حتى ان العالم النقاد ليقرأ لاحد من عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهؤلاء قليلون في كتابنا اليوم وأكثر من لا يقرأ لاحد من بضعة أسطر الا ويثر ذهنك بغلطة ويرتاب فهمك عند جملة ولا أرى من الصواب اضاعة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطولين ، هو الذي يحمي اللغة ويرقي بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومساثلها فاذا قام بهذا قوم وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدى بها العلوم ولكن جبر

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارئ وإن مزج بالانفاط العامة التي ليست من اللغة وبالاغلاط النحوية وأبقى من أساليب العرب وهذا هو ما ننتقده عليه ونقول أنه يجب على كل كاتب أن ينبس أئمة اللغة وفنونها فيما قرره فلا يقيس على الساعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامة المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل تصحيحه. ذلك أن التساهل وترك الامور فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجري الجهلاء والضعفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم وبشي همة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط أن هذا التساهل ما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وإنما نريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يهكاد بسلم منه أحد منا لئيبين أنه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه أن جل ما يرونه فيها خطأ براه هو صواباً فهو لم يأنه عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحريير مسائلها والجزم بأنه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد إلا أنه خالف القياس المعروف لمحض التساهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما ذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتمدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم تخل من توسع في افادة المعنى المراد هو مما يعهد في المواضع بل لو قال (القصود في كد ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يمد الفعل بما لا يتمدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لأول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تسكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسرنا به فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعل ولكنه التساهل الذي اتخذ مذهباً

ومن مخالفة القياس في مقالاته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتعجم فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تعجم عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تعجم الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتعجما أو تعجمها بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولاً الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانياً الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلاً في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير معهود في الكلام العربي الصحيح أو النصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه اكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضعه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واتي أجزم بأنه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التي لا تنكاد تنطبق على قاعدته فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبنجاري وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالعطف كقوله « واكثر كتبنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا نخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لا فائدة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزاً وقد استعمل المناطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج عن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صيف الاحرف » وكلمة صيف لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عامياً ولا هي من الكلمات التي لا توجد في العربية ما يعني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصريين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جميع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) «مقاسة» والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) بصوغ بالصاد
وأما الالفاظ التي صححها وتحلل لجعلها قياسية فلا حاجة الى استعمال تكاتفوا
منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : ان وضع
الكثف للكثف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر
للظهر : فيه نظر اذ لا نسلم ان معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره الى ظهر
الآخر والاظهر ان معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المبين والقوي
الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد
عليه في الاعانة سمي المبين ظهيرا . ويجوز ان يكون من المظاهرة بين الثورين
ونحوها أي المطابقة بينهما لان المظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حاية
الظهر وهو معهود عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام
من حيث يمنع كل من كان عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في
التعاون . ومن ماشاك كثفا الى كثف لا يفهم من ماشااته لك انه يمنع عنك
وبعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الآكل أو العشيرة غير
ظاهر فان العاقلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدية عن
القاتل من عشيرتها فاذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأمنهم
يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنقطة : وأما المتفق هنا واحد وهو العائل
والمتفق عليهم هم الجماعة أي المبال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل ان
الكلمة منحرفة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب العوام لم يكن بعيدا

هذا ما يأتي به التساهل وهو اذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه
فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا المصنف فاذا نقول في
كتابة جماهير المعاصرين الذين لا نكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية
على ان منه ما لا يفهم منه الفرض المجهل الا بمعونة القرائن . فاذا كان صديقتنا
بجمل المهار في جيد الكتابة ورديثها فهم القارىء فعليه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالهرية الصحيحة المدونة المقررة دون العامة التي تختلف باختلاف البلاد. فإذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لا مثال هو لا بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وإنما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأسايلها - الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سماعي ولكنني لأجيز نفسي الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكون دولة عظيمة من قبائل العرب وأنه يحله و يؤدي له ما يستحقه من التعظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تبجيحه والظعن فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلماً يسار به أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فبندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير مائروا عليه ونشئوا فيه من كراهية

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم نصر عليه فضاء فان هوفضه تعمس عليه محو أثره وان هونزع ربة التقليد ، وأوى الى دكن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية . تؤيد ذلك الشيء المصلحة سياسية ، وهذا هو الامر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتملب وشرهم في السكب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لا يكاد يقع بها الا على ما يمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا ككل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقبيل ما هم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم والعمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مراراً

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضميمة واستنباط الامر الدكلي من أمر جزئي واحد واختراع المال والاسباب للحوادث بمجرد الرأسية والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها الفورية والشرعية لانهم لا يتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة الماهرة حتى يبرز على كثير من تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلاً من أعلم المستشرقين بالمرية وأدقهم فهمها لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فاذكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطلاح عليه المحدثون والفقهاء وإنما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في السمل فهذه هي التي لا محيص

عنها لأنها لا تشمل التأويل ولا القال والقال وأما الأحاديث القولية فإن التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نبلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : إنما قتله من أخرجه : يعني عليا فقال علي إذا ما قتل حمزة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قويمهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق وجملة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فبالكثير المنصف وغير المتقن . وسنرى فيما نلقده على الدكتور مرجليوت أن السبب في أكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهوا من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم وانا نبدأ بخير قوله وأقربيه من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه بعد النبي محمداً من أعظم الرجال الخ وما عده له من المسائر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تعاد الحرب وتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

وما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشمر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمهما ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن ما يور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه وظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كانت يوصف بالصدق والامانة وأحسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بن لقومه بياناً مؤكداً ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئٍ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عدماً أمراً ذا بال وأنشأ لها صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣:٥٥) الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذلك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرته الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوءها بنقيض الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضاً عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتغلب عليهم حيواتهم فيفتروا بعضهم بعضاً

وبما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحار في تعليله على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ما قاله في ص ٦٣ ايضاً وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار فعجز عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الحكمة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان الله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص الهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والانتقاع في وسط السبيل

ومما حار في تعليقه وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبذه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيد اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطاة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فإنه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وقاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : وقول ان أمر النبوة لم يكن يمثل هذا العمل والتدبير والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا أنه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سو الان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أنت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما محقت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الروايات من الناس من يخترع الآلات البخارية : ونقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يمكن استخدامها للرفع والدفع مثلام يمتد الى استخدامها في تسير المراكب البحرية والبحرية ونحو ذلك وانما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبني فيه اللاحقون على ما وضعه السابقون والنبي ادعى النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

وشرعية وأمة أحدثت مبادئه دولة قوية ومدنية راقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
اسرائيل : ونقول ان هذا ينافي ما زعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن
فكر وتدبير وأنه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحى من الله
وما أعياء تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بد أنه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعطل بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحى والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافياً لانقضاءهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

وما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتمثيل
الذي لم تجرمه أور بالاحديث : ونقول أنها وان حرمت في بلاده لان الامة قويت
على السلطة فيها فهي تبيحه أحياناً في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسند كرهه مؤذجا من خطأ في تاريخ
الحوادث وبيان تعليلها وأسبابها

فَتَبَيَّنَ الْمُبْتَلَى

فتبين هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيقته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً ورماعاً من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . ولان
بعض على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة قال لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقفله

﴿سؤال من احد علماء تونس عمت بها البلوى﴾

(بيع الدين بالتقدي والاراق المالية)

(ص ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد التقدين

أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصاً في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه يبيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صورته الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولعل احتياج الى ذلك أن يأخذ مأخذاً من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء. وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به أن ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع النظام والتعظيم بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام لأن تكون برضى المبيعون بمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بنفسه ومعنى بطلان البيع أن فيه ظماً لأحد المتبايعين وحكمه أن لا ينفذ إلا إذا رضي المظلوم فإذا أراد فسخه جاز له ذلك. مثال ذلك بيع حمل الحيوان نهبي عنه لأنه غرر فإذا اشترت ما في بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتاً ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضياً مختاراً ولولوا فقة العرف فإن الله تعالى لا يماقبه على أكله. ههنا ما كنت أعتقد في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولاً لأحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ولا شك أن من يبيع دينه لا يكون ظالماً لأحد ولا آكل مالاً بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون محرم ذلك عليه ظلاً له لأن الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌّ به وهذا وإن الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما إذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿الاوراق المالية تقود﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقداً أو عرضاً أو شيئاً آخر غيرها
(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فمن ملك ورقة من ورق البنك الأهلي

في مصر مثلاً كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لأن الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والعقهاء يعدون هذا الورق كوثيقة الدين (المحلل بأحد النقيدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلل بأحد النقيدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الأجانب (لنا في التجارة والتفاح روتنا إذا أبيع لهم ذلك ولم يبيع لنا)

(ج) المحلل بالذهب والفضة لا يعد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء بيع المحلل بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب إلى الربا من بيع المحلل . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين مانعه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ما تدعو إليه الحاجة كالعرايا (١) فإن ما حرم سداً فلهذه رمة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية إن كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغر جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فإنه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالآتمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما إن كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيع من حلية السلاح وغيرها فالماقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فإنه سفه واضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الأمة بذلك فالشريعة لا تأثم به ولا تأثم بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس إليه فلم يبق الآن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كالقد ولكن الشارع أباحه للحاجة إليه لأن صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتري به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البته بل يبيها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشتررون به ما يحتاجون اليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه بغير وشعير وثياب وتسكيف الاستصناع لكل من احتاج اليه اما متعسرا أو متعسرا والحيل باطلة في الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة الى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة الى بيعه وشرائه فلم يبق الاجواز بيعه كما تباع السلع فلو لم يحجز بيعه بالدرهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص العام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فان لفظ النصوص في الموضوعين قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانير كقوله الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير وفي الزكاة قوله « في الرقعة ربع العشر » والرقعة هي الورق وهي الدرهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فان حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الرأبا في التقدين وايضا بالزكاة فيما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداها بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الرأبا في بعض صورته لافي كلها وفي هذا لوفية الادلة حقها وليس فيه مخالفة لدليل بشيء منها

يوضحه ان الحلية المباحة صارت في الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الرأبا بينها وبين الأثمان كما لا يجري بين الأثمان وبين سائر السلع وان كانت من غير جنسها فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا يجوز في بيعها بجنسها ولا بدخلها : إما ان يقتضي وإما ان تربي : (١) الا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب ان هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكلي الرأبا الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لاحد دين مؤجل على آخر فاذا جاء الاجل قالها له ومناها اما أن تعطيني الدين واما ان تزيد فيه لاجل الإئساء والتأخير في الاجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
 بوضحة أن الناس على عهد نبينهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
 النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيا
 المحاو ويجوز يعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فإنه سفه ومعلوم أن مثل
 الحلقة والخاتم والفتحة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلويس يتعاملون بها وهم كانوا
 أتقى لله وأقرب في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الخيل أو يملوها الناس
 بوضحة أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الخلي إلا بغير
 جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم إنما هو في الصرف
 بوضحة أن تحريم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
 سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجعة كما أبيعحت المسايا من ربا الفضل وكما
 أبيعحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيع النظر للغائب
 والشاهد والطيب والمامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرير
 على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيع منه ما تدعو
 إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
 وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة
 فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
 بالحيل والحل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
 المباحة المتقومة بالأمان في الغصوب وغيرها وإذا كان أرباب التحيل يجوزون
 بيع عشرة بخمسة عشر في خرقه تساوي فساداً ويقولون الخسة في مقابلة الخرقه
 فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
 السكالة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلاً ورحمة وجلالة بإباحة هذا
 وتحريم ذاك وهل هذا إلا عكس المعتقد والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
 العجب مباغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل
 زيت وحرّموا بيع الكست بالمسمم وبيع النشا بالحنطة وبيع الخلل بالزبيب ونحو
 ذلك وحرّموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحيل

عليه كل باب فتارة بالهبة وتارة بالمحال وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلعون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده ووجهه بيع خمسة عشر مؤجلة عشرة نقدا ليس إلا ودخول السلامة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بخنا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بخبطها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية. وإذا حصص الحق قليلاً للمتعصب الجاهل ماشاء وبالله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قبلت بها لجاز بيع الفضه الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما بطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالاثمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لا أثر لها فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع يحكمته وعده لمنع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى نقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والمعاقل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المعاوضة عليها معه يوضحه ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه وأخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة وأتركها ولا تقول له تحمّل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لاتبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هذا لفظ يبيّن الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئاً من الأشياء بجنسه
فإن قيل فهب أن هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير
المطلوبة إذا بيعت بالسبائك مفاضلاً وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب
قبل هذا سؤال وارد قوي وجوابه أن السكة لا تتم في الصياغة المصلحة العامة المقصودة
منها فإن السلطان يضر بها لمصلحة الناس العامة فإن كان الضارب يضرها بأجرة فإن
القصد بها أن يكون معياراً للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة
في العرف ولو قبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت
لأجلها واتخذها الناس ساعة واحتاجت إلى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام
الدرهم من كل وجه وإذا أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك
ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافاً ويرد خمسين ثقلاً بوزنها ولا يأبى ذلك
الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ
والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضر بواحد أو أول من ضربها
في الإسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه
الرخص للمسافر في السكك الحديدية»

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر
وبين المغرب والعشاء إن سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه
لا يصل إلا بعد خروج الوقت ولا سبيل له إلى الصلاة في أثناء السفر أم لا بد
من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لأن الشارع
لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه .
على أن رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فإن
النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة
كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم
ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعليق ذلك «لئلا يخرج أمته» فلم أن
ذلك رخصة مطلقة تؤتى عند الحاجة إليها

باب الترجمة في التعليل

المكتوب السابع من أميل الى أمه
في ابتداء العشق وغرور الشاب بالمعشوقة

عن ن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فأني قد خدعت نفسي ولا حق لي
في الشكوى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا
وعدتني الصديق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل
والتكريم تفضلت قفيلت مني اعتباراً صنوف اجلائي ودلائل اعظامي وقد كان
هذا منها لي تشريعاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها أن أهمها بخياني فانه
لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

على اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت
كاذباً فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل
لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين
انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام
وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيّل
له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في
البرية من يبلغ مبلغها في الحياة أو ليس الحسن الاتقيا لتناق وأقول انها لشدة
ماسخرت مني لسلامة نيتي وسرعة تصديقي ٠٠٠٠ واحس بقشعريرة القيرة
تدب في جسدي حتى تبلغ نخاع عظامي.

وأول يوم قامت بنفسي فيه الرّيب على صدقها فررت من المدينة هائماً على
وجهي كالجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بصري في مسيري مشاهدجة
من سابل الخطئة المدركة، والقنابر المفردة، وما في الهوا امن الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في التورية

وجدا وحبا والكفور والطواحين التي تنكشف للرأي في أمكنة مختلفة من خلال
حجب الأشجار وقد مزقتها يد الريح ، وخرير الماء المتدفق من نياحية المتعجة تحت
الحضرة والديكة المتقطعة المنطردة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في
كبد السماء ، وامرأب المصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر
التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلقني عن هذه الفكرة
الثابتة في ذهني وهي أنها تنقشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبها يسري وجدران
البيوت كأنه ظل فلما بلغ منقلب الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأراني
أنه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل حقلان على يديها وألست أدري تمام الدراية لماذا خطر
بفكري لويتها أنها خدعتني ثم هربت وسألت نفسي سوألا محقق هل تقسم
النساء في هذه الايام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه
الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة
فكلما كانت تمر على نور مصباح كنت اخالني أقرأ في وجهها خاطر الاتجار وقد
كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال
البر وما عثمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى
فناء نكتشفه اطلال دارسة وفي دكن من هذا الفناء بئر سدت فوهتها بغطاء غليظ
من خشب مسوس مشقق فرفعت الغطاء بأحدى يديها المارتين وانكأت برقعها
عن فم البئر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انقلت
القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفتاة المتوحل وكنت اذذاك
مختفيا خلف جزء من جدار أسمع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لا في لم يكن بقي عندي
و يبتني أنها قد صممت على الاتجار وكنت أقول في نفسي : أقل ما في الامر اني هاهنا
لا منعها منه وما كنت أحسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رؤيتها لمن
شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فيمد ان تروت هنية كان جبينها الكئيب في
اثناها مسرح الافعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهيمت بكلمات مبهمه وهي
نهر رأسها ثم هزلت داخله أحد الاكواخ الحقيمة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنحية نفس من الموت كانت تؤمن بالحب ثم اضطرت الى الكفر به ولمنه كافي بك تساليني كيف ظهر لك انك ألهموبة لهوى امرأة طائشة اجيرة فاستأذنتك في نزهتك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بأنها كانت تعرض طالين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا يقطع النظر عن أمير ورتمبورغي (١) يقال أنها تحبه لئلا هفليت شعري هل أبصر أحدني حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همأيت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيلينا: «أيتها المرأة اسمك الخور فإن اسم صاحبي هو الكذب والمكر والنش». هذا هو التمثال الذي بخبرته يخور أمانتي وجعلت له بين الآلهات العفيفات مكانا وكنت أتمنى لو دنت مني الكواكب فأنزعته من نظامها وانظمت له منها أكيلا. على ان لي أمرا يسلميني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوبي به

فاعلمي يا أماء أنه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيئي انسا كانت سوء حكم لا ارتكبا لشي من الحنا ولكن هذا لا يقلل من استحقاق لعفوك فاغفري لولدك هفوته حتى يمكنه ان يغفرها لنفسه. اه

﴿المكتوب الآمن من هيلانه الى اميل﴾

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب النفي هو الذي يهدينا سبيل الرشاد وان ما نعرفه من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تأملت منه خطاثرنا بأن لنا

(١) ورتمبورغي نسبة الى ورتمبورغ إحدى ولايات المانيا (٢) هلميت هو أمير جوتلاند الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثأر أبيه الذي قتله أخوه بالسهم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاند شبه جزيرة بالدينمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كل ما نتعلم
 لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحاشي كل التحامي ان أعيب سيرتك فيها لانك
 قد عبتا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من انصائح قبل
 ختامها المحزن ليساوي ما وعظمتك به تجربتك الذاتية ان في أمور الكون لمصدلا
 وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلد الخيلة الانسان
 ان تربتها بالالوان المموهة وتغشيها بالاستار الحاجبة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا
 على اني ان لم أقر لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
 والحيرة كنت قد كنتك بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطبيب عنصرك
 وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تسفل
 لارتكاب دينية ما ولكنني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
 وجهات العجب المفتون وأما في البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
 الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
 الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
 لا تتخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المبهجة كما جعلت الخور
 المثبتة للسكيرين

تراهم يذلون من الهمة والنشاط في تحصيل القبضة أكثر مما يلزم وهم مع
 هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
 اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
 لتدل على خلوهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصفة صاف الجوفاء التي
 تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها تمتعن قلوبها لم يبق لها حياة
 الا في قشورها

ان الامم التي لا تجيل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهم غير جذيرة بالحرية
 يدلك على ذلك أن مصور الاستعباد والمخطاط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
 والانهماك في الرذائل فاذا زالت هبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
 بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأربأ بنفسك عن هذه الرذيلة (١) فلا مقرر لك فيها
 اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما يخيلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجعلوها مناظرا لحيهم وهو قريب المنازل حاضر بين أيديهم . ارى انك فوق حنقك
 على من غرتك نادى على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك تجدي قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من ازالك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلما تمام التكر وان مثلها الظاهر ليسري سر بان الشعاع
 فوق كتابك اذا فتحت لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تود لوتساهد معها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغاريده وهي التي ينطبق عليها ما تخيله
 من معنى الفضيلة وتود من اجلها لو تكون افضل الفضلاء فذلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
 على طلب الخير وعلى ان يقتضي الحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تر بصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لوئت شفتيك بالكذب
 والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كاتى ثروى في القصص ازدادت لذته وكثرا لا يحتاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يقنيه عن زخارف الخيال . ان افلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تغزل أو تخطب بجانب المصطفى ثم يمسح رءوس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينكر في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 المردار الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي الالهة من الالهات الحب الجديدة
الشباب هوسن الاماني والاحلام وطور الخيالات والاهام ثم ان كثرة المطالعة
لاثرة لها في اغلب الاحيان الا افساد حكم القلب على ان الحب في غاية النقي عن
القصص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشداه استقلالاً فويل لمن لا يعشق ويثوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وههنا اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل تعمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومقابلة
مالاثرة من انواع الميل الاعى وبلوغ ما الانسان من الشرف يفيد المرأة التي ستحبها
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا بعد منك في حقها كثيرا اذا كان بهك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لمرضك
حاشية : فاني ان أخبرك بأن « لولا » تعلم الطب من أجل أن تقبلها جمية
الطبيبات بلوندره في عدادهن وكلنا نحبك ١٥

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تريته بمد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقة وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاءة

أنا عبد الله بن عبد الله

﴿ التفريط ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدي افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
ينفع به ان شاء الله الخاصي والعام ، فإيا قرائه ينفع بالثواب المتهي ، وتبعه

ينفع في دينه المبتي « ونقول ان موضوع الكتاب مما يفيد المبتدين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؟ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا . مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) « وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ومعنى ذلك الوجدان ان استدلال العقل وتسليط فهم القلب على ما يسكن اليه الحاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطعة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يقفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لانهم لا يقولون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الأدلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب بطلق سيف لفة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستماليين بغير أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأييد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية بـبراهين قاطعة وجعل تيجتها الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده انما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بنفلة الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فإذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل ينشأ منه ما ينمى به المصنف، اذ قال

« ويان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الحاطرونشأه الحب وزفرة البنض ووارد الرأي وطمسمة
الفكر والحرص والزهد والحدق والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القلبية
التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخسة: الشامة والباصرة
والسامة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منك وجودها وغير
مدركة كيفيتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أهلا
تبصرون) فاذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات
المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و - و - فهناك لا بد ان يعظم مولاه
ويقول أشهد ان لا اله الا الله » الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه السكامة
صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضا منه في نفسه
وفي الموضوع الذي دس فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار
الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى عليه وسلم مد يده من قبره الشريف
حتى خرجت الى المسجد فقبلها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ
ابي المهدي غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه
يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل
البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام
محمد المهدي المنتظر

فلي نظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلمها من رأي مؤلف هذا
الكتاب ؟ نرى المتخرجين في مدارس الاساتذة اكثرهم ماديون ونرى مدارس
مصر قريبة منها ونرى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام
قد تمحجر من شدة الجلود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دونت بها في
الكتب ثم نجد فيها من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فماذا
هذا الخلف العظيم



بَابُ الْحِكْمَةِ فِي الْأَمْرِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس
 ميل للاصلاح وان هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس
 يظنون ان العقبة الكؤود في طريق الاصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين
 الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالمملوك والامراء واعتقادهم كغيرهم ان
 الاصلاح انما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجها والكبراء الذين رسخ في
 نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن
 العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الاصلاح ويأخون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا
 بهم وتبين لأهل البصرة ان القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هو النور
 الذي هدى علماء فارس الى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية الا بالعلم
 الصحيح ولا علم الا بالاجتهاد فالاجتهاد أقرب الى الهدى وان ضاقت دائرة
 اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وان اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي
 فإنه لا يصد عن الاصلاح اذا عقل طلابه ، يقولون لأن يجدنا المهدي أقوياء
 صالحين خير من أن نجدنا ضعفاء فاسدين (كما ينأ ذلك في كتاب الحكمة الشرعية)
 رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الاسلامية فأمر
 بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهناك الملك بذلك
 ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان
 أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين واتي أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي
 أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي ان كتاب الله تعالى جعل أسرار
 المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم
 بغير ما أنزل الله فلا يجوز ان يسمى اسلامياً فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

(المآزج ٧) (٧٠) (المجلد التاسع)

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يمحى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لاحكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سنّي وهو مخالف له

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البيئية في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجهه مركز ديروط الوجهية فاخط بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم الصلوم الازهرية وكتساباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطالبات وعلى المعلمين والمعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعاً للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيراً ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقصى الزمان على ما شرط ولوشنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيراً من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال بمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسيوط ومحمود باشا سلمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدء الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الارواح وحياة الارض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الازهر خطبة قال انه يتكلم بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجداً ولو كحفص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير الفحص والنسكة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الاوفى وختم كلامه بالدعاء لسلطان وللخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القاتلين من المصريين وقلة الماملين وبين انه لا يرجي ان يعود الى مصر مجدداً السابق الا اذا كثروا الماملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والامير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا مبال الى الادبيات وأسمنى لنفسه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصعيدي فتكلم عن تأثير العلم في مدنية اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

وأطرأه ومنح السلطان والخديوي ، وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئا للخطابة
فقال ضيق الوقت دون تلاوتها ، وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب
فارتجل خطابا وعي كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت
بقراءته فيه ما كنت ناسيا منه وبعض ما نسبته المكاتب فأنا أنشر هنا لمنخص ذلك وهو
اننا نحتفل اليوم بعمل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول
كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به
القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الاساس الذي نبي عليه مجد
الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة
وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثير الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع
شعوب الارض في كل شيء ، وكثير القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف
العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود
المايلين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم .
اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جرائم
الحياة ما يكفي لانعاشنا وإيقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة .
قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذاكرت الوطنيين في مسألة
الا ورأيت فهمهم فيها كفهمننا فالظاهر انه لافرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد
وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا ونذرهم فيكم
ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على
أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معاملته
وما عاد ملكا للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة
وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان
بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك
من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لاترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لايقوم فيه عمل عظيم الا بالمسال فالبذل فيه يعد بمثابة الفتح والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي بهم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحيدة التي بهم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالاعمال النافعة للامم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقندي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي منها لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كوجوده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في اشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فإن المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صواباً ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان لتعليم الديني لاجابة اليه بالمرّة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يلقى

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزدوا أمتهم الا خبالا وبلادهم الا خرابا لأنهم لاهم لهم الا اللذات الحيوانية والمخروط الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية ردينا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد

التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تهرق النفوس وتقتل الجرائم والفواحش ويهدر سلب الاموال ونهش الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمودة في الناس. قد يقال إن هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخبر الناقص لافي ازالته من الوجود بالمرّة. ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا. ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان السكالم يمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للرفق الى تعليم أعلى منه لا يرتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للسكالم أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد. نحن في أشد الحاجة الى تعميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجمعه وسيلة لما فوقه. وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان. ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الديني يسيئ في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال يمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر. فان احتفالا يحجب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الامة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره ولا شهادة فعلية بنفسه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . وإذا كان المحتفل يزوي باحتفاله الترخيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحسب الثناء على أن حب الثناء في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل

ثم ختمنا القول بمبحث الأغنياء على الاعمال النافعة للامة والدعاء باصلاح الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الامة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به وبقومه وبعد أن قتل صار ولده متعبد أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال له المدوره يبعد عن حائل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعبد للحصار وضافت عليه الدنيا لأن بلده ليس فيها من القوات ما يقنياها عما يأتيها من العراق فتوصل بابن عون باشا شيخ الزبير بن يوسط ابن صباح شيخ الكويت في الصلح بينه وبين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحنة فأكرم ابن صباح وفادته وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعبد بن الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي شيء تم ذلك الصلح ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم بين ابن السعود والدولة قد عينت ساعي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في النسيحة مع المساكن المنظمة التي هناك (والنسيحة قرية من قرى القصيم) وكان متعبد ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة وناظره أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه. ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقى في البكيرية من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد. جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والمسكر في قصر يريده وقصر عزيزه ويكون هو احاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود انتا خاضعون لأمر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت لم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فمن لا ترضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي . فلا قبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فانا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فانا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رغبة عنا ولا نثك في أنه يرجع ولا يكافنا ما يشق علينا ولا تحمل طيبة بلادنا . وواقعة الشيوخ على ذلك . وقد أتى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يرض به فاستاء واقرقا مفضيين

ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثر الاعتداء على المساكين بالاندياء والنهب والسرقة فلما أعيام أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حاية المسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والفسوسة ومن مدح خصه في وجهه فاجابه انك أنت والمسكر ماجثم الالحاميتنا فكيف تطلبون منا أن نحكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الاقامة هناك مع مناوأته والتكبر عليه لأن له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن المسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب



المسحاة

١٣١٥

بقرى الحكمة من يشاهد من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

بقرى جادي الذين يستسوف القول فيقومون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوتاً و«متاراً» كمتار الطريق

﴿مصر - شعبان سنة ١٣٣٤ - أوله ١٩ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦﴾

خطا العقلاء

من مقالات الأستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالمرايين
 كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١
 ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا اُكثروا من دراسة الفنون الادبية
 ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جلية وتنبعث في
 نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الفاية التي ينبغي ان يكون العالم
 عليها وأكونهم اكتبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والاخبار
 ومعايشة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي
 وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتأملها على مقتضى ما علموه هو
 أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من
 أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلبا حائثا ان يكونوا على
 مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان
 كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصا مسدودين ويظنون ان
 أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدفاتر ووضعوا أصولا
 وقواعد لسير الامة بتأملها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى
 أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحويل الاخلاق وليس بين غاية النقص
 والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي تحدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات
 وإنهم وان كانوا أصابوا طرقا من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته
 وارتفاع الهممة وانبعاث الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيما من حيث انهم لم
 يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يجتنبوا قابلية
 الاذهان واستعدادات الطباع للانقياد الى نصائحهم واقفاء آثارها ولو أنهم
 درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته
 الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لموا ان الامم في أحوالها العمومية كالاشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الامة مثلا الا مجموع أفرادها وليس حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا مجموع أحوالها انفرادا

فعلى من يريد كمال امة بنماها ان يقيس ذلك بكمال كل فرد منها ويسلك في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها لتكديل الواحد هل يسهل على صاحب الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة المطالعات ؟ كلا بل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال ذلك محتاج الى ان يمحصر أحواله ويقيدها بقيود من الترهيب والترهيب وان يراقب حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد منها فان اخل شيئا من الترتيب في التعليم بأن قدم الأصعب على الأسهل مثلا أو اهل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاتعاب سدى واستحال صيرورة حال ذلك الشخص ممثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحوية هل يمكنه ان يبذلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كالأب الذي تمكن في العقل أزمانا لا يهتار به الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد أولا في ازالة الشبه التي تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بمباراة واحدة ولكن بمبارات مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المثال والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخري برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر بنفسه. تلك هي الحالة المشهورة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يباشر ولا يتخاطب في خلال تلمذه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يتخاطب غيره ممن يريد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد واظن (أن) هذا يستوفى به كل من مارس الاخلاق والعادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا اردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه سهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه أو صافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الأمم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجبالة ان تكلف الأمة بالسير على ما لا تعترف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يتقبله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تعديلات فيها لا تبعد منها بالمرة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرق بالدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انغلخوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرق وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كفوا من العمل ما لم يهدوه أو خولوا من السلطة ما لم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير خلفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أنس منها بحكم الاستعداد القاضى عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحربة التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شا كل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتنشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بينها لافغانستان مثلاً حال كونها على ما نعهد من الخشونة فإنه لو
فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي رأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن يتخبوا مائة
نائب مثلاً رأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فربما ينتخبون
آلآفاً مؤلفة ثم لا ينهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند
انتخابه الأول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً
منها ثم يقع المهرج بين الرؤساء وهكذا حال الاسم التي تعودت على أن يكون
زمامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدبر أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية
مصلحتها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والا فسدت فإذا أردنا
إبلاغ الأفغان مثلاً إلى درجة أمريكا فلا بد من قرون بُث فيها العلوم وتهذب
العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد
ما يسمى بالرأي القومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا
ويضعها هل الشخص الذي توارث الموائد عن آباءه وأجداده ومن عليها
من مهده إلى كهوله وتعود تفويض مصلحته إلى إرادة غيره يصبح إن يطلب
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك. ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم
يفكر فيها أن هذا خطأ ظاهراً

ولكون أرباب الأفكار من يرومون أن تكون بلادنا وهي كبلاد أوروبا
وهي لا ينجمون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح
ويضرون البلاد بحمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن
قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم
على حالهم القديم وكان هم امكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير
البلاد فلا يسعى إلا في اتقان التربة وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه إن كان
طالماً حقاً بدون اتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقديمها ونقلها من حالة الممجية (على ما يزعم) إلى حالة المدن التي عليها أبناء الأمم المتقدمة وجعلوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لعاداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما تلك الماديات وتلقينا تلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتدوا مثلها أو قريبا منها ليرقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد مائة أتاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيرت أخلاقهم ونبتت الضرورات أفكارهم وهذبت الميالات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوروبي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علفتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالا وطمحت أنظارهم لمقابلتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم اتساعا وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كان الفتي والعزم مستركا أقطارهم فاخذ أهالي أوربا عند ذلك في تقليدكم لكن لافي البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوها من وجوه الكسب فكان ذلك أساسا للعمل وقدر في النفوس وثبت في العقول ونبوا عليه ما شاهدوا ولو تأملنا تاريخ سيرة التقدم الأوروبي لرأينا

أسباب التقدم يجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب وفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التضاض والتعاون على ترويج وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمعاهدات وتأنف له الجمعيات فكان جرئومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب العقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك القييدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغير جميع العوائد والمنابر والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناءهم من بدم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والآهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلغتهم العقلاء اليها لكن لا بتحريك غيرهم الى العمل اختيارا أو الجأهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتعدنة ويشهدوا عاداتها وأحوالها ويستمعوا منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وتري عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويتفكرون فيما لا يعقل فسادوا ويتناأبنة وزينوها بما لم تكن فمدهم من أنواع الزينة وطبوا اليها من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مغبره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه وروايتهم يترنون بهذه الطلائف التي تذهب الحزن وتشرح الحواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فيها رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب ما دأبوا عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية ويجوبد وضما واقتان ترتيبها وتزين بواطنها وظواهرها والتوسيع في لوازم المأكل والمشرب وآلاتها وأوانيها والفنن فيها وجلبها هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجاب للأفس والتألق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاولة ان تكون على النمط الاعلا عديم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة بما غلا عنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد ساكنا مسالك المتمدنين في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الاتفاق وصار الناظر لآبائنا ومساكننا والقائق لمطامعنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال المتمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لرويح النفس وتخفيف أعبائها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستمداد (أي بأن تكون أوزة) فخبست نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وتمزقت منها ما تمزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي فطننا فوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الدرف والنعم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل بوجوب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى واشرة والراحة المستتمة لذرة الحقيقة والنعم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح اشرة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أغني الاحساس بوجوه اللذائذ والآلام والتشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الام التمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا
أبواب اللذات مفتحة قبل ان يمجّدوا عقلاً يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم
كل ذلك نشأ من جلب تلك الموائد الترفيية الى بلادنا وطلب التحلي بها
بدون ان نحوز ما يوصلنا اليها من أقدسا وليتنا قبل ان نشيد بيوتنا بالارتفاع
الشاهق والترتيب المحكم ونزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على
بساطتها وشيدنا في عقولنا الهم الرفيع والحمة التي لا تمتد اليها الايدي وأحكنا
طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ
عطينا ما وجدنا وتجذب اليها ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من
رحمة بالضعفاء ورفق بالمهوفين وغيره على البلاد وأتفة عن الضفار

لعمرك لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان
العالم بأسره ينظر اليها نظر الراهب الخائف أو برمقنا بالخط العظيم المبجل وكانت
معيشتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلاً لو ان الراحين
فيها حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحججونا عن النهايات حتى لا نراها
الا من أنفسنا فطلبها لانها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر ونتيجته وكانوا
يعلموننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لافي زوائدها فكنا بذلك نصل الى
ما وصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي قالوا فيه ما قالوا لكن فأت الوقت
ونحن الآن فيه فطينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد العمل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين
لا يعملون للحققة غاية الوجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما
خلقت لهم يستعملونها كيف يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية
وشرقية) فارغموا أنف الطبيعة ونحو أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس
جهاده ففهم منافهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصيناً بين كل شخص ومنافه

فامتثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته معقودة بغضب ذاك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى يبلغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضرة بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للأمر عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصمد بها تاريخ هذه البلاد اجيالا كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فثبت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمرّة

وكان من جملة التقييدات العنيفة التي وضعها أولئك المتسلطون المحر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقتوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطة على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجباغ على فسق كفحش بالنساء أو شرب للسكرات وما شاكل هذا فان وجدوا شيئا من ذلك ساقوا من مجدهونه الى حيث يستوفي عقابا أليما وكذلك وضعوا في الافواه لجاما من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقة أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه لكل ذلك سمنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالبيان

فذلك كانت حالة تعيسة يجب على عقلائنا ان يتحملوا كل وسيلة لتخليص رقاب الصباد منها فزرّق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتعددة وطالعوا أحوالها ورأوا ماعليه أهلها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتعددة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (مأقبحهما من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بارادته و يتكلم فيها هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره و شرطوا في ذلك شرطاً (ما أنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الجيوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية و نادوا بها على الاسنة الظالة فكان حاصل تلك الحرية ان لاجناح على من ارتكب أي جريمة و تطيع باي خلق حسنا كان أو سيئا وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً و انما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضى منه مسلوباً أيأ كان فلم يجملوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالتأتون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه و جعلوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقدروا الامم المتقدمة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الناتجة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح و ظلم لن كانوا متعددين هذا التشديد ثم أنهم قلدها في الاحوال الجزئية الشخصية مع عظمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات و هتكوا حرمة الوقار و نهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يلفه الاوربيون في بلادهم الباردة و كثرت لذلك الحانات و مخازن الشراب المهلك للقول والابدان ثم تولموا بما يتبع السكر من الهو واللب و تنافسوا في الخطوة عند النساء الباغيات و اتسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرقات والشوارع وتسدى ذلك المرض الممدي الى المراثي فذهب الكثير منهم الى حيث يبتغون و انقضت بذلك بيوت شريفة و كمالطبت لذلك منعاً أو رمت له دفعا قال المولى هذه حرية فضاخ شأن الآداب و انحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات ينساقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) و يصرفون فيها مالا بقدر من التقود (و سأجمل لذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه نتائج حرية ذلك السل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خف من صوتك واجعل في قولك فما كل الناس يرضاه قال انا في زمان الحرية على ان افكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشريه لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها ليجز عن التعبير والنجا الى التهموس ورى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يوافق على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الحزبيلات الاعتقادية التي يظنها نوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والياذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلم فيه حيوان فضلاً عن انسان

فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاً ونا لم تدع لها آثراً يحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً لمثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبعه بأبغس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجين الفقر وتغله بطوق القتل والمار وباليته تي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكسبة على ما كان فيها من الخطر على الانفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترفع الكسبة بناتها ويذهب الناس أحراراً بطبعمهم وما كان ذلك بمسير ولا يحتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد القتل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

في تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون وبقوده المتبصرون حتى يعلم من أين ترقى الأفكار وبأي الوسائل وفي العقل حظوظ الحقيقة لكان ذلك خيراً وأبقى ولم يكن يحتاج إلا لتخفيف يسير في شتاعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها إلى زمن معين حتى نستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً وقف عنده ولكننا طلبنا أن نكون على مثال الأوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتقدمة في الأزمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم أن يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من إدراكهم ثم يفوض إلى أهل كل بلد أن تنتخب منها عدداً معيناً ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب أشخاص من المارفين إلى القرى والمدن ليفهموا أوتلاك مواد القانون السهل البسيط ويدبرهم على كيفية العمل به ثم لا يزالوا على المراقبة أزماناً فلا تخفي مدة حتى يكون جميع الأهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتستو فيهم القوة ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد إيطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين إلى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه للجمهور الأهالي ليعلموه فيقرأ عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها إلا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دفات الكتب وصدر بعض من الزعماء لكن الأهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم أن يعملوا بمقتضاها أن هذا شيء عجاب غير أن العقلاء منا يقولون لا بد أن نكون بمائتين لأوروبا في القوانين والعادات رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لأحكامهم بقضائنا وما تقضي به طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً وانا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد اللاعبي واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائفة قبل البدايات الضرورية الواجبة أن تموت فيها أخلاقنا وعاداتنا وإن

يكون انتقالنا عنها (وانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فلي من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويا ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلا صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) انما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لابد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفهم القوانين والوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرة بالحكومة والا هالي مما ثم وضع حدود قوية للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورها وليس بجائر أن يحصل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نهاء البلاد وذو الشأن فيها فليعلم ان كأوصادق في الوطنية ان يبدلوا الجيد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والا فاتهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتياد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الأمرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو التارك والتارك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المترك من الأمور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كليا كان من الأمور المباحة أو المحظورة فإذا وقعت على حقيقته انصرفت عنه انصرافا

أما الطلب فهو أحد الأمرين الذي يحمل النفس عن اثنين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أبواب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الأمرين المتضايقين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الاول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء ما يهود منه على الطالب
أوغیره من المناغم والتتقيب عن الوسائل التي توصل الى الغاية بلا مشقة ولا
فوات منفعة وتقدير الاعمال ازاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل
في الاعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله انما يكون بعد
ان نعرف نسبة الطلب الى غيره من المطالب ليتخرج عما سواه بمخاصية من
الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه الترجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء
الاول وليس بعده الا الشروع في العناء الثاني عناء الاعمال البدنية

أما فوائد الاعمال فهي وان كانت جزئيات غير قابلة للدوام والاستمرار
اذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأخره كذلك ولكنها قبل الدوام
بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من
الاقوات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته الى فوائده سواء
كانت من الضروريات أو الكليات فهو محتاج الى دوام الفوائد ودوامها يتوقف
على دوام الاعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس ادمانه العمل المطلوب في
موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج الى صفة زائدة تقضي عليه ان
يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقضاء اذ ربما
تحتمت الحاجة بدون أن يتمحق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر النهاون والكسل
والاهمال وما شا كلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الاولى درجة
الاضطرار البحث فهو بنفسه كاف لادمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات
الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالادمان أي التمسك لملته هي التمرن والاعتياد
وبعبارة أوفقى بالفرض: ان ما لا تدعو اليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان
قد تدعو اليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات
الثانوية كالكليات والمحسنات وقد تدعو اليه بعد زمن طويل أو قصير لسد
الاضطرار البحث فلا يجد الانسان عنده فراراً فيتكلفه مقهوراً مقسوراً يتصور
المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الاعمال التي لم يتكفلها يوماً من
الايام لولا حكم الصروف والحادثات التي قلبه على بساط القهر قلب المصنف

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالألم ويدمن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً
الى ان يزول الألم بالكلفة ولا يجد الاعمال بدون ألم فاذا مضت برهة بعد
الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الألم الاول استحال الى
خذه (على حكم تلاقي الطرفين) ويجد منه باعثاً طبعياً اليه وهكذا يزداد الميل
ويشدد العشق حتى لا يميل به الكسل يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود
من التبرن والاعتقاد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالامر فيه وان
كان على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض
الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يقف عند حد محدود فيما ينطلق
بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب بعده من قبيل التمدن
أو الحضارة أو الرفق في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرمي من القوت
ويقيه الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما
تأتى في هذه الضروريات بعض التأني ورأى أنها قبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ
على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل
ما يتأدى اليه فكرته فيجد واجتهد واستطلع بقوة النظرية خواص العناصر فحسبها
عند ما اكتشف منها معدات تساعد على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها
بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل
الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحدر أثقالاً على أثقال كلما
وصل منه الى درجة ظن أنها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج
تقاليدها النظرية زينة شأن كل امر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز
قال الشاعر

سبحان من خص القليل بحره والناس مستغنون عن أجناسه

وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس للحجاج الى ألقاسه

فاذا توطأت نفسه الى هذه الفرائب زمنا استتراد منها حتى يبلغ بها حد

الكثرة فيسندلها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخص بها وقتا دون وقت الى ان تصير من قبيل الأمور المعادة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال ويتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامة المنفب ويحط بمقداره الشريف ولا يندكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقات بسائط النبات ويستتر بأوراق الاشجار و يأوي الكهوف والأغوار فإن بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر قول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ماوصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا بد كما يشهد البيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ماأ كفه) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفخرها بما يدهش العقول ويهير النواظر من صناعاتها الفرية وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بين الذاهل المندش وتوهم أن ضمها واقعي فتنبض نوعاً من الاقتباس فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقاب عليها من ضروب الخيل والاهاء وبما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ماوصلت الى ماوصلت الال بالعلم والعمل المتوقنين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجدي بحكم الاضطرار حتى تفصل الى ماوصلت اليه أو تكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تدفق لفة التقدم وتنسبها سكرة التيه طم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تركب متن الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من مجاورها من الأمم حتى تنظم الامم جميعاً في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التمايق الطبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا اذهبت فرصة عظيمة وفشحت بايا من أبواب التقدم عاد عليها بالناء في الاموال والانس والثمرات وأن يجاورها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التقلبات والتقلبات بحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان فرق شعوها وقبائل ينخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون وينحاسدون على التقدير والتقدير وينال عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يقبلون على جبر الشحنة ويضربون بسوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مغالبات التكلف ومشاقت التثقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في برادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتقاد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات قدهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجري الطبيعي فيلتشون بعد التفرق ويرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت وياليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فيزعمه عالمه الطبيعية وبطل أخلاقه السلمية وحل رابطة النوعية والا فهدنا به ان لم تقل انه من أم وأب تسليميا جديا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة الثامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد وبطتها عادات وأخلاق منحدرة الصفة ولقد رمزت تماثيله الحاضرة - التي منها وهو أكبرها تميم المواصلات وتأكد الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف - الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة السوميين حفظا لحقوق الانسان وصونا لثمة الشرف بان الحركة السومية موجهة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجم الغفير من عقلاء الناس فالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الحمية البشرية بعد إلا كما كني منزل واحد يرتفقون بمناقضه على السواء ويمجدون من بركات الارض ما يكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والعناد اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل قبيل فازل توجه الكل الى انتقاذه مما ألم به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطيور النياحة، ومصرته على السباحة، ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منهج السهولة منهج الثمر والاعتياد اهـ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

﴿الدين كل ما جاء به الرسول﴾

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلمت على المقال المنسدرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي
توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني السجب لما رأيته فيه من الفلسفة الحارقة التي لم يسبق لها مثال اذ
قرر حضرة هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب
جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لحص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن
التراع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه)
ولم يزل لولم يكن الرسول منياً لآحكام الله التي لم تفصل في التنزيل ككيفية الصلاة
من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما بينه أو بشره
واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً وباطلاً قتل

لي بأبيك إذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » ومعنى « ومن يصنع الله ورسوله وينفذ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لو لم يبين الرسول كيفية الصلاة إلى أمر الله بها من ركوع وسجود أو كان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع المخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبداً ولا أظن أن الكتاب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي إذ القرآن لم يبين أن يسجد الإنسان مرتين بل أجعل الأمر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب أن يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله وبذلك يكون الدين أو القرآن (كالأسنك) صالحاً لكل زمان ولا يكون جامداً متعجزاً كما يقول البعض

ان قول الله عز وجل « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول »

لبرهان قاطع على أن سنة الرسول يرجع إليها ككتاب الله وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيها واجبة على متبعيه ولا يشبه عليه أنها نزلت لسبب إذ المسيرة بعموم اللفظ لا بمخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله إلا مقرونة بطاعة الرسول أو كان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فذكر طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضاً اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما ينهى من الأحكام التي لم ترد فيه ؟ قل لي أي المعنيين أرجح عندك لا أظن إلا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما سردته له من الآيات ولو كنت أعلم أنه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لا وردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بشه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاءهم بيده فهو مؤمن ومن جاءهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاءهم قبله فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أن يكتنه يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإنما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للأموم واني لا اعجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لاصحابه الواجب والمندوب وجري على ذلك نحو أن بهائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقیم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقتنع حضرته ما أقنع أوائك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الاحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن عما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضا مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويقول روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصا شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يهمل عملا الا ويستشهد عليه بجملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال ذوو هاق الكتب كما دونوا القرآن ونحروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الاحكام حتى صار اشتباها بأحاديث الكذابين بحال (كذا)

وما كنت أظن ولا يخطر ببالى ان حضرة الفاضل صاحب المنار بهذا الكتاب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها وبأسره معرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يعد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري اذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسده بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهريين وغيرهم من العلماء أطلب دليلا منهم على ان أقوال الكتاب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد إجماع ملايين من العلماء على ذلك محلي للاستفهام والسؤال كلاً

هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبداً في هذا الموضوع وفقنا الله وإياكم وجميع المسلمين للاهتمام بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباب

تقيب أشرف مراكز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما يخص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه. وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى يذكر بها الكاتب مقال الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وإنما حذفناها لأنه لم يأتزم فيها ما يجب في المناظرة ولا ما ليس فيها شيء من القوة إذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الحسة وليس هذا فنياً لاختلاف الأمة. ولو كنت أجيئ نفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطنت بأن الأمة ستفترق وبخلاف الفقهاء والتمسكهم وبأن الرجل لم يقل أنهم اختلفوا في كل أصل وفرع.

أما تمجيد الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة لدكتور صدقي ومن حله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا إياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لامدوحة عنه واتقي أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولاعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يحظر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصلة والجلاء حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء مصر فيه فشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشذوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الازهر وأذكاء المجاورين ان أهل الازهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأنهم ظنوا ان المآثر ربما يتعقيم ويورد عليهم فقلنا لهم اننا لا نرد على أحد ولا كتبنا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لا نذكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفصل . ونحن لا نشترط على من يكتب الانزادة المباركة وسلامته من العطن والتهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (وإننا وإياكم لعل هدى أو في ضلال مبين)

﴿ تعليم الدين للاحداث وخطبة الجمعة في الاسنائة ﴾

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها « أهكذا يخلف محمد في أمته » لاستحسن نشر مثلها في شدته وإن كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المآثر وهو مسائلتان احدهما طريقة تعليم الدين للاحداث وطريقة وعظ الرجال . بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه « الحيدري الانور » ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المطارف في الاسنائة كان قد رفع تقريراً الى المايين يلفت فيه السلطان الى ققرة « ونظلم ونترك من ينجرك » الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الادعاء أو حذفه هو برمته من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطائنه في أمر هذا التبرير فأشار عليه بالأغضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا لدعاء برمته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكتائب « ان هذا الخبر يمي الى سبط الفاتح (سرخندلر) فسخطوا وبربروا ، وقسموا وكفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالتك بأن يصدر ارادة بمنع المجر بمقاورة المجر جبراً على برازيق الطرق والحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطفئاً لجرة أصعابنا الشيوخ وداعياً لفناء حلتهم وادراج ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر يبال والارتياب في الخبر مدعاة لتساينه لولا كرسى تركية صغيرة نسى (انبائي عماني) طعنت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدئ تعلمه لاجل حذف القراءة . تصفحت تلك الكرسي فوجدت فيها جميع الادعية المأثورة حتى « رب يسر ولا تسر » لكنني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والاراك في جملتهم . (وذكرونا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استفاض مؤلف الكرسي عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله برادر محمد حق رسول الله سلطان عبد الحميد خان ثاني أفندي بمحضرتي مقدس خليفة سيد . نزم سو كيلي بادشاهز در - الله تعالى به ييغبر يمز بادشاهز اعطاعت أيدرز أمر لر يي طونار تيملرندن اجتناب أيلرز » ومعنى ذلك « الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفة المقدس ومليكنا المحبوب - نطيع الله ونطيعنا ولسطاننا ونسلمك بما أمرنا به ونجتنب ما نهوا عنه » « فما ودي عند قراءة ما تقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها ؛ فيمد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يومرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالأخلاص اليه أخذوا في هذا المضمر « عصر الترقى » يعلون ابتاءهم التوجه الى « ثلاثة » بحيث يشركونهم في خصائص

الالهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم من اتخذله ثلاثة أقانيم . وبالبتهم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب التبجيل وصفات التقديس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصوروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزائل المكسب ويفتأ أمثال الكراسية المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عتبة فلك مرتبة» وفي وصف المقصور «ذات قدس صامت» «ذات فرشته صامت» أي القاعات المقدسة الشاملة أو التي شابهها كشبائل الملايكة.

واذا أراد أن يمتنع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى كما رأيت بعيني) عمامة شيخ الاسلام بهوي الي بين قدي جلالاته وهو يشكر له ويدعو . واذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب ينفرد بصوت يستثير الطرب، ويقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيد دين حبيبه بدوام سلطة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه بقاء سلالة آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه ببدالة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عبادته بمحافضة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبى نصرة الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» اه

اضحك أيها القارئ، اضحك الله سنك كأي بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجه لكني أحلف لك بكل ما تكلفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكندرية جامع رأس السوق في نجي چشمه. وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع. وقرئت أيضاً في جوامع أخرى وأجيز وأضربها بثمة ليرة. ومسمها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا.

لم يمن الشارع بمجل خطبة الجمعة والانصات إليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشهد عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شمسهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم. وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والتعظيم وار تكذب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعر أكذب» - ولا دوراً أو موقفاً يتوخى فيه حسن الايقاع وموافقة أصول الانعام وتكون للأمة بمثابة «نشد وطني» كما عند سائر الامم.

أن شئت أيها القارئ الاستئناس لما تقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

«وما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما اصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المذهب وغيره أنه مكروه والاخبار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطباء في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلاً وهو ظالم أو يصفه بالنازي وهو لم يرجف على العدو بخيل ولا ركاب. ولكن مطابق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به.

«وقد اتفق ان الملك الظاهر يبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أهدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - ملأ هذا الخطيب بقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع قشعره
الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فخلصه إلا بعد الجهد
الشديد . واتفق مثل هذا البعض أمراء مصر في زماننا (يعني محمد بك
الأنفي أحد أمراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه
محمد بك أبا الذهب إلى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في إرسال
ابنه إبراهيم والتاريخ بعيد نفسه) لما صلي الجمعة في أحد جوامع مصر وكان
مقرورا بدولته مستبدا برأيه فأطعن الخطيب في ملحه فلما فرغ من صلاته أمر
بضرب ذلك الخطيب وإهانته ووقيه عن مصر إلى بعض القرى .

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء أن يكتسبوا من خط الله برضا الناس فإن ذلك
موجب لخط الله والمقتل الأبدي نسأل الله العفو » اه
من أمن نظره فيما قتلناه وقتلناه يأسف لحال الأمة الإسلامية كيف ان
وساقتها وكبراءها في المصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية أبنائها
واستدجروها في الاستكانة والاستخذاء حتى نزع منها روح الحرية وقادت
النصرة والحمية وجل محل ذلك النصف والحوول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية
الحقيقة » الخ

«رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل»

إلى منار الاسلام، والمهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الأحلام
قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة ، بل الآية الممجبة، التي تحت عنوان
(التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ما سبقها في موضوعها فوجيتها
فضلا ما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصحة، في تبرئة دين الله
الاسلام وأهله ما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت
فطرتهم، أو تباعدت حللهم ، وأنه بعكس ذلك يدعو إلى الوئام العام، ولم تتوكل في
القوس منزعا لرام ، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو
مهمور وكشفت النقاب عن حرم المسئلة التي تحبب فيها ذور السياسة والكتاب

فألبسوا الأمر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل
تلك المواقف الحرجة اليهم، وياخذوا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليطلع أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الأغراض، وحقائق الأمراض،
ومالهم من مفارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاختصار أقول
ان المسلمين ليقطعون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسم كل
منصف عدل من الفريقين الا الأذعان لما جاء فيها ان لم يكن ظاهراً فباطناً وأنا أشهد
الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها لفرض ذاتي أو عرضي
وانها مرآة ما في قلوب المسلمين الخالص الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل
ومراسمه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل وحبسنا الله ونعم
الوكيل

فَتَاوِي الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه وقبيله وبلده وعمله او طيفقه (وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، وانما تذكر الاسئلة
بالتدريج غالباً واما قد منّا آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا أجنبنا غير مشترك مثل هذا. ولن
نعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا قدر صحيح لا غفاله

﴿أخذ الحق من الوالدین وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد "قراء" بمصر: ما قول عالم الامة الاسلامية وحكيماها ومرشدها أستاذنا
السيد محمد رشيد رضا لزال كعبة لاسائين في رجل اشترى لولده أملاكاً من أناس
أجانب، بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده
فلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذه فخل يجوز لولده
أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكاً له أم لا وهل تعد إيسائه بأخذها منه

عقوقاً يعاقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدلائل الشافي لازتم نهما
للمتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وإن أساءوا ولا يمدون ذلك من
العقوق الذي هو الأذى الشديد عرفاً والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد
وإذا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم نسمه النصيحة النافعة إن شاء الله
تعالى . قال شيخ الاسلام السراج البلقيني في قراءه كما نقل عنه ابن حجر في
الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج الى بسط الكلام عليها والى تفاديها
لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السوال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق
الوالدين إذ الإحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود إذ الناس أغراضهم
تختلف على أن يجمعوا ما ليس يعرف عرفاً لاسيما إذا كان قصدهم تنقيص شخص
أو أذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو انه مثلا لو كان له على ابيه حق شرعي
فاختار ان يرفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فهو لا يكون عقوقاً لا (أجاب)
هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الاكابر انه يمسر ضبطه وقد فذبح الله سبحانه
وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتاح العظيم أن يكون حسناً قول: العقوق لا أحد
الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً من
جملة الصغار فيقتل بالنسبة الى أحد الوالدين الى الكبار أو أن يخالف أمره أو نهيه
فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم ينهم الولد في
ذلك وأن يحالفه في سفر يشق على الوالد وليس بفرض على الولد أو في غيبة طويلة
فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقعة في العرض لها وقع . ويان هذا الضابط
أن قولنا ان يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً مثاله لو شتم
غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب الى الكبيرة فانه يكون
المحرم المذكور اذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو
أخذ فلان أو شيئاً سبوا من مال أحد والديه انه لا يكون كبيرة وإن كان لو أخذه
من مال غير والديه بغير طريق ممتنع كان حراماً لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والخوف فإن أخذ مالا كثيرا بحيث يتأذى الأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فإنه يكون كبيرة في حق الأجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة إلى غير الوالدين.

«وخرج بقولنا» ما لو فعله مع غير والديه كان محرماً ما إذا طالب الوالدين عليه فإذا طالب به أو رفعه إلى الحاكم ليأخذ حقه منه فإنه لا يكون من العقوق فإنه ليس بمحرم في حق الأجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فإنه من الثنائس. وأما الحبس فإن فرعنا على جواز حبس الوالدين ~~الوالد~~ كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وإن فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فإن الحاكم إذا كان معتقده ذلك لا يبيحه إليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً إذا كان معتقده الوجه الأول فإن اعتقد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجنبي لا يحبس ولا يحبس ولا يحبس ولا يحبس واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى المجازة والطلب المجاز فليس من العقوق في شيء.

«وقد جاء ولد بعض الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة» وأما إذا نهر الولد أحد والديه فإنه إذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وإن لم يكن محرماً وكذا (أف) فإن ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر أن يكونا من الكبائر.

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا. وقد بحث ابن حجر بعد إيراد هذه الفتوى في الضابط وعنده أن المسافر في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس بالهين عفاً وإن لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال «كأن يلقاه فيقطب على

وجهه أو يقدم عليه في ملأ فلا يقوم له ولا يعبا به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال التزالي في الاحياء «وجهة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا ير قسمها وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسأله فيضر بهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وأما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الفوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق وتخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امتثالاً لأمر أحد والديه وان تخالفتهما في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك تخالفتهما في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البهائم المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التمارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليبي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لابد من الاكثار بها في هذا المقام لايضاح الحق في الواقعة المستول عنها وهي ان كثيراً من الوالدين يستبدون في أولادهم استبداداً أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهن حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافياً للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لها حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل مايريدان وأن لا يكون له معها ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علماً وأجود رأياً وأكبر فضلاً فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حداثة . يقع هذا من الأم قليلا ومن الأب كثيراً لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يغلب عليه الشعور بعزة سيادة الوالدية وعزة الفنى والرفعة جميعاً ويلد له أن يرى ولده مفتقراً اليه عاجزاً عن الاستقلال بنفسه وذلك متعدي الجبل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يرثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم وبريبتهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأفكار لأن عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم. ومن الترية على الاستقلال أن يهبطي الفتي ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بشمرتة تحت نظر الوالد وأرشاده ولذلك فوائد كثيرة لأجل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لتمنوا موتي لستموا بما في يدي أما الآن فهم يحبوني ويتمنون أن تطول حياتي؛ وقد رأيتنا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا المحمد أغنى أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعقلهم وقد قسم جميع ما يملكه بينه وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال، ويربهم على العز والاستقلال، وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأخف بن قيس لمعاوية وناهيك بهقل الأخف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية إلى الأخف بن قيس فلما صار إليه قال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا مارقون بنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسما ظليلة، وبهم نصول على كل جيلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمتحوك ودمهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك،

هذا وإنما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل علي أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفي القتها ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد لعله يتم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قرّة عين له ومحبة لطول بقائه ومعاونة على بره وشكره. وأنصح للولد أن يبالغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأعان ولده على بره» فإن هذا الحديث من الأدعية التي ترشد إلى الحكمة السامية وإن كان في مسنده

مقال - ورواه الفوقاني من رواية الشامي مرسلًا كما في شرح الاحياء والله الموفق

﴿السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان﴾

(س ٣٢) من أمين أفندي محمد الشامي في سواكن: انا مستخدم في حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج مخجلة بأن الشرع الشريف لا يجهز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين اما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحرصن فروجهن واما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساءنا أم هن يعملن بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية الإلزام زوجته بالسفر معه فاذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفى كم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان لقاية وان الانسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضاء النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد الثرية وقلة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن يبيح الشريعة هذا الخلل الذي يحرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عسرا . نعم أنها محرم على الرجل أن يضار المرأة بسفره أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا تبحث عن أحكامها في باب الفتوى لان غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والاحسان وان ما يسمع عنها أو يرى من أهائها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي رتبة منه

﴿رحي المسلم بالكفر﴾

(من ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضري بسنن افوره
 ما قول سادتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما
 لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني
 يا خنزير يا كلب ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرك الا الضرب بالنعال وتكرر
 منه القول عمداً بمحضور الجهم الفقير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم
 على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافراً صريحاً والصياذ
 بالله أم لا فإن قلتم بكفره وردنه للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها»
 فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للإسلام وان قلتم بعدم
 كفره وردنه فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويسفو عنه وكان
 جواب الثاني للبادئ مستنداً للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» الى
 آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو لله ورسوله ولا نصراني ولا
 يهودي الى آخره أفقوناً ما جودين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نيزبه الا الالهة وهو لا يكفر
 بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من
 سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر باللفظ
 «أما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت
 اليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرها: قال النووي في شرح مسلم:
 «هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلاً من المشكلات من حيث ظاهره من
 حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن
 بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين
 الاسلام واذا عرف ما ذكرناه قيل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي
 خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت تقيضه عليه
 يعني أنه أراد أن يتقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . وردّه النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به الى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد الى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإلا لأنه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام . أقول والذي حقه الغزالي يدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند المارفين أنه إنما يكفر بذلك اذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الاسلام كفر وهو لا يقصد هذا الا اذا كان يعتقد بطلان دين الاسلام

بَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ

﴿الكتاب التاسع من «إميل» الى أبيه﴾

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدينة . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦٦
غادرت مدينة بن وقتل كتي (وهي كل ما أملكه تقريباً) الى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبتها مطلقاً أن ينتقلوا من احداها الى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا التنقل يمكن الطلبة من الاختلاف الى دروس أئمة الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إني أخاطبكم بقلوبكم كثيراً من دروس هؤلاء الاساتذة الفخمة ولكي كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بمجملته لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده اليه سريره

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسوراً أي أن كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة خصصات كل نوع عن مثال أذلي له. ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استعالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الانواع النباتية والمعدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نوااميس طبيعية وإذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجده قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مثلاً لا تحيد عنها إلا محتى تسقط في مهاري الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للاولين أن الانسان نشأ موحشاً أي أنه كان قرداً متقن الحلقة ففر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكانته في البرية بعد ان خلق نفسه - ان صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بيدايا أوضاع لم تلبث أن باعدها بتأثير البرقي الذي لا راد له فكما أن الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية.

وإذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤوليا كانت كلها موحاة من الله فإذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا أنها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلاف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية. وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أي مع بحثي في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسررتي هذه هي السبيل التي صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضاً ويبعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطراً في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئاً وأنه يجب علي أن

أندرع بالأقدام وأن أوسع نطاق معارف وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات
اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك
بها ما لا أحد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الاصداغ التي يتناقلها
الأطفال في أيديهم ويضوئونها على آذانهم متعجبين أنهم يسمعون فيها اصطخايب البحر
على أنني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي إليه
طعمي ينحصر في فهم حاجات المصر الذي أعيش فيه والاختصاص بالحق وههيات
إن أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فاني وإن ولدت في بلاد أجنبية
أجد فرنسا حينما نظرت فاتها تبدو لي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء
الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تقطره
وتجبره . هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبته الي أي ثانية فلا يذكر
الا ويشمر جلدي لذكره ولا ينتقص إلا ويتبجح دعي كله انتقاماً له وليس
الذي يهزني منه هو غزواته ووقائمه الحربية وإنما هو تاريخ مكافحاته ووثباته
الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يعملون فيه وهم يصحكون وأعجب
بكتابه الذين يهيجون القلوب وهم لنور العلم يشنون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما
في نفسي من الامل في خدمته يوماً ما تجدني مقتبلاً ومعتزلاً بالتساب اليك . اهـ

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف
الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة
على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجبها وحسن
حروفها وانا نعتد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في
أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها . وهو يطلب من طابعه في تلك
المكتبة فجزاه الله خيراً



أنا علي بن أبي طالب

﴿ قصيدة حفي بك ناصف في قنا ﴾

حفي بك ناصف شهير بملمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عند ما عين قاضيا
في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في القم بمعرض المدح وأظهار السخط
بمظهر الرضا قال مخاطبا المستشار القضاي أولناظر الحفانية

رقيتني حيا وممّني فاصنعك الشكر المتني
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قلبي أدنى
وجعلت سدة منزلي من أسقف الهرمين أسنى
أسكتني في بقعة فيها غدوت أغز شأنا
أرد الشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملو لكؤ كنت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به قدما لك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حوله متعطف كالنون حسنا
هيات ان يصل المسدّ له ويدرك ماتمّني
أرايت يوما مثله في القطر محصينا وأمنا
الثبت في غيظاته متقدم غرسا ومجنّي
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والا جيز كالبيض الهني
والدوم فيه دائم يفني الزمان وليس يفني
فخاره لطيج الانا م بمدحه يسرى ويمني

يكني لترويع الاوا ني ان يقال (قنا) فقني
 قالوا شخصت الى (قنا) يا صرحبا بقنا و (أسنا)
 قالوا سكنت السفح قنا ت وحذا ابا السفح سكني
 قالوا قنا حر قنا ت وهل يرد الحر قنا
 سر الحياة حرارة لولاه ما طير تنفي
 كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن تنفي
 والحى بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
 تندق الانهار من حر وترجي الريح مزنا
 ها قد أمنت البرد وال برداء والقلب اطمأنا
 ووقيت أمراض الوطو به واستراق الريح وهنا
 ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
 وأنام غير مدثر شيأ اذا ما الليل جنا
 قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
 وقرت من ثمن الوقود النصف أو نصفنا وثمنا
 فالشمس تكفل راحتي فكأنها أمي وأخي
 فاذا بدت لي حاجة في النسل ألقى الماء سخنا
 أو رمت طبخا أو علا ج الخبز ألقى الجوفنا
 سكنى القرى تدع السفينة موكل بالمال مضنى
 أي الملاحى فيه يصرف ماله ومتى واني
 كل امرئ يلقاه من بعد الظيرة مستكنا
 ويرى الغريب السر أيسر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه لنا ويقي السن سنا
عش في القري رأسا ولا تسكن مع الاذئاب مدنا
واربأ بنفسك أن ترى مستمرثا في العيش جينا
ودع الجزيرة والمها والجسر والظي الاغنا
واسل الاغاني والنوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع
شهرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع
فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن أحدهما
مفقودة عن الأخرى لأنهما متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة
منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على فقة الشريف أحمد بن عبد
الكريم القادري الحسني المغربي النامي عن نسخة أصبح من النسخ التي اطلعت
عليها على أنها لا تسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها

طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب
العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين وروايات الأشعار وأن
يسلط كثير من المسائل المهمة أو المشككة على سبيل الاستطواد فطبقاته أسفار
تاريخ وحديث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شعبون. طبعت في ستة أجزاء
تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا ومنها خمسون قرشا
ويطلب من محل الحاج محمد السامي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمذاني ﴾

مقامات البديع أشهر من ناز على علم وهي أحسن من مقامات الحريري
أسلوبا فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأديين وأسلوب

الحريري ليس بهربي فهو لا يجتدي في الكتاب وإن كان قد بلغ الغاية في إتقان الصنعة أو إتقان التكلف كما كان يقول الأستاذ الامام رحمه الله تعالى

وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الراضي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعان على ذلك بشرح الأستاذ الامام إذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . ونحن التمسنا منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمت﴾

ينسب إلى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال أنه أحسن ما سمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فإذا هي لاتصل إلى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه وإطلاعه فالتألب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الجوالي على أن ما فيه من الشعر يستوجب أكثر القراءة في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق غير وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من قصصهم في خدمتها وقال : ولولا أنب منهم فدين المهين عاملين على أحيائها لأوشكت اللغة أن تقع فيما تخاف : وقال أنه ينبغي بهذين الفذين الشيخ إبراهيم اليازجي والشبخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرة) وقد أطراها بالألقاب . ونحن لاننكر أن كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات وبين ما فيه من النخيل والنمط والمهدي بتخريج معاني المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم العمدة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا نوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر أحيائها في هذين العالمين فإن في مصر وسوريا وغيرها من الأقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لإحياء اللغة العربية بالكتابة والتدريس والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو أرشد الاستاذ وغيره الى الخروج بالثمة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل الاستاذ ومساعدته في المطبوعات والأزهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي بطبع الآن

﴿ الديانة الاسلامية • المكاتب الاميرية ﴾

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الاميرية (وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشبير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتابات . وقد نظرت في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والحكايات الأدبية وقصص الأنبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملة متفرقة فرأيت ما ينتقد في كثير من الابواب . رأيت في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه . وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين . ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تنسى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما متفقان من وجوه أخرى فلا يندر فيها كمالاً يندر بالاكتفاء في قسم الإكتمال من العقائد بمد الصفات العشرية ونحو ذلك . وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذ من القصص المتداولة فحسب أن يعني بتقريب الكتاب عند طبعه مرة أخرى

﴿ ديوان الرافي ﴾

قد صار مصطفي صادق أفندي الرافي من شعراء العصر المشهورين وله على حدائنه ديوان كبير بطبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو سيسمي سائر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها عبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بببارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يهتد الى مراده . وسنبين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقريرنا ما قبله . ففرض الموصوف على القارئ أن يبلغ في التعريف من عرض وصفه . وثمن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد وثمن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشا وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء . بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الاذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارئ تصوير الوفاء بأجل صورته ، أو كل مظاهره ، والصداقة في أبهى مراتبها ، وأبدع مجالها ، وذلك بين ظاهرها . كان بين يوشع وفيلب منذ تعارفا الى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة المحتالين والحائذين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الافكار الضارة مالا تحلو القصص من مثله كذ كراخيانة والفسق والحيل . القصة أفريقية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيده النظم والثر والقصص شاكر شقير اللباني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالاتقان وهي تطلب من مكتبتها وثمن الاجزاء الثلاثة عشرون قرشا

﴿ كرهة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهيرة) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها اسكندر دumas الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهمي وقد بين بها المؤلف شيئا من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلائه فيهم . وثمنها خمسة قروش

﴿ عنراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضمها محمود طاهر أفندي حتى وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرواف مصر وتمثل

أفكارهم في محاور أهم بلغتهم العامية وثمن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من الكاتب الشهيرة

﴿ الدين والادب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقران (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان البارودي) العالم الشهير بغيرته وبمخدته الاسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتح كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما تفعل وينذكر فيه شيئاً من الشائيل الشريفة ومباحث العربية والتعلم وغير ذلك من المسائل النافعة فنسأله تعالى أن ينجح عمله ويدم النفع به

﴿ التبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير تحريرها أحمد أفندي» صادر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكناية والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الحيدوية بمصر ومسائل شتى لم نجد وقتنا يتح لنا قراءة شيء منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها فنتمنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشئها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة والدة عباس باشا الاول» صادر العدد الاول منها في أول أكتوبر (١٣ شعبان) ولم يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لا عتابه . فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزعج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤون الإصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق التعليم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابته في ذلك أزعجت القوم إلى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الأمة وكشف ما غشينا من الغمة

بَابُ الْحَقِيقَةِ فِي الْأَسْلَامِ

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون إلى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحْتَنِبُونَ كِبَارَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا الْمَمِّ وَإِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَتَرَكُوا فَرْضًا أَوْ أَصَابُوا ذَنْبًا ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَمُسْلِمُونَ جَنَسِيُّونَ أَوْ جُغَرَايُونَ وَهُمْ أَصْنَافٌ نَحْصُ بِالَّذِي مِنْهُمْ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ وَلَا يَدْعُونَ لِمَا عَرَفُوهُ مِنْهُ فَهُمْ لَا يَصِلُونَ وَلَا يَزُكُونَ وَلَا يَصُومُونَ وَلَا يَحْتَنِبُونَ مَا يَأْمُرُهُم بِهِ الْهُدَى مِنَ الْمَعَاصِي وَلَكِنَّهُمْ يَتَعَصَّبُونَ لِلْإِسْلَامِ بِالْكَلَامِ فَيَمْدَحُونَهُ وَيَدَاغَمُونَ عَنْهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ لَا يَدْفَعُونَ فِي ذَلِكَ وَمَعًا لَأَسَى إِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْخَوْضِ فِي السِّيَاسَةِ وَالْحِظْوَةِ عِنْدَ الْحُكَّامِ. وَقَدْ يَبْلُغُ التَّحَمُّسُ بِالرَّجُلِ مِنْهُمْ حَتَّى يَطْلُبُ السَّلَامَةَ أَوْ الْقَارِئُونَ لِكَلَامِهِ أَنَّهُ مِنْ أَقْوَى النَّاسِ إِيْمَانًا وَأَصْدَقَهُمْ إِسْلَامًا وَهُوَ لَا جَدِيرُونَ بِأَنْ يَسْمُوا بِالْمُسْلِمِينَ السِّيَاسِيِّينَ وَالْيَهُمُ نَوْجَةُ الْكَلَامِ فَنَقُولُ :

إذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لمادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفهرون أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية والشعائر المالية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحواظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام
تفتعلون في رمضان جبراً لتدخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر
فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أقيمتم من المقومات لهذه الجنسية
السياسية . ان كنتم تظنون أن وضع (القتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في
الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فانتا قطع بأن هذا الظن من الاثم ، وانكم لستم
فيه على بينة ولا علم ، فليكن أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو
مؤد الى غايتكم السياسية ، فان رأيتم بعد التفكير — ولا بد أن تروا — أنه غير
مؤد الى هذه الغاية فارجعوا عنه ، الى ما يئين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسيتهم الدينية ملوكهم
وأمرائهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشعائر المالية المعلومة من الدين
بالضرورة جهاراً بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال
بليالي المولد والمراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسرّ
فطره ويرائي بالصيام . فهذه الجاهرة بالفطر في نهار رمضان ممن لهم مكانة في
الامة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الامة
لاجنسية لها في غير دينها فإذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم
من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب، وهمل تمهلها الاثم
القوية لتجد هذه الرابطة — اذا أمكن — في زمن بعيد ؟؟

أما الذين لا يصومون من الفوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع
فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤن واذا قرؤوا لا يفهمون واذا فهموا لا يشتبهون
« أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »

لا تقل ان المثار مازال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتحاد جنسية
لا ينبغي صاحبه عند الله تعالى فإله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين
سياسة أن يزاوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن : انك
ان تقل هذا أجبت ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا
والآخرة وما وأما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شعائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فن أقام الدين ظاهرا وباطنا فقد سلك صليل السعادتين ومن تركه ظاهرا وباطنا كان يهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يسطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويحرجهم على ترك الشريعة فشره يعمد الى الأمة لا يكون قاصرا عليه وإياه نعت بأن لا يكون فئة لغيره وأقل ما تنفعني به فتنه ان يحافظ على الشعائر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بعقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشعائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاستطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر ويدعون أن من الدليل على صحة إسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والافضل وأهل الأزهر ومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحدا يوقن بعقائد الدين ويتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشعائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثرا لاعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بعقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصفتها عملوا به . أما هذه الفيرة التي يدعونها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواه بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يثار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يثار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الا الرئاسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمتلا يتم له مع هدم شعائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشعائر الظاهرة دون الباطنة كأدب النفس والفيرة الصحيحة التي تبتث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفسهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في ارواحهم يحملهم على مأسرنا اليه وقائده في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المتدين منهم وغير

المتدين في حق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه إلا التقاليد البدنية الجافة التي لا أثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاحهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيائهم وان لم يهدم للقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حاولوا بين الامة وبين الترقى في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الامة أيدي سبا فالت الامة الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تك الامة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولوطالت حياته لرجي — وقد عرف قدره — ان ينهض بها نهضة عظيمة

﴿الصيام والنساء العامة﴾

لا خلاف بين المعتلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أحوج الى الترية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يغني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الباطل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء منفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوربا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حلوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفتن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهتك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شراً عليها من كل ما يعمده المتحذلقون شراً اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليصنعوا بتعليمها وتعليمها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الاسناد الامام الذي كان عازما على انشائها في الشتاء الماضي بل كان يتمخض في الحفاء وتعدله عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفي كامل بك القمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعيًا يرجي وينتظر

أرسل الينا هذا الاريحي الفاضل - كأرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة ووقفها على بذل المال وأنه «بادر الى الاكتاب بخمسة مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بجنس أو دين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثا) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مسع الشكر لا ربحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرحنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغول الرجل الحازم القدير وتجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الأزهر ومشيخته﴾

كثرت الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمحاكاة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المناصب والمناصب ومما اشبع أن المفتي شككا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السبد البدوي وقابلنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال ربه سيقال بعد أن يبين الشيخ شاكرا وكلا للأزهر تمهيدا لجعله أصيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه ناغما من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

﴿تنبيه﴾

ضاق هذا الجزء عن تمة لتفسير وعن الرد على الشيخ نخيت وعلى الدكتور مصطفى جليوت

المسحاة

١٣١٥

فيها الحكمة من يشاء من فترات الحكمة فقد أوتي
خير أكبرا وما يذكر إلا أو الألباب

فيهم جادى الذين يستحسن القول فيهمون أحسنه
أو تلك الذين صداهم الله وأنتك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي و«منار» كنار الطريق

﴿ مصر - ومضمان سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١١٩ أكتوبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

(نشرت في العدد الثالث من المروة الوثقى بعنوان الآتي) (١)

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عمامة العلم فاذا هي بحجة كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تحمده في ساحاتها عصفات النوازل وتنحل بأيدي مدبريها عقد المشاكل تمت فيها افان العزة بعد ما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقتها ومما صيرها وأحدثت مشاعر سواها من الامم بان لا سعادة الا في اتباعها منهاجها وورود شريعته وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل

وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتظم منظومها وتفرقت فيها الاهواء وانشتت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منقداً وانقضت عرى التعاون واقطعت روابط التعاضد وانصرف عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلج في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والمجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي المتحسين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المنار ونعيد نشرها الآن لما فيها

من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خبرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الفية في سات بخيله الناظر اليه صحوا
وذبول يظنه المفرور زهوا وأخذ القنوط بأمال ارتكك لمد هوشين فأبادها وحدثت
فيهم قناعة اليهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر الحق في خيال احدم
او استغفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفاً او يعيد لها مجداً عمدته هوياً
وهذا يأتى اصيب به من ضعف في المزاج او خال في البنية او حسب أنه لو اجاب
داعي الامة لعاد عليه بالو بال واورده موارد الهلكة او لصار من اقرب الاسباب
لزال نعمته وبكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالا من اليأس
فقلل يدها عن العمل وتقف قدماءه عن السعي ويحس بعد ذلك بقاية المعجز عن
كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما اتى املافة من قبله وتجمد
قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيا
على ما أورثوه لاعتابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حداً يشرف بها على الهلاك
ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيراً من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت
ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء؟ بلى
وأأسفاً ما أصعب الداء وما اعز الدواء . وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف
يمكن جمع الكلمة بعد افراقها وهي لم تنفك الا لأن كلا عكف على شأنه ...
استغفر الله، لو كان له شأن يكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه
اتصالاً به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما التفت
كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا
يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تمت
الهم بعد موتها وما مات الا بعد ما سكنت زماناً غير قصير الى ما ليس من
مالها؟ هل من السهل رد الثأث الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في
سلوكه سواء خصوصاً بعد ما استدير المقصد وفي كل خطوة يخطئ لانه على مقربة
من المظلة؟ كيف يمكن تسييه المستغرق في منامه المتبعج بأحلامه وفي اذنه وقر
في هلامه خدره هل من صيحة تزعج قلوب الآحاد المنفرقة من أمة عظيمة

تتباعد انحاءها وتتناهى أطرافها وتلباين عاداتها وطبائسها هل من نبتة تجمع
أهواها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما تراكم جهل وران غيب وخيل للمقول ان
كل قريب بعيد وكل سهل وعسر؟ أم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه الناسي
ويحار فيه الحكيم البصير. هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل
الداء وأسبابه الأولى والعوارض التي طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف
يمكن الوصول الى علاه وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل
الاحوال وتتويع الاطوار؟ أي يمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يمتنار له نوعا
من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من
حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيمها في طور من أطوار
الممرض لا تظهر الا في طور آخر لئلا تطلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدوا أثرها.
كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو وعمره
محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل
وافرة السدد؟ لهذا يندر في أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو
ارجاع شرفها ومجددها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين. وكما ان المتطبب
القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاثاق
والصدقة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون
بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اغلالها ووجوه الملة
فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب
والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف واقعه من الارض ومكانها الاولى
من الرضة ودرجتها الخالية من الضعة وتدرجها فيما بين المؤثرين فان أخطأ طالب
اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء. فمن له حظ
من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجرأ على القيام
بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في
أداء هذا الامر العظيم علما أو عملا. نعم يكون ذلك من محبي التفضيخ الباطلة
وطلاب العيش في ظل وظائف ليسومن حقوقها في شيء.

ظن أقوام في هذه الازمان ان امراض الامم تعالج بنشر الجرائد وآنها تكفل انماض الهمم وتنبيه الافكار وتقوم الاخلاق كيف يصدر هذا الظن وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يتصدون بما يكتبون الانجاح الامم مع التفرغ عن الاعراض فبعد ما عم الدهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكاثيون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ قليلاً تجد الفاهم والقائم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبهه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضماً فاقاً . على ان الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتي تنبع منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقق امر يز .

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبثة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واختلاطها الى مادون رتبها بدرجات لا تنحصر ورغضاها بالنون من العيش والناس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس الصومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوروبا حتي تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومعنى عمّت المعارف كلت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبداً ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ماتكره ازمانا حتي تذوق لذته وتنجي ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد فائبا عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويأمر له ثروة وافرة تهيئ بثقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودأوته فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تقني ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات واقتناهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتي لا يدعون لهم سيلاً لان يستشعروا نسيم القوة فأين الزمان لتجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . على أنا لو فرضنا مسالة الدهر ومنحت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيئاً فشيئاً. يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيدنا فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها بهيوة الكمال الاثني به وعكسه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجباً كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الفرية عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينمت وأثمرت وبأي ماء سقيت وبأي ثرة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في منشأها ولا خيرة لها بما يترب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لانبأ عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الفطن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويمدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم. لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ما ينعكس اليهم من الاوهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخط غريب لا يزدب لها الا فساداً.

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن بنائها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم؟ يكون منهم ما خطبه عالمهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطبائعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتية يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام الا من الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استمداد من يمرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمده أو يزدها على ما بها أضغافاً وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقلة وحمله. فهو لا الصادقون الا من وقعه الله منهم بنائيه الالهية يكون مثلم كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتنبض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وستهن الابان لا يقبل سواء فيسرع اليه المرض ويتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحلة يشتنون بقية الحنج ويبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد آتياً للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المبرورون يشترطونهم بما يذهلهم عنها وما قهروا الاخيرا ان كانوا مخلصين ويؤمنون بذلك الخاص (الحرق في باب ونحوه) حتى تعود ابوابا وياعدون ما بين الضفاف حتى يصير ميادين لتدخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويندهيون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبش المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبشوا بطوائف منهم الى البلاد القريبة ليحصلوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا أحسن حالا عما كانوا عليه قبل التمسك بهذا السبل الجديد . هل استغفروا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم . هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور هل نالوا بها من المنعة ما يدفع عنهم غارة الأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا يعيل عرائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شا كلتها كما كان في كثير من الامم ؟

نعم بما يوجد فيهم افراد يتفقهون بالفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شا كلها ويصوغونها في عبارات متقطعة براء لا تعرف غايتها ولا تعلم بدايتها وروسموا أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يتخارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم قلوبا أو ضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعونات وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من مفاهيم وعرضوها معرض المباهاة قسفاً بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة بما يروق منظره ولا يحد أثره فأماوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما يستدعيه تلك المهن

الجديدة والكليات الجديدة لأن مصانفهم لم تتحول الى الطرز الجديدة وأبدعهم
 لم تعود على الصنع الجديد وثررتهم لانهم جلب الآلات الجديدة من البلاد
 الجديدة وهذا جدد لا تف الأمة بشوه وجهها ويحط بشأها وما كان هذا الا لأن
 تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها . . .
 علمتنا التجارب ونظمت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المستعجلين اطوار
 غيرها يكونون فيها منافذ وكوي لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهبط الوسواس
 وتخازن الدسائس بل يكونون بما أقصمت أقدتهم من تعظيم الدين قلدوههم واحتقار من
 لم يكن على مثالهم شوماً على أبناء أمتهم يذلونهم وبحقرون أمرهم ويستعينون
 بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشم أنزوع
 الى معالي الهم انصبوا عليه وأرغوا من أفعه حتى يمحى أثر الشهامة وتضمحل حرارة
 الفيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبيين وأرباب الفارات يمسدون
 لهم السبيل وينتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأهم
 لا يعلمون فضلاً لغيرهم ولا يظنون ان قوة تقالب قواهم .

أقول ولا أخشى لوما لو كان في البلاد الافقانية عدد قليل من تلك الطلائع عند
 ما قلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبداً الآدين . فان نتيجة العلم
 عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق
 فنوهم فيالقون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزولون الوحشة التي قد يصون
 بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لا
 أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستشارة
 بقدرتهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كأنما هم منهم ويعبدون القلبة الاجنبية
 في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر
 فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب
 شديد أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفلات أي
 اتهمه تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الجامدة أي نفخة تهبث هبته

الأرواح في أجسادها، وتحشروها الى مواقف صلاحها وفلاحها؛ الاقطار فضيحة الجوانب، بميدة المناكب: المواصلات عمرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي، الرؤوس مطرقة الى ماتحت القدم أو منفضة الى ما فوق السماء، ليس للاصهار جولان الى الأمام والحلف واليمين وشمال ولا للأسماع إصغاء ولا للنفوس رغبات وللأهواء نحرهم وللوساوس سلطان ٠٠٠٠ ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير؟ ماذا يحاولون ولا خطر محدقة بهم؟ بأي سبب ينمسون ورسل المنايا على أبوابهم؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في عجالات بميدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خلت بعد النباهة وضمت بعد القوة واستقرت بعد السيادة وضيقت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم الطل فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهمض هم أحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها إنما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مركز للنفوس مطهر للقلوب من أدران الحساس منور للعقول باشرق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمستغديه الى جميع فروع المدنية - فان كانت هذه شرعناها ولها وردت وعنها صدرت فسا تراه من عارض خطها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول ونبتذا ظهورها وحدوث بدع ليست منها في شيء اقامها المستعدون مقام الأصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أنى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حججاً بين الأمة وبين الحق الذي تشعر بنذاته أحياناً بين جوانبها ٠٠٠٠ فعلاجهما التلجم إنما يكون برجعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وإيقاد نيران

القيمة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثه من أحقاب طويلة والقلوب مطبئة اليه وفي زواياها نورخني من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نقشها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاتهم وجعلوا أصول دينهم الحق نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يلقوا بسيرهم متهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فيعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الانحسار ولا يكسبها الاتساع ، هل تعجب أيها القارئ من قلبي ان الاصول الدينية الحق المبرأة عن معذبات البدع تنشئ للأمة قوة الاتحاد وتثلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجيبي من عجبك أشد . هل نيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من المهمجية والشتات واتياف الدنيا والنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقراها وهدبها ونورعقلها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها تنبهت لها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها وقلوا الى بلادهم طلب بقرات وجالينوس وهندسة أقليدس وهيتة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيته في التمسك بأصول دينها

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لها استدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنيا وبعد الفانيات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفقتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسواقلها ثم بعد ماضى زمان من نشأتها أصابها من الأعطاط ما أصابها . فبيان أسباب الخلل فيها وعلاؤه فردله فصلاً مستقلاً في عدد آخر ان شاء الله هو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين ، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته لينخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أيي قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم أقطع منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخواتك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتاباً شوقاً مني اليك شديداً وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالجمل المجمل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فإذا كلهم يهرقون سفيان الثوري وشيئته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فإذا دخلها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الانبياء قال عباد (المعاد التاسع) (٨٥)

فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأني نزلت يباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فأرفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فقام منهم أحد يعرض علي الجالوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع ومسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولها بعباءة ته وأخذ قفله بيده ثم رماه الي من كان خلفه وقال يأخذه بعضكم بقرؤه فاني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده قال عباد فأخذوه بعضهم فحمله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقبلوه واكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه قليل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجزي به وان كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا قليل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم - من العبد المذنب سفيان بن صميد بن المنذر الثوري الي العبد المفلور بالآمال هارون الرشيد لقيت سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أني قد صرمت جملتك وقطعت ودك وقلت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك علي نفسك في كتابك بما هجمت به علي بيت مال المسلمين فأنتقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني علي نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وضوذي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت علي بيت مال المسلمين بنير رضاهم هل رضي بضعك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والأراذل والأيتام أم هل رضي بذلك خلق من رعبتك فشد يا هارون
منزرك وأعد للمسئلة جواباً ، وللبلاء جلباباً ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم
العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلالة العلم والزهد ولدي القرآن ومجالة
الاخبار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً ولظالمين اماماً يا هارون قدمت على
السرير ، ولبيت الحرير ، وأسبغت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجة رب
المالين ثم أقدمت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويذنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على
الناس فكيف بك يا هارون غداً اذا نادى المناادي من قبل الله تعالى (احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعران الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى
ويداك هؤلاء ان الى عنقك لا يفيكها ، لا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت
لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت
المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك زيادة على
سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتمظ بموعظتي التي
وعظتك بها واعلم آني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية فاتق الله
يا هارون واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلاقة عليهم واعلم
ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل
بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته
واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فايك اياك أن تكتب لي كتاباً
بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام»

قال عباد فأتني الى الكتاب منشوراً غير مطوي ولا محتوم فأخذته وأقبلت
الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فنادت يا أهل الكوفة فأجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلاً هرب من الله الى الله فأقبلوا الي بالدينارين
والدرهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جية صوف خشنة وعبادة قطوانية قال
فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فزأبني من كان على باب الخليفة ثم استوهذني فلما دخلت عليه وبصري على تلك الحالة قام وقدم ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللك يزول غني سر بما ثم ألبت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تهدر من عينيه ويقرأ ويشق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيق عليه السجن كنت تفعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المفرور من غررهم ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا فظفر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولمون به اذ أقبلت هواج هارون فكف الصبيان عن الولوج به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله السامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصورا عن عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانتق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار : قال أحضرت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو بيمك قال فرغ بهلول
 رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فقال أن يذكرك
 وينساني قال فأسبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة للمؤمن)
 وعن أحمد بن ابراهيم المقرئ قال كان أبو الحسن النوري رجلاً قليل الفضول
 لا يسأل عما لا يمينه، ولا ينتسح عما لا يحتاج اليه، وكان اذا رأى منكراً غيره ولو كان
 فيه ثلثه قتل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشركة الضعفاء ينظر للصلاة اذ
 رأى زورقاً فيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالتمار «لطف» فقرأه وأنكره لأنهم لم يصف
 في التجارات ولا في البيوع شيئاً يبرع به بلطف فقال للملاح ايش في هذه
 الدنان قال وايش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا
 القول ازداد تسطشاً الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال
 وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمتضد يريد ان
 يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تعطيني ذلك المصدري
 فاحتفظ الملاح عليه وقال فلنأمله أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المصدري في يده
 صعد الى الزورق ولم يزل يكسرهما دناً حتى أتى على آخرها الا دناً واحداً والملاح
 يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري
 وأشخصه الى حضرة المتضد وكان المتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه
 سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
 فلما رأيته قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة
 ولاي الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأتى الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال
 ما الذي حملك على ما صنعت قلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف
 مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأتى مكرراً في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال :
 كيف تخلف هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ قلت في تخلصه علة أخبر بها
 أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني قلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على
 (١) مورد ماء (٢) أى الحاكم المولى من الخليفة وهو كالحافظ في مصر (٣) المحتسب
 هو من يزيل الشكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك ونهر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فنابت هية انطاق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا الفن فاستشرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فنفت ولو أقدمت عليه بالخال الاول وكانت مل الدنيا دنان لكسرتها ولم أهال فقال المتضد اذهب فقد أطلقتنا يدك غير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين هلك يا أمير المؤمنين بغض الي التخيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المتضد ما حاجتك هلك يا أمير المؤمنين تأمر باخراجي سالما فأمر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المتضد ثم رجع الى بغداد

فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلموا على فضل الله تعالى أن يمحرمهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلبثها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والا كابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يقتخر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضاعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين • ولا تطيل هنا في وصفهم فحسبك ما قرأ في المثل الآتي ولكننا نقول ان الزمان لا يخلو من العلماء الخالصين وهو لا هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والعاذ بالله تعالى

الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :
 ما كانت مشيخة الأزهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من
 الحكام كما زارها في هذه السنين قد تناول العزل والابdal شيوخ هذا الجامع
 عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير
 وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم النون فاختار الأمير
 للمشيخة الشيخ سلبا البشري ثم عزله بمحض إراداته وولى مكانه السيد عليا
 اليللاوي بالاتفاق مع الحكومة أومع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي
 صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي باتفاق
 الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الأستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الإدارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الأمير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهجم
 الحكومة من الأزهر شيخان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة
 الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عزمت الحكومة على
 إنشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن
 سبب استقالة الشيخ محمد عبده من إدارة الأزهر مع حرصه على إصلاحه وأجبتنا
 عن ذلك بالإشارة إلى الشغب الذي بلغ في ذلك العهد غاية في ذلك المكان فإن
 بعض الشيخ القدين يترددون على قصر الأمير كانوا يحرضون مدرسي الأزهر
 على الشكوى من شيخ الأزهر ومجلس الإدارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذه
 من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الأكثرين أن الفرض من
 ذلك أن يستقيل شيخ الأزهر والفتي « رحمه الله » وأن الأمير هو الذي يريد
 ذلك . وأكد ذلك ما نشره تلك الهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرها
 من الجرائد التي تستخدم « المية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب
 الجوائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الأزهر وصفه بأوصاف فهم الناس
 منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشريفي الذي كان بعض بطانة الأمير يحاولون إقناعه

يقول المشيخة التي أيقنوا أن البلاوي مستقبل منها لما اتخذ لذلك من الأسباب الملتجة . ولما استقال السيد البلاوي وعين الشيخ الشريفي شيخاً للأزهر واحتفل بالباسم الخلة بحضور الأمير أقي الأمير ذلك الخطاب على الشيخ وكان مؤيداً لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما يهم الأمير وحكومته من الأزهر أن يكون في أمان وهدوء بعيد عن الشغب والقلق وأن يظل مدرسة دينية كما كان وربما كانوا يظنون أن سكون الأزهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه عن الأمير وإخلاصهم له هو مما يتجه جعل الشريفي شيخاً للأزهر لانه في مقدمة العلماء الأزهر بين الذين يرون وجوب بقاء الأزهر على حاله التي كان عليها في زمن تعلمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تمييز نظام التعليم وزيادة العلوم والفنون فيه ولكن جاء الأمر على قبض ما كان يظن أولئك الطائون فاستاء محبو الإصلاح من أهل الأزهر ترك الأستاذ الامام لإدارته كما استاء عقلاء المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة العتيقة فقد رأيتهم على عهد الشيخ الشريفي اشتد استياء من إدارة الأزهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا الى ذلك في العدد الماضي وكثر في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى من حال الأزهر والظمن في علمائه حتى ان بعض الافندية كتب في بعض الجرائد اليومية يقول في بيان جهل علماء الأزهر بالدين وقد التفتة بهم ما معناه ان الناس لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرايش وفي ذلك هضم لغير الأزهرين من حملة العمائم كاستاذة المدارس الاميرية وغيرهم هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها لنا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتدنا به عن علماء الأزهر تقيماً على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية وهي التي أظهر فيها استياء واستياء مسلمي الهند من ترك الأستاذ الامام للأزهر وطن فيها بعلمائه طعنات شديداً فلم نر نشرها في ذلك الوقت لمانع زال فنحن ننشرها الآن وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - وإياه نعبد وإياه نستعين

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دتمم بالعز والكرامة

سلام عليكم فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه النبي
الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الأئمة . وبعد فانا قد سررنا ونشطينا بحسن
ضيقكم البنا من نشر رسالتنا المشبعة الطوبى التي كتبناها اليكم في قضية علماء
الأزهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في محبتكم الباهرة الفراء التي
صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سررتي أيضا ما قد
استبعم ذلك بانتقادكم الحافظ البديع عقيب هذه الرسالة فحامون فيه عن علماء
الأزهر واستفراغكم الوسم بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي
أرقاها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو
ان تعفوا عني عما قد نجاست في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما
أحسب مما ليظن به بال احد او ان يندبه ما قد رآه أكثر أهل النظر في هؤلاء
العلماء من أنهم لا يحبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والطريق
في المدارس والكتليات ولا واحد عندي يقطع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب
قد علمت يا سيدي ان نصف علماء الأزهر وتصميمهم للعلوم الخلقية البالية وخالفتهم
للإصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد
شعنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما محبتكم الباهرة التي نصت على انهم
لا يجوزون المدول يسير عن المنوال الصيق الذي يجري عليه نصاب التدريس
في الجامع الأزهر ويخرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب
الدرس الحاضر فظنك بالعلوم العالية الأفرنجية وما هي فيه من المنهاج الجديد
في أرض أوروبا فأحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون ويتلون الجرائد
المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الفراء ليلا ونهارا أقتراهم يلقون عن
رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم
بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية قروض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وإن اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أقترى أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشئ من قلوبهم مما كان عندهم من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة وحاشاهم عن ذلك

فأما أتم قلتمري لم تألوا جهدا في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأنتم في بيان ذلك بجهل وكنهاها تنقد عليهما ونظري وزنها ورجعهما على مناج أصحاب النظر أما المحبة الاولى فتقولكم ان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يطلون أولادهم العلوم الدينية في المدارس الاميرية وغيرها الخ وأما الاخرى فتقولكم ولا يطلون بدين أفكار أمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوروبا الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم فضلا ولا ينجيهم أو يذب عنهم بشئ فقد عرفتم ما هو من دين علماء هذا العصر أنهم يقولون مالا يطلون ويفعلون مالا يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي الشيرازي وهو من معارف الشعراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا بخدم آموزند خويشتن سم وغل اندوزند

يعني بذلك أنهم يطلون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم بأنفسهم يكتزون الفضة ويحتكرون الطعام لأنفسهم (هـ) ومن دينهم أيضا أن لا يطلون بشئ على الأمراء والولاة كما لا يحرّموا من صلاتهم ولا يأخروا من استجلاب خبرهم ومبرراتهم بل وان تراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشتمون بشئ على أفعالهم ويشاركونهم في الاحداث الفظيعة التي يأتون بها في الدين فتراهم لا ينكرون عليها بل يماضونهم بمواقفتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي د فتاوى الأزهر فيقولون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتعظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الاعياد

(هـ) قال الشاعر العربي (وخموا لنا الديارهم برضوخنا اقويق حتى ما بدركنا نمل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه ثم انهم يقرعون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا للازهر قائلاً انك من اهل السلم لا يليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن « وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة » وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفاً لسنة لانه كان في الصدر الاول شمار الحواجز فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا المصير الى علماء الدين فانهم يحقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون «

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والف ظلم لعلماء الازهر ان يقال فيهم أنهم يعدون علوم الدنيا خطراً على الدين أو عائقاً عن علومه وانهم يجادلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين » الى آخره

وقد سلف منا مراراً اننا قد رأينا في الجواب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين بحجه كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله ويسدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة » فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول لمدير الجواب عاتقك الخيانة « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله بعد فيه وطلب فيه شرعه وبوخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له » ولما راجعه المدير واستحلفه بالسؤال قائلاً « هل حدث يا مولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطلوبة منه فتبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب لمخارب الدين وتطعن نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره » وتجاهر في آخر كلامه متظاهراً قائلاً « ان الازهر انما وجد لحفظ الدين ونشر علومه ليس الا وليتركه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحاً فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهل على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فلتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصديقكم في قولكم هذا وأنا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الأزهر بما اضطر الخديوي الي اتحاد الفتنة وخطاب شيخ الجامع الأزهر قائلا « ان الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية .. ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائما » ولا كان يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتي أن يكون البدوء سائدا في الأزهر الشريف والشعب بعيدا عنه فلا يشغل علمائه وطلبت ألا يتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن ريف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والواهام أو الايهام بالاقتوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فيمكن بعيدا عن الأزهر ومن كان أخنيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده ويث فيها ما يريد من الاقوال والآراء المذيرة للدين ولمصلحة الأزهر والأزهرين » (١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال ويرفها حق المرفة ثم يرتاب في أن هؤلاء العلماء اكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ويحبسون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة نور الاسلام ولم يري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الأزهر القبيح كان من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين صركا للفتنة وموطنا للمذلة ومعقلا للمستتر بقرموضها للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التي تدرس فيها لوجبتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المفلة من العلماء علوما دينية ولا تعبد فيها الا تقنين نبد من المسائل التي تسمثر منها العقول وتبع قبرها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستثير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالأجنبي هنا صاحب المنار

يسمع بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بذمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همهم في ان يحمل الناس على منهاج يستقدون به ان الاسلام يدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تنفعهم بشئ اما في الدنيا أو في الدين هذا شي من حاطم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسيهم ونظم الامور فيه فاقره اشهر من ان يذكر وايين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدرآباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلتيكم النار وبعد ذلك فهل تحسبون اننا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضمهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تأليفهم وكتبهم واسفارهم وزيروهم التي كانوا يملونها لنشر تلك العلوم ويخطاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخللان اني آنت ناراً في وادي هذه الفتون آتيكم منها بخير أو قبس لكم تصطلون » أوليس هؤلاء العلماء قد عمرُوا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطي على عمر الايري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرأونه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « اظلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الايري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بصيوان الفاظه

اولم يشر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرأ أكيداً في كثير من الآيات وكتب في

آخر ذلك ماتلك عيون الفاظه . وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى او لم يدرك هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه افاضل عصمة الله في التصريح بشرح التشرريح - للشيخ العلامة بهاء الدين الهاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشرريح فهو غيب في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حتى التفسير لا سراره الفاضلة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخطيبه مفصلا للحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عشب القرشي التيمي في بعض مقاطع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الثائفة فليرجع اليه

هذا وانه لن يذهب عنا الاسف والحمد الذي تجده في انفسنا من جهة قضية الخلد يوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا الصبر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرا به الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويسنون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيف من الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفطرة حذو القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعلمها والاخذ بما وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر القل وغياية الهوان والصغار التي اتقوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبيح به منظره وساءت بذلك هيئته وهم يفتنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارهاق في مطارج الغر والاعتلاء غامضين فلسفيا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مظنة لنور الاسلام ومحمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ، ومجلية له

عن عقرداره ومحلله وقراره ،

اوليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء
وينصائح لها الاولياء بالمويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكمت
على المسلمين سحائب القتل والهوان ، وجللتهم غياهب الطم من كل جانب
ومكان ، ابي نقطة في الوجود من قاطب الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا
يتصدع لها القلوب وتغطر بها الاكباد وتجيود لها المهاجر والا ماق بانهار الدماء
السائلات ، وتسكب لها قاني الامطار من القل الفائرات ، خرجت الممالك من
ايدانهم ، واضمطعت الدول التي بقيت في ايديهم كأنهم لا حراك لهم وصاروا في العالم
كأنهم الهمزة تداولها ايدي الاجانب وتلاعب بها اكف الابعاد ، بما خرجوا عن
امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصناعة
بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستقبحون شكلها ومنظرها ويستقلعون محلها
ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقير وجلب كل ماعون يسير ، من
أرض أروبا يستجلبون الفرس والسرجه للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا
يتخذون من ذلك شيئا بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا ضولة ، وما بقي عندهم
امرة ولا دولة ، وما عدهم فيهم وان كانوا يلبسون الى الف مليون نفس في العالم فيهم بعد
ليسوا في قعر من اقطار الدنيا ممن يتنخر هنالك بروجدهم ولا ممن يتفاخر بهم على
لسان وليهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوهم
اذا كان يرمى الى عددهم وافرادهم فاذا يكون من السبب الاصيل في ذلك ويد
من وهنت ذمة هذه الامور والتي احسب ان جل السبب في ذلك ليس
الافناهم عن العلوم الحديثة وتعاميم عنها وانهم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء
الذين ينزرون تلك الاوزار ويمجزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار القتل والصغار ومن
ثم قراهم يرفعون عن التعاليم النافذة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن
ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يسمعون
ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الامن جهة توغلهم
في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الي تنافهم في هذه العلوم الجديدة النافذة

دع عنك ادوا وانظر الي هذه الامة الحقيرة التي يقال لها أمة جايان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تيف على عدة سنين ولا تعد الا على انامل الآدميين ارتقاء مبهر ابهرت الانظار، وخسفت لها النواظر والابصار، انفس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقها الامم المتعدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادهشت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فاذا لدى قلبيا عن حالها القديم، وانكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم، ما ذلك الا من اجل تنافها في العلوم والحكم والأزهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقاها ومنوالها وانما الاسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي أورثتهم الارتفاع واورثنا الانحطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستعينون بمهام فيه ولكان كل واحد منهم مثلك ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا ولكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيئ فضاء الارض برحبا وينور العالم الاسلامي بسعته كلها بشعلة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العلام

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبت من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفاس والحض ينون يا التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك؟ كلا ولا كرامة وحاشاها عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير وتنام النفع في الدين والدنيا وكال الريح في الاخلاق والمدينة وعلمانا الاصول التي يانهتدي الي محصيل تلك العوائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

بأسرها . ولو كان علماء الأزهر مشاركين في آرائهم لملككم ومثل محمد بن عبده وينظرون
بنظر الامان في امضا آتكم البديعة الرشيدة التي علمت الدنيا ان الاحلام من وين سائر
المذاهب هو المذهب الواحد الذي يوجب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدينية
والعوائد المالية والقومية وهو الذي اتخذ العلم وانقل عين الايمان والدين وقسموا في
الاحل ولولم يكن الأزهريون يفتنون فلنا باطلان العلوم الدينية بأسرها منحصرة في
الفتنة ومقصودة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يتعداها ولا يمتد بها كثر هذه المطالب
ليست بمجدبة للعمل في هذه العصر والدهور ولو عرفوا ما في تعليمهم من ضياع العمر
ونضياع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حياء وهم يزعمون ان الولوع بهما يشيد
بناء الدين لا روي الطلبة الأزهريون كما هم اليوم في غايته من الفل والهوان ونهايتهم
من الضيق والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية
لكانت كلية كيمبرج وآ كسفورد تحسد الأزهر وتغبطها غبطة ما كان يحسد بها احد
وتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون
بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه العصر والازمان
هذا رأيي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على
اخبارها والام بتواريجها واني لقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني
ان العلماء هم العلة الاصلية لكل هذا الضيق والهوان وتنام تلك النكبة والخذلان
وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومسئولون من الله فليستعدوا للجواب فهم
الاصل الاصيل لجل هذه المفسد وكل تلك الشناع وانت يا اخي لا تستطيع وان
جهدت كل جهدك للمعاماة عن علماء الأزهر أن تغفل هذا المار عنهم وتدفع هذه
التبعة والتقصية منهم فانك لا تستطيع ان تكذب الحس والبيان ولا ان تدفع الوقائع التي
حدثت في لادهر والازمان افهذه الكلية التي مضت لبنتها الف سنة وتخرج منها
مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة
أفيحق ان يكون نيج التعليم في هذه الكلية بحيث يخرج منها طائفة من صماليك
الناس ومثاليين في الرقاب يتخذون غداءهم باللة وعشاءهم بالمسكنة ويبيتون
وهم مخذولون بالمسغبة أو يجدر بها أن يغفر فيها عن طريق التعليم التي يخرج
(التارخ ٩) (٨٧) (المجد التاسع)

منها أناس يرتفع بهم منار الدين ويقتد به نار الاسلام ويمو قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون الي لواحب الصعود والارتفاع ويزيدهم عزة وبهاء ويهيئ لهم فرائع الاصططاد والاختلاء وانما يحزننا أولا انا نجده المسلمين في أي مصر واية قطرة من قاطد الارض كانوا بأسرهم ذاهلين عن استغلال العلم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير مكترئين بها وثانيا انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولو احب الاكتساب منسة ومناهج التدريس مطروقة مفتوحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيق فيه الأعمار ويضاع فيها الفضة والنضار، ويصطلع الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النجس الباطل الماطل العتيق الذي لا يبعث المسلمون به للنهضة وينسلب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم انطاوية ويبغض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلاحا على أن يسموه تعليمادنيا وعلى أن يسموا الرجل الطارف بماتل شقي من الطلاق والرقبة والنفس والحيف رجلا طالما ولا غير هذا واني لست بمسهب مقاتلي في هذا الشأن ولا بمطنب في شكايي من علماء الزمان نظرا الى ما حوت مجلتيكم الباهرة القراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤونهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها وبمعزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فان الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وقسودان ففهما للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء وانما بي وحزني على ذلك من جهة ان الازهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الأعمار والاعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع القاصد المالية والمدنية في الاسلام ولا غير ولو قبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده وبادروها بالقبول لكانت فاعل منه خروج المسلمين من غيابة القل والنسكة وتترقب صعودهم الى أعلى ثمن الفوز والسعادة ولكن عليكم ببدان لا تياسوا من روح الله وتجدوا كل الجدة في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين، وكتب يوم الخميس ٢٥١ هـ من شهر ربيع الآخر وأنا غفلكم الصفي الوفي (بحسن الملك)

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ بن حيت - تابع لما في الجزء السادس

مسألة المسائل الدينية

(المسألة الأولى من الحديث) نص حديث جابر عند ابن ماجه وأورده الشيخ بن حيت محرراً فأشرنا إلى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الإشارة التفرقة بين عبارة الحديث عنده وهي «إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارة عند روايه (ابن ماجه) وهي «إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله بسلطان معناه بسلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالإشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ما قلناه وإن كان خطأ رجع إلى الكتب التي من شأنها أن تذكر هذا الحديث وكتب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانعه (ص ٣٢)

«وتقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوبيض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزواته في الرسالة إليه وقد ذكره في كنز العمال مطولاً ونسبه لليبي وفيه ألقاظ لا توجد في البرق وجاء في آخره : ألا لاؤ من امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مرمياً إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في متقى الأخبار باللفظ الذي ذكره المتعرض وله قصوره قصر الرواية عليه اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة أن الحديث ذكر في المذهب وشرح الاقناع قال «وذكره ابن ماجه في سننه مطولاً» وذكر آخره عنه وفيه «إلا أن يقهره سلطان» ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أوردوه في كتبهم واستنبط من ذلك أن «كل من احتج به في موضع اقتصر منه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنه أحد ولا ضرر في اختلاف اللفاظ مع اتحاد المعنى

الآن ترى ان ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعراض على الناس يعني ويصم نفوذ بالله من ذلك « اهـ

أقول قد أخطأ الشيخ نجيب في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لاني الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وايست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه ما لم يروه ولا يخرج من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عزا حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر من عبارته في رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانصه : « وما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يخلد الفضة و يأذن بالجمعة ان يكون مسلماً بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « وساق الحديث وذكر في آخره (اهـ) ثم قال في ابتداء كلامه هكذا

« ولذا قال في النهاية وغيرها ويجوز التقليد من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر في المائت والاسلام ليس بشرط فيه أي في سلطان الذي يخلد اهـ كلامها « ثم ابتداء كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اهن البرق الوميض : فهل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟ كلا بل هو يغالط أو يكتب مالا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها ويرتق بها فاحتجاجة بنقله لحديث ابن ماجه لاقيمة له . ولعل اقتضاه على نقل الحديث عنه أدل على قوة الاطلاع - ولا نقول على الجهل بالحديث وكتبه - من اقتصرنا على عبارة متقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المروية بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كثرة المال نسب حديثه المطايل الى البيهقي يفهم منه انه لم

يمرّه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب أنه عزاه الى ابن ماجه البیهقي ولا تقول ان الشيخ نجيباً لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه» (خامساً) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تمصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادساً) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواة له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البیهقي كافي كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتاج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علت نص ابن ماجه وأما البیهقي فهذا نصه كافي السنن الكبرى:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البهري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي أنا يزيد بن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلاً فن تركها في حياتي أو بسدي جعوردا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له الا ولا حج له الا ولا بر له حتى يتوب فان تاب الله عليه . الا ولا يؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر موثنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اهقول البیهقي

أقول ومنه تعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث وبين جرح راويه ليعلم أنه لا يحتاج به . ومن
نفس من البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « إلا أن يهره بما طاز »
تعلم أن ما في كثر الحال من الثقل عنهما محرف
وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وإنما حديثه خاص بفرضية الجمية
ليس فيها ذكر الامامة ولا التبر بالسلطان فهو لا يمد طريقا ليقوى به الحديث
فما هنا النفس والتليس

﴿ المسألة الثالثة - سند الحديث ﴾

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في ثبات المعجالة في كون الحديث منكرا أو موضوعا
لقول البخاري في راويه القيسي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم
أنا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكره عن البخاري
وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني إن الحديث منكرا أو موضوع
كما اجتراً عليه المترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن
في نفس من الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لنعرف على
حقيقة الحال ثم نقبه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض
ما قيل في رجاله واحدا واحدا ثم قال (ص ٣٨)

« وما أوضحنا لك في الرجال تعلم أن كلا من محمد بن عبد الله بن نعيم
والوليد بن بكير ثقة عدل لأطمن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن
عبد الله بن محمد المدوني ورواه محمد بن عبد الله بن نعيم وهو ثقة عن الوليد وقد
تابع محمد بن عبد الله المدوني في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وأن الطعن
فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وإن علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيان
والحامدان وخاني وكفي بذلك توثيقا وتعديلا وقد خرج له الاربعة والبخاري في
الأدب وسلم في صحيحه وإن قرن مع غيره وبالجملة فلم يطمئن على أحد من
رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فتاوية ما يقتضيه
ضنف هذا الراوي المطمئن فيه . وضنف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث
إلا إذا عارضه ما هو أقوى فيقيم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي
وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فن
المنكر قد اختلفوا فيه فقال في انتقيح هو ما لم يروه أصحاب السنن والماينسد
والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كمسند أحمد ومسجم
الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرهما مع شدة حاجتهم اليه اهـ

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لتأخري الحديثين واعتد بقول
التقريب بالتفصيل فيه كالناذ قال « وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا
وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بنحيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم
الحديث ولا بوجه الالام وأنما يرجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان
يوفق غرضه وأما انه يحرف الكلم عن مواضعه ويدلس و... و... عامدا عالما والأول
هو الأنظر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما نرى من أنواع الخطأ وهي

« ١ » جعل الوليد بن بكير كـ محمد بن عبد الله بن نمير عدلا لاطعن فيه
وقد قل الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقة غير ابن حبان وقد نسب بعضهم
ابن حبان الى التماسهل في التمديل وقالوا انه واسم الخطوط في باب التوثيق يوثق
كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للسبوطي وفتح المغيث للسخاوي
تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يحمل الحسن
صحيحا وانه كان يوثق من لم يظن فيه أحد . ولم يند الذهبي قول أبي حاتم
فيه (شيخ) وثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب
حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه
ثقة كـ محمد ابن عبد الله بن نمير الذي روى عنه الشيخان ؟؟

« ٢ » قوله ان الطعن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقرئ
المؤرخ صاحب فنج الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتمديد وقوله هذا
لا يستد به فان الجرح المفسر مقدم على التمديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح
فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بنحيت عن الشوكاني

وعن ابن باب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قال فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدرى الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قلب . وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فإذا أجلناه عن الكذب فهل نجله عن القول بالجهل بالحديث الذي أبد كلام ابن باب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدرى الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بنيت من مسألة الفرارة والجواب ان الذي نقله عن المقرئ فيها ليس بشي . فان الذين يقولون بالاجازة لا يبدون من أجيز بفرارة من الكذب (أي جولو) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويا لها ضابطا لما فيها بحيث يحتاج بمتابعته في تقوية منكر الحديث . فليت شعري هل فهم الشيخ بنيت هذا فأغضض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كان يحكي القبطان ينقي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتوجب منه فان الطعن بالفسق ليس من أفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج روايتهم وكان الشيخ بنيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن تحوت العامة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا فله فهو اثم فانهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لا تقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا الجرح مراتب ليس

فيا شي من قيل ألقاب السباب الالط الكذب هو يذكركه الجمهور
للضرورة ومنهم من ينفذه عنه كالبخاري وقتما يصرحون بصدق الفاسق وكل ما قلنا
عنهم من ألقاب الجرح في رواية هذا الحديث معناه ان الجرح ليس عدلا لا الجرح
يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث
في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطمئن
على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيد شي في تقوية سنده وجعله مما
يحتاج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن نمير منهم وحسبهم
أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال
فيه ذلك لا يحمل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا يحمل الرواية عنه
ثقة عدل يحتاج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بانه بعد
(٦) قوله أنهم لم ينفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان
يشترط في الاعداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم
على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن متن الحديث منكر :
لا يفيد بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله إن ضعف الرواة الحديث لا يسقط
الاحتجاج به ولن يصح فإن كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج
بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتاج به على القول بأنه
معنى الشاذ وهو ما علمده وان كان غير معتمد في نفسه وإنما المستند من أقوال
كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يمتنعان في كون الراوي
قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكون رايه ثمة والمنكر بكون رايه
ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وإنما توهم من توهم ان الشاذ والمذكر واحد
من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وإنما قلنا في تلك المجلة ان الحديث منكر
أو موضوع بناء على انفراد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعداد بمتابعة عبد
الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد بصوا على أن التميمي هذا
(التار ٩: ٩) (٨٨) (المجلد التاسع)

لا يتابع وإذا تفرّد منكر الحديث أو من يضمنه بحديث كان ممن الحديث منكرًا أو موضوعًا. فإذا أثبت الشيخ بخصيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذاك خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟
آية من آيات دقة الشيخ بخصيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحمي الكتاني القاسمي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدّد في القرب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري مانعه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما ستبينه فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الاثام المعركة تام الورع اه فقول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا المن موضوع ولو كان موضوعًا مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعلم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المن واهيا قال الحافظ عبد الحمي القاسمي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستئناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضعيفين يطلبان قويا اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخصيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألقاظ الجرح عند المحدّثين ثم لا يراها جارحة له مستقلة لعدالته مأمنة من الاحتجاج بحديثه . ومن دقيق علمه انه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا اذ جعل الاول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه يستحي منها وإذا علم ان تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المعلم اذ لا أظن انه يخفي عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به مما أنه غير عدل فمبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منك الحديث أي لا تحمل الرواية عنه أو هذه أشد وأما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أي القاري من هو الحافظ عبد الحلي الكتاني القاسي الذي يقتبس الشيخ بحيث من علمه بالحديث ويخرج بقوله ورأيه ؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذي مر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسلة رسالة له حاول فيها تصنيف حديث البسطة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ بحيث حافظا ليجتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث وجملته القول في سند هذا الحديث أن الشيخ بحيث ادعى انه لم يطلع أحد في رجال سنده عند ابن ماجة بما يسقط عدالتها وانه مروى من عدة طرق يقوي بعضها بعضها وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتصحيح عليه معتبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

أصول الاسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاء نامن الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النطاسي محمد توفيق أفندي صدقي بعد انه محمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجنبي ورسوله المصطفى وآله وصحبه قلقد قرأنا قائلتك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشدت من العلماء من يساجلك القول ويادلك الحمجة حتى ينتهي البحث الى الحق الذي لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبا تائبك وأينك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظر لك ان شاء الله تعالى بما لا تري فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد امكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق الذي نشده جميعا فاما تهدي بالي رفاق، والا فقد بلغ أحدنا من مناظرة عذرا وكثيرا ما ابتدأت

المنافرة بالماترة وانتهت بسلاح، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نأل الله تعالى ان يافينا ويايك من هذا البلاء اعلم وقفنا الله ويايك ان اصلا الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك اتخذته وحده التكاأة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنازع عن نفسك فيما ذهبت بها واما السنة فلاننا تثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستند، وعليه تستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لئبين للناس ما نزل اليهم) وليس هناك من معنى لئبين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم ينسب لها باليان، ومثله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لئبين لهم) وقال تعالى (كأرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لا كتنفي بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التعليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شيء آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وطاعة الله لا شك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان تمت دواعي التكرار، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي مجدهوه مكنو با عندهم في التوراة والانجيل يحمل لهم الطيبات ويحرم عليه الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحمل الرسول والتدريج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو إشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ما جاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بان كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، إنما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بأمره بعد أن قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطيع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) أو يخويف المخالفين لأمره والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فخالفه الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لأمر الكتاب الصريح

وقد استدلت على أن الإسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وعلى تسليم أن المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فإن أردت أن القرآن لم يفرط في شيء من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع أن نواظرك على هذا احتراماً لكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فإن القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة إلا يسيراً ، وإن أردت أن الكتاب لم يفرط في شيء من الدين على سبيل الإجمال قلنا نعم فإن القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وأنت خير بان ذكرها بحجة ليس كافياً استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة ويحرم المعاملة ، على أننا نقول أن القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وجزئياً فإن ما لم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب إما مباشرة ، وإما باتباع ما ينص عليه الرسول الأمين

﴿ عصمة السنة الصحيحة ونها من الله قطعاً ﴾

لأنه بكت تخاف في أن الرسول معصوم ، وإن كل ما يجري على لسانه أو أوبدو من عهده إنما هو بأمره أو الإلهام أو الإلهي الصادق ، وما كان الرسول أن يشرع شرعاً يتعبد الناس به من عند نفسه وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحى (وحى) فأمر الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال ثمة للسؤال بأنه - هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه الكتاب فإن الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الأمر شيء) وإنما الذي يفرض هو الله المحكم ومظهر هذا الفرض إما أن يجري على لسان النبي العظيم ، أو يحكي

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتها الا مرا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (من يعلم الرسول فقد اطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة بيننا وبين الله العظيم فقرأنا كأن أو غير قرآن ، والقول «نعمز بالله» بدم حجبة الرسول قول بالاولى بدم حجبة الكتاب فاننا لم تأخذ الكتاب الامنه ، ولم نلقه الا عنه ، وهو أمين الله على وجهه ، وجهه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب - لاشك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقه الذي انصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدأ الى الآن منعقد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانما أصل من أصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا كالمقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

﴿عصمة الشريعة كلها﴾

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك ، من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها كتابها وسنتها - لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق الزوم لما علمت من انها كناية لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكليف وعليها تدور الاحكام

والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قبض للكتاب العدد الجم من ثمانية الحفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئین ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بهم لهذا الفرض أحسن الأداء

فمنهم من استفد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعية على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الفراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصاريح هذه اللغات في النطق بها ونصبا وابدا لا قلبا واتباعا قطعا وافرادا وجما الى غير ذلك من وجوه نصاريتها والأفراد التركيب ، ومنهم من قصر عمره - وهو طويل - على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من الثقة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وعرفوا التواريخ وصحة الدعوي في أخذ فلان عن فلان حتى استقر اثبات المعمول به من الحديث الشريف فلا محل للدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء اليها بطريق التواتر القطعي ، واذ كان نقل الكتاب المزبوم العدول الضابط الملتزم بالامانة فان نقل الحديث ورواه ان لم يكونوا هم باعيانهم فأنهم لا يقبلون عنهم في العدالة والحفظ والضبط والثقة والامانة فن ظن في صحة السنة فقد ظن في صحة الكتاب أيضا

وقد علمت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعالييل نرى من الحنم علينا

الالام بها جملة ، ونعقبا بها يكفي لدفعها

(١) كون من القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمرته (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بجملة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه للمالين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بوقيده كتابة ، وتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

وقول - (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بالدعوى

من قوله عن النبي بالانظ بدون زيادة ولا نقصان فإن هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان ، على انك ان عددت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لا ما جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان . بل ولعل كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم (٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن المدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بمقتضى صدور جماعة من الصحابة غير ممكن تواطؤهم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى نصرنا هذا ، على اننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام ، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يمزج عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ، بل نحن لم نقطع بمحصول الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذاك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في صحة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المباني لايات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلوه طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام ، فانا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نحظ بروية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد بقينا لصحة امره ، فسلمت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقلت لنا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب منك ان العرب كانت أمة أمية أجهل اعماها في حفظ ما أورثها كان على الصدور لا السطور (٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبلغ بالنفس في تأكيد صحة أسانيد السنة ، اذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من اتلاعب والفساد ما قد حصل» انزعي بذلك السنة الصحيحة المتعد بها، والمتعد عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالهما أجمعت الأمة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول قد طعن في القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نقول منه على شيء.

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه للعالمين شيء» بالكتابة سوى القرآن» ففي هذه المقدمة - أو شبه المقدمة - فطر ، على اننا لو نزلنا بنسليهما لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة والسلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا ، ويعلمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة ، ولا اعتمد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة، نعم يقال انه كان يكفي بمحفظهم من الكتاب ، ونقول انه كان كذلك يكتفي بمحفظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة ، ورسائل مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايدان بصحة سنة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الاملاع الى الفرض الذي سرحم اليه ، وما كونه لم يترك أثرا من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يقرب عليه شيء ما نحن فيه ولو كان الامر كما نرى فبم كان يعلم الناس كيفيات الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟

نرى اننا بعد هذا في غنى من التماس الطل لكتابة القرآن دون السنة فنحن قائلون من أصل الامة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها وان كنا

نناقشك في هذا الرد

قلت «فإن قيل إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاثيان بمثله» وتقول إن إعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية القصيرة مثلاً ، فلا مانع إذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من أن تنبه إلى المصاب بمخرج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على أن عدم التباس القرآن بغيره إنما يتحقق في حق العربي الخبير بأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، ولكنه غير متحقق أصلاً في جانب غيره أعجباً كان أو من هؤلاء المستعربين

على أننا نرجع إلى أصل الموضوع فنقول إن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إنما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الافليح الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرأنا كان أو سئله وقد قال تخصيصاً لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجم)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه إلا منك ، فإن المقرر المعروف أن فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا أن روايته تابعة لفهمه ، وإذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبلغ الافهام فاحر بها أن لا تساق أصلاً . وكيف يجوز الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولاً ؟ وإذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه إذا غاب عن الراوي انقطاع فبجائز لأن المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعمد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

— فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده —

إن المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه . وغزر علمه . لا بد وإن تعرضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنياً في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا مفسحاً بما يكون

بُلفظة المهندي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افراد مختلفة الحدود على سبيل البذل لافسة كالقمر في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطمهر) وهنا لا يسميه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التمسك بالترجيح بلا مرجح ، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثلثان وعندها حيضتان) فإنه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكأن يرى المجتهد أيضا من لفظ الكتاب ما زدهم فيه المعاني واشبهه المراد به شتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإن الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأبي دعاء وأي نماء أريد في الكتاب ؟ لابد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد غيبه النبي ويده بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزّلنا اليك القرآن كرتين للناس ما نزل اليهم) فالمستنبط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسه تبين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم نوص به في الكتاب مما انمقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتفتي به في كل احكام الدين مستحيل ﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وأما بهذا الوصف نقلت اليها نقلا متواترا لاشبهة فيه . أما هي بحسب الشخص فمنها الثواتر وهو (مارواه جماعة لا يتوهم تواطؤهم على الكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه ككافيه) وهو موجب لليقين كإيمان علماء ضروريا فهو كالكتاب في صحة متنه ، وصدق عزوه ، بحيث يكفر منكزه قطعا لأنه حجة للمستيقن بأنه من الله — وفيها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الاصل ثم اشتهر شهرة مسنفة فيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدول الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . وإذا كان القائل يقاد منه بسنك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بحزمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدول الثقة الاوفياء من صحابة رسول الله وتابعيه . بل لو شئت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد بل لا وردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متصدا بها فيما كان عبادة ومعتقد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ما ورد من الاحاديث الصحيحة المعمول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو اما ان يكون من الاصل أو النقل أما من الاصل فستحيل لأنك ولا شك تعرف منابر جوب الصدق والفظنة والمصدا لجميع الانبياء وليس بشي من هذه الراجيات ان يحدث النبي في شرع الله بالتضارب المتناقض بل هذا والياد بالله تعالى كذب لا يجوز لمسلم ان يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحق وقلنا ان ثقة السنة هم العدول الثقة الخ . وليس «لوع المتقدمين بمجمع روايات الحديث مدعاة الى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى الى حفظها وصيانتها . ولعلك لم تهتك قراءة شي من تاريخ أولئك الاخبار الهاميين الذين تهرمت أعمارهم في هذا السبيل اذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والاكثر متقبلا بين الاقطار والاصقاع لنقل البدر بين منازل التماسا لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقة الامناء ، ولو انه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد رواه قضي يديه منه ، واقلب الى أهله خاويا من ذلك الحديث وقاضه . واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي واخراهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المعتبر به ، والمعمل عليه ، وقولك بعد « ان المجتهدين تحققوا ان أكثر الاحاديث موضوعات » هو حجة لنا أيضا لان تميزهم للموضوع والضيف تمييز - ولو بطريق الزوم - لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم اما الصحابة الذين تلقوا الاحاديث بآذانهم عن فم الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لا يختلف الى صحيح وموضوع وضيع لان هذه الفروق انما هي راجعة الى قوة السنن وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكریم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح مقطوع المن
كالقرآن واما غير هؤلاء ممن لم يتلق الحديث الكریم الا بالواسطة وهذه الواسطة
اما ان تكون موجبة للیقین كما اذا كانت اتوار أو الظن بالخبر كما اذا كانت
غيره من الطرق المتبر التي أغلبها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا للیقین
اذ التكليف بالیقین تكليف بما لا يطلق أو موجب للخرج على الأقل وهو مدفوع
بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكلفا بما اذا كانت
الاحكام غير مقطوعة الثبوت - كافي الاخبار الاحادية - الا بالبحث والتقیب
للمل بالأقرب الى یقینه وهو الأرجح في غلته والاخبار الاحادية الصحيحة
تبلغ ولا شك هذا المقدار فالمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام
الاحادیث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا یقدح في وجوب
العمل بها كالا یقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلالتها ظنية -
وان كانت مقطوعة الثبوت - كل مجتهد بحملها على الوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه
وفهمه ، فالقول بان المجتهدین كلهم على حق ليس « قولا باجتماع القیضین »
بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائر بینهم ، وتصينه في جانب
واحد دون الباقي تصف ، بل المراد ان كل مجتهد یبحث عن الحق بما في وسعه
حتى اهتدى الى النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها
الحق بالنسبة له ، والذي لا یجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج ببلوغه من عمدة
التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعا على الحق من هذا الوجه

ولیس تمت تمارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لا للكتاب ولا لبعضها
البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجمل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو
غير ذلك مما یحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما یخالف ظاهره منها الكتاب
فكما یرد في كثير من الآيات یخالف بعضه ظاهر بعض فمؤول فيه حتى یطابق
النص الكریم وسواء أخذنا بقول القائِلین بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا
صح التمارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الداهین الى انه لا شيء من السنة
یباحث للكتاب لانه لا یقع بینهما التمارض بالفعل أصلا ، فلا تمارض هناك مطلقا

وبن السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو الظاهر المحكم بأخر كافي آتى العدة ، والتعارض ببقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يروى من الاحاديث مخالفاً بعضها لظاهر بعض أي انه يتأول في أحدها حتى يطابق الآخر ، أو يكون بعضها ناسخاً للبعض اذا تعارضوا ولم يمكن التعليل . فاختلاف المجتهدين راجع اعمالى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالة على الحكم ظنية وهذا يستوي فيه الاستنباط . من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد منهم حديثاً لم يصح عند الآخر - مع طول البحث وفرما الجهد - أولم يصل الى علمه أصلاً . وقد يكون أحدهما ناسخاً أو مطلقاً ، والثاني منسوخاً أو مقيداً مثلاً . ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا للزم الخرج وهو مدفوع على ان هذا ليس خاصاً بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضاً كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فروده) فغير صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان يكون معناه اذا حدثت حديثاً فخالف الكتاب فردوه فان الرسول معصوم باتفاق عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه ، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس للكتاب حفظاً ، وأعظمهم لآيانه تديراً ، وأكثرهم لها ذكراً ، فتمين المعنى اذا صح الخبر « اذا روي لكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه على كتاب الله فاذا خالف فروده فانه ليس من مقولتي » والله أعلم ، أما الوارد من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه ، وسواء صح هذا الخبر أو لم يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام ، وأيضاً لو كان لا مراً كما رأيت من ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة الا ما دافقه منها نصاً (طبعاً) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو مجموع متواتر لا شبهة فيه بمقتضى تصان عنه أفعال المتأخرين فضلاً عن الانبياء ، مادام هو بيده الذي نص عليه صريح الكتاب ، ولكن لا يليق بمقام الرسول الكريم ان لا يتحدث بتحديث مطلقاً حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبره لو كان — أي
الوضوء من القمي — واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولم يثبت
ظاهره بالمعنى الذي فهمته ما أسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ما عينا
بتفسيره على ماوافق اجماع المسلمين على انه قد وردت السنة الصحيحة الصريحة
في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه انه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه
من العلم والدين والثقة — أي امرأة أصل الشمر فهل يحمل ذلك لي فقال
لا يحمل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لو قرأت كتاب الله لوجدته
فيه فقالت أي قرأت ما بين الدفتين فلم أجده قال ألم تقرأني (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله مانولى ونصله جهنم وماءت مصيرا) « وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير
اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعة والمغرب ثلاثا وكون
نصاب الضأن أربعة وسبعين والبقرة ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي
فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي
خالفت اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

— أثبت القياس فكيفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر
للقياس بطريق الاولى ، على اننا شتيتها جميعا
(المنار) لهذه المقالة ثمة عنوانها (العقل والدين) ويلبها بقية الرد وقد نشرنا
عبارته برمتها على طولها نراها واستفادنا الله قصد

« (نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب التوراة والتعاليم

لكتاب العاشر (*)

من أراهم الى ولده

عن لوندرة في ١٨ فبراير سنة ١٨٦٠

لاحق لك يا عزيزي هامل في أن تكون بلا رأي سياسي قائما وجبل يعيش في قوم ويظهر منبر لا لا يتعارض بينهم من المصالح غافلا عما يتقاسم عقولهم من المذاهب فهو غاية في المقارنة والخسة وكان حق أن ينشأ بين المتوحشين بل المتوحشون يشتغلون بمصالح قبيلتهم بغيره وحيمة نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا الناس في الأزمان الغابرة أنهم من عند الله لسياستهم وتدير شؤونهم وكان عمل الرعايا على هذا القرض قد قصر على الطاعة المطلقة لأمرهم فكأوا منكأولاً لأنهم وخاصتهم كانتك الأرض ولاحق للأرض في أن شور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد الهندية جهدي العلم من أنصار هذا الحق الإلهي الذي يزعمه الملوك إلا التزاليس و قد قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوافين الإلهية ثم دل التاريخ على أن السلاطين كانوا يقطعون من عروشهم ولم تكن عناية الله تأخذ صلاحها لهم وأنه كان من الميسور للأمر كل اليسر أن يستغنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب هامل القرن التاسع عشر في التوراة

(١) مادعاء الكتاب من تأكيد الملوك لرعاياهم أنهم من عند الله أمر ثابت في التاريخ بل قد بلغ الملوك هذه الدعوى بعضهم أن ادعى الألوهية والصحيح المعروف لدوي القول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبدة استغلواهم الله في الأرض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فان أحسنوا الخلافة سعدوا ومصلحتهم رعاياهم وإن أساءوا شقوا وشقوا بهم «يادارد انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المصوم الذي لم يكذب يبق للانسان جرأة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لا يزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاداي حكومة من الحكومات تستقر حتى تدعي أنها حلت محل الحكومين في أفكارهم وعرائثهم ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم وبلوغهم فيه حشد الجبن أن يعطوا شبانها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسم الاب منهم بقول لابنه : « يا بني ان لك أن تفتني وتزوج وتحصل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حقل الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ووزعوا الثوبات والمقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفس منخرية التي تحرق أموال الماندين للنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فلا حزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلمها واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط أن تقهره عليها لا فائدة للحر من الاشتغال بمصالح غيره » والماعقل من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها (١)

وأما الامم الحرة فالأمر فيها تجري على ما يخالف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يمدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الإلهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الإلهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء نصيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جبل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة في خلقه وأنه تتره ان يحتاج في النصرة الى الاستعانة بهذه أو سلاح

(١) المثل العربي « لا تدخل بين العصا ولحائها »

السياسية ضرراً بالمعيشة البينية بل هم يجنون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجد ان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت ان جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيما من هي غالية في التدهن ومنها من هي غابة في الجوع ومنها من هي متطوعة في التأنق فتدني أن الوسيلة الى ترقية أخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولاصراً في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية ان تنزل من السماء وان من الحق والجنون أن تنتظرها أمة من حكماها لان جميع الحكومات المستبدية مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضي الحكام حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحياناً حذقاً منهم في تصريفها وحزمها ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يرتجون تصريف شكيبتها الى أيديهم أيست الحرية بجميع أنواعها مما يعطى ويوجب بل هي مما يغضب بالجهاد والمكافحة فتشده كفاح العقول والمزامم وبجسلة اخلاص المخلصين الخاملين وتصاب من لا يستخذون لذلك من افراد الامة هي التي بضريرة الاحوال نفسها تذكر غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه ورده الى أربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يلي بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقاً أن أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للمعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لاننا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة القيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست العصور التي تعذبني وتؤلمي هي التي تسعى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي تلحد فيها الى الدعة من غير أن تنال حريتها

ان لدائي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتهي بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظاً وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من زلاتنا وتجار بنا

انا قد غلونا فيما رجونا من تصريف الزمان وكلامات نفسي عن مسبب مصائبنا خطائنا أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بهداً عن الايمان يومئذ بالمعجزة ذلك أنه يمشد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق مؤقت الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة ثلاثي بيوت حاكمة كانت تعقد مشاة دعائها وزوال مقاصد البعض الطامعين من رجالها الذين كانوا يدعون المستقل لانفسهم ثم انما لما انتصرت انتصارها العقيم القصير المدة كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصارعها أقل بكثير من اشتغالها باختيار الرجال الذين اتقى اليهم لاتفاق زمام سياستها نعم ان شكل الحكومة واختيار الرجال الذين صرفون زمامها ليس مما لا يعنى به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي المنشئة لحريتها على اختلاف ظروفها . قد مضى زمن المسحاء فلن يرى بعد الآن لافي شكل حكومة منجية ولا في صودة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى فليتنا أن نخلص أنفسنا من خداع الناس ونطهرها من وثية الاوهام لأن الامم لاتزال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية وثية للطبيعة (١) ولا بالبخت فلة نظر فرنسا في نفسها تجد أن بختها هو عزيمتها .

أنت حدث ومغرب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن عقلك الجهل والالوهة والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الخفاة الغاشمين اذا فعات ذلك كنت قد أدت في سميك الى الحية شيئاً من العمل . التعلم اثمار بالشر لا سداً صاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرير أبناء الوطن من ملكة الاستغلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من زمان بعيد فإما أن يكون هذا هو ينموع ما أصابنا من ضروب العجز وإما أن أكون مخضاً خطأً باحثاً . لاحق لنا ان نعيب على الانترك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنعن

(١) انكار الكتاب تأثير السلطة الغيبية بمعنى الله جل شأنه في حرية الامم
أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثه

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أنا تابعون لبخت يومنا خاضعون لمقدور سياسنا مؤدون
 ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح نخود
 الهمم والاحلال المزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة
 وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي
 واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده . اذا ظهر الشر والفساد في
 الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس
 يكفي الرجل الصالح اقتناره أحيانا بأن يتخيل في نفسه عالما آخر يجري فيه معتقده
 ويشرف من أعاليه على أمور دهره فيحترق ما ل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في كلفه
 ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فانت تعرف كلمة جوفينال (١)

فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في زمان التدي من خمود النفوس وأثرة النواكل
 وبلة الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك
 في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على ازالة الازمان
 هي التي يأتي فيها للنفوس الأية أن تشد وتثبت في تيار الدمار فعلمنا ان لم نأمن من
 نفوسنا كفاية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماتوا
 من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويمالجون عبي البصائر قبل أن ينجوا بمسار
 كدم ومن خروا من منابرهم من الخطباء مخضعين بدما ثم ومن حكم عليهم من
 العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المنوية
 وتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من السجون المظلمة والمناقي وأنواع المذاب والنكسل
 ما يشهد لنا بنزاهة مصادنا نزاهة لاتدافع . ألا ان لواء الحرية يخال جميع المقاتلين
 والمكروبين والمهينين في سبيل نادية ما فرض عليهم بهذا الاواسيكون لنا الفوز والظفر
 وعلى هذا الاعتقاد أقبلنا قبله الوداع اه

(١) جوفينال كاتب لانيثي هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من
 الميلاد ومات في عهد الاتونيين . يت من موت الملائكة في روما

أنا علي بن الحسين

﴿حواء الجديدة - أو - إيفون موزار﴾

ألف قولاً أفندي الحداد قصة صور فيها كيف ينوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتنظر إلى البقاء فيحقرها الناس من دونه وهم ظالمون وبالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذرا الفواجر أو كادو وعذب كتاباً القصص في المسائل الاجتماعية. وقد كتب إلي كتاباً أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه أنه يرغب الوقوف على رأي (علمائنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبته بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت إلي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة. أدراك أحسنت في التصوير والتخييل. واعتصمت بحجوة النزاهة والأدب في التعبير. وأرائي استعبرت لغير ما عبادة في القصة. أما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفاً عندي قرأت وسمعت فيه شيئاً عن الأفرنج وفكرت فيه كثيراً ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت إليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بني شقيق في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يمزأن يوجدي في بلادنا بني لهامن مكارم الأخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض ما رويت عن « إيفون موزار » ويوشك أن يوجد لها ندى في بلاد الأفرنج مكان التربية الدينية والأدبية عديم كما وصفت من تربيتها فأكثرونها - إن لم تقل كلهن - قوارير أقدار، وقرارات وقاحة رصغار، لافائدة من تصفير جرائرهن، وعطف القلوب عليهن، إلا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهم ممن يحزن لشقاؤهن ويصدق أن أ كثرهن مكروهات على الفجور كارهات للبذاء لو وجدن مخرجاً منه لهرعن إليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لإنشاء ملجأ يروي من يربد التوبة ومنه وبغني
عن طالب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون
للاعتذار عنهن والاستطعام عليهن فائدة

لك أن تصف من شئناهن بما شئت من اسباب، لتندر المعروضات لمثل فعلهن
أن يتدهورن في هاوتهن، ولك أن تصف من فساد الفاسقين وشوه من سيرتهم بما
استطعت من إطناب، لتفرعن، مثل عمالهن، وتحدرن الفتاة الفاسقة من تقريرهم، فتكون على
بصيرة من حاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهائهم وزورهم، وليس لك في رأيي أن
تجعل ما تكتب منظرا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من
الجهة الأخرى

إذا انتقدت عليك تصغير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين
مرة قانني أنتقد الاحتجاج على تصغيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات
البول سبعين مرة الآن ذنب لمسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخذان بل
لأن إظهار ذلك ويبان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخذان وهم يعلمون
بخطيئتهن لازواجهن بضر نشره في قصص يقرأها النساء من العذارى والايامى
اذ لا تنصرون التي تبين للفاسق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بضيا مسافحة
وانما يطلب على ظنها أنها تصادف زوجها يسترفضها بغيرها، أو قلة غيرته

ترأت ما كتبت يفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد
شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ما تروم فتمنيت لو تقرأ ذلك العذارى
اللواني أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لأعراضهن باطلاق أهليهن العنان لمن مع
كثرة ما يحول الفساق من مخادعهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات
البيوت وانغضاء الناس عنهن فتمنيت لو لم طالع عليه قارئه لاسيا اذا كانت عذراء

هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحسن لما عدا الاسمين المتقدمين من
ناحية ما تنذر من تأثيرها وأرجو أن تترسخ فيما كتبت لامية والفائدة أكثر مما
تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدر بمن يعرض عمله لنقد
الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم »
 هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكى المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالاسفار وقراءة الصحف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعليم .
 وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترحى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هدائه . ومن الشكر ان بادرننا الى التوبة به قبل مطالعته كله وقد مناه على مطبوعات كثيرة أهديت اليها من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤبدا لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كيان سوء طريقة التعليم في مثل الأزهر وما أخبر لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ما هو من قبيل الرأي ومنه ما هو من قبيل الحكاية والقل . وقائده الاجالية تأييد ما كتب كثير الزوال اثمة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبعديسيها وهذا تهديد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائده الآن ونرجي . يان ما أنكرنا منه وما ننتقد به عليه الى ان يتاح لنا مطالعته كله بالتحقيق وعسى ان يبادر بعض من اطعم عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظالمونها ويظالمون الناس ويفشونهم وهم لا يشعرون

باب الأخبار والآراء

﴿ تعيين سعد باشا زغلول ناظراً للمعارف ﴾

رأى اللورد كرومر أن يمين هذا التأييد ناظر المعارف العمومية فصدر الأمر بالنأي بذلك فافقت الحزبان الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالمعرفان واستقلال الفكر وقوة الإرادة والاستقامة وهي صفات الكمال في الرجال وكان ينبغي أن يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ضم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعاً في نفسه وفي عرفهم قد ضموا نية اللورد في هذا التعيين وما ضموه إلا النية التي اخترعوا له وأثقل بعضهم بسبب الثناء على الناظر الجديد إلى القدرح بسائر الناظر تصرفاً وتوليحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً أنه لا خير في هذا التعيين إلا إذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشاراً لا تنكيزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع أن يكون مسماه عبداً مأموراً وإن لم يكن من دولة محتلة فهو لها في بلادها بسلبها ضعفها وجعلها قدع كلام المسرفين، وأشكر هذا العمل لإدارة المحتلين، قال شكر مدعاة المزيد من الاحسان، عند كل إنسان وما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس لأن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً إلى ترقية حزب المرحوم الشيخ محمد عبده الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتقاد الوفاة لإحدى الحزبان الأوربية إذا كانت الأرواح تنشر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر المعارف، وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف وأستاذ أهل الاعتدال والاستقامة من مردي أستاذهم وأستاذهم الإمام جلاله خير خلف له في عمله بالبلاد وخدمته، واستقلاله وحكمته؛

﴿ الجامع الأزهر - مشيجته وإدارته ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان يفتننا عن استقالة شيخ الأزهر وعزم الأ مير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلاً للأزهر تمهيداً لجهل أصيلاً وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وهمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلاً لـ المشيخة الأزهر فغظم ذلك على أهل الأزهر واستنكره كبراء الشيوخ واستنكروا أن يكونوا مرؤسين له على عدا الله في السن والعلم واتهموا الحكومة أو إلى أولى الأمر فخطبوا الأمير في ذلك وقرر أن الشيخ شاكر لا يكون شيخاً للأزهر ولا وكيلاً وقد سمي الآن نائباً وقد زاد الشغب والاضطراب في الأزهر في أيام نيابته على إمداد الأميرايه بنفوذته ويتوقع أن ينتهي هذا التسايعب في الأزهر بمجمله تحت مراقبة نظارة المعارف إذا لقراره لا يبرح السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا نتكلم عن إصلاحه في جزء آخر

في المحكمة من بين مؤيدي المحكمة قد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكره إلا أولو الألباب

المجلة

١٣١٥

قبر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و«منارة» كنار الطريق

﴿مصر - شوال سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٦﴾

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾

كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولاً بعنوانها «مخاورات المصلحة والمقلد» بينا فيها طريق الوحدة الإسلامية وجمع كلمة المسلمين المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يفرقوا فيه . ومما بيناه فيها أن الأحكام السياسية والقضائية والإدارية - وهي ما يعبر عنها علماءنا بالمعاملات - مدارها في الشريعة الإسلامية على قاعدة درء المفاسد وحفظ المصالح أو جلبها واستشهادنا على ذلك بترك سيدنا عمر وغيره من الصحابة إقامة الحدود أحياناً لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض
أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للإمام بحم الدين الطوفي
الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نرمه لغيره من الفقهاء
وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيها الشيخ جمال الدين
القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيها في المنار ،
لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسملة)

اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء (١) لا يوجد بين العلماء
غيرها (٢) أوها الكتاب ، وثانيها السنة ، وثالثها اجماع الامة ، ورابعها اجماع

(١) تقدمه بعدادها كذلك وسوقها بالحرف الملامة القرافي في التفتيح في

الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القرافي ولينه لم يزدها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر
لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة
وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل
والعمل بانظاها أو الاظهار . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين
والعمل بالاصل . ومعقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى
والعمل بالشبهين . ودلالة الاقراران . ودلالة الالهام . ورويا النبي صلى الله عليه
وسلم . والاخذ بأيسر ما قيل . والاخذ بأكثر ما قيل . وقد الدليل بعد النص
 واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيعين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا .
وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى
الاصل في المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في المبادات
والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام . وهو للطوفي المصنف
فاجلحة خمسة وأربعون دليلاً وسند كل مادق معناه منها فانتظر

أهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المرسلة (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتاسعها البراءة الأصلية (٦)

(١) قال في التفتيح: واجماع أهل المدينة عند مالك فيما طريقه التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما في آلة الحكم: تنقيح

(٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فيترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم. مجامع

(٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن

الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بأن الله تعالى إنما بعث الرسل عليهم

السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فمهما وجدت مصلحة غلبت على

الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنهها مطلقاً وقال ابن برهان

إن لا أصل كلياً أو جزئياً من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا.

وقال الفزالي إن كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا. قال القرافي:

إن المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لأنهم يقيسون ويفرقون

بالمناصب ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار ولا معنى بالمصلحة المرسلة إلا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن إبقاء ما كان على ما كان عليه لانهدام المغير قاله

السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي: الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء

في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحال أو الاستقبال فهذا الظن عند

مالك والمزني والصبري حجة خلافاً لغيرهم. لنا أنه قضى بالطرف الراجح فيصح

كأروش الجنائيات واتباع الشهادات اهـ

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الأحكام خلافاً للمعتزلة

والأهري وأبي الفرج منا. لنا أن ثبوت العدم في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته

في الحال فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده

عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات (١) الحادي عشر الاستقراء (٢) الثاني عشر سد الذرائع
(٣) الثالث عشر الاستدلال (٤) الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القرافي يقضى بها
عندنا لما تقدم في الاستصحاب . وتقل عن المستصحبى : العادة والعرف ما استقر
في النفوس من جهة العقول ونقلته الطباع السليمة بالقبول . وفي الاشياء من
كتب الخنفة القاعدة السادسة العادة محكمة للحديث « ما رآه المسلمون حسناً فهو
عند الله حسن » لكن قال الملائي لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث
أصلاً ولا بسند ضعيف بهمد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وإنما هو
من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة
والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الاصول في
باب ما ترك به الحقيقة ترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر
الاسلام أنه كلام الاشياء (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم
بمحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا قل عن حجة الاسلام ونحوه قول
القرافي : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة
النزاع على تلك الحالة كاستقراءنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدى على الراحة
فغلب على الظن ان الورل كان فرضاً لا أدنى على الراحة (٣) وهذا الظن
حجة عندنا وعند الفقهاء اهـ (٣) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك
حسم مادة وسائل الفساد دفماً له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة لى
المفسدة منمن من ذلك الفعل واشهر ان القول بسد الذرائع من خصائص
مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القرافي أنه مشترك بين المذاهب كالمصاحبة
المرسلة والعرف وسماه في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا
إجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقتراني والاستثنائي وصور أخر (٥) قال
السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم الدليل بعارض القياس
الجلي ويعمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر العصمة (٢) السابع عشر اجماع أهل الكوفة
 (٣) الثامن عشر اجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة
 من القياس الجلي فيكون قياساً مستمسكاً قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين
 يستمعون القول فينبهون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو المدلول عما
 حكم به في نظائر مسألة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس
 الخفي كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره
 العراقيون وقد اضطرب ثلة في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع في
 تحقيق كل مسألة الى عرف من ذهب اليها . ولذا آثرنا النقل عنهم « ١ » وهو
 الاخذ بأقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية النبي انها مساوية
 لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذاً بالأقل
 لكونه مجعلاً عليه وما زاد مني بالبراءة الأصلية ونقلم في حواشي رسالة ابن فورك
 زيادة على هذا فارجع اليها « ٢ » قل العراقي العصمة هي ان العلماء اختلفوا هل
 يجوز أن يقول الله تعالى اني اوعلم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب قطعاً
 بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمسترزلة على امتاعه والشافعي توقف
 فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله
 تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي
 انه ما حرم على نفسه الا ما جهل الله له ان يفعله فعمل التحريم ولو أن الله تعالى
 هو المحرم لقال الا ما حرمنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفاً في
 الاديان بالهوى والله تعالى لا يشرع الا المصالح لا اتباع الهوى واما قصة
 اسرائيل عليه السلام فله حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف
 تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسألة يجوز ان يقال لنبي او عالم احكم بماشاء
 فهو صواب ويكون مدركا شرعياً ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣)
 قال العراقي اجماع اهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردها من
 الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض
 النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها يختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف
عن حقائقها وتفاصيل أحكامها المذكور في أصول الفقه (١)

مع الامام المصوم - المشتراط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم
من العلماء دخول الامام فيهم وإن لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين للقريني
وبه يعلم أن الاجماع عندهم اعم من اجماع الملة ومن اجماع من بعدهم إذا
كان فيهم المصوم . فالمدكور هنا كغالب اصول اهل السنة رجم بالغيب عن
مذهب الامامية في الاجماع واهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى
نصوص كتبه فاحفظ ذلك « ١ » قد أشارنا الى شذرة من حدودها وخلاف من
خالف فيها وقد بقي علينا الأبقاء بالاعتماد الساتف من الكشف عن الغامض من
بقية الأدلة الحسية والعشرين فنقول أما حجية شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال
به أكثر الشافعية والخفية ومعظم المالكية والمتكلمين بمعنى أنه يجب العمل به
إذا قصه أمالي في كتابه أو أخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرأة وتفصيله
في مواقف الشاطبي فارجم اليه . وأما التحري فهو بذل المجهود لنيل المقصود
من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الأحكام في الصلاة والزكاة
والثياب والأواني كما في الحادمي على مجمع الحقائق . وأما العرف فقال السيد هو
ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقاه الطبائع بالقبول . وهو حجة لكنه
أسرع الى الفهم وكذا المادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا
اليه مرة بعد أخرى اهـ وأما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء .
قال الحادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اهـ وقد أشار لذلك
البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:
قال الشرح: . مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين أن
الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وسأتي . ومن
أمثله بيع الاثمار على الاشجار عند وجود بعضها دون بعض فقد أجاز به بعض =

== الخفية للعرف كافي نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر في شرح
 البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز بيع شجرة قبل بدو صلاحها مطلقا؛ وأما
 العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الحادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه .
 وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الحادمي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع
 الى حديث «دع ما يريك الى ما لا يريك» وأما القرعة فهي عمل بالسنة
 المتقولة فيها أو بالأجاع أو بمهوم آية «ولا تنازعوا» وأما مذهب كبار التابعين فهو
 مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي، رفوعة . وأما العمل بالأصل
 فمنها العمل بالراجح . وأما مقول النص فهو الاستدلال المتقدم . وأما شهادة
 القلب فقد يحتاج بها عند انتفاء دليل خارجي ورجعها الى حديث «استفت
 قلبك» وحديث «البرما علم أنت اليه النفس» وأما تحكيم الحال فمعناه الاستدلال
 بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما محوم البوى فرجعها الى رفع الحرج .
 وأما العمل بالشبهين فذكره الحادمي في شرح التنقيح مطوفا على ما تقدم
 ولعله كالتقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومنها بعضهم باستدلال
 مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية «والخيل والبغال
 والحمير ليركبوها وزينة» والجمهور على أن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في
 الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرهما قال الامام
 ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند الى أمر علمي باطن ولا ظاهر
 لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعصور بالتقوى اذا رجح بإرادته فهو ترجيح
 شرعي . وعلى هذا فمن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبغض ما يكرهه اذا لم
 يدر في الامر المعين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان
 هذا ترجيحها عنده كما لو اخبر من صدقه أغلب من كذبه بخبر . هذا عند انسداد
 وجوه الترجيح بترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا
 على الاطلاق أخطوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاحلاق ولكن
 اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم يرف فيها ترجيحها وأهم حينئذ
 رجحان أحد الفضلين مع حسن قصده وهمارته بالتقوى فالإلهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» (١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونقياً والمنقاسد شيئاً اذا الضرر هو المنقاسد فاذن قالها الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما تقيضان لا واسطة بينهما وهذه الأدلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما ما ان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الإقسية الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الحائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً «اتقوا غرامة المؤمن فإنه ينفق بنور الله» ثم قرأ «ان في ذلك لآيات للمتوسمين» اهـ والتسمة سائبة . — وأما رؤيا النبي عليه السلام فنقل عن الأستاذ أبي اسحق وغيره أنها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الأخذ بالأيسر فيقرب من الأخذ بأقل ما قبل ومستنده رفع الحرج . وأما الأخذ بأكثر ما قبل فستنده الاحتياط لينجرح من صفة التكليف ييقين . وأما فقد الدليل بعد الفحص فمعناه الاستدلال على عدم الحكم بعدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . وأما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جمع لحديث «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع الظني فهو فتوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا تخالف في تلك الحادثة ولا تقيية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الخفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الأدلة التي سبرناها من عدة مصنفات أرجح كثيراً منها إلى الأصول الأربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضاً في غيره مما يرجع إلى اختلاف الاسم أو الإضافة بنوع ما يتفرع عنها من مثلاً وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه وسلا والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو مخالفتها فإن وفهاها فها ونعمت ولا تنازع إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وإن خالفها وجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص (١) والبيان لهذا لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرر ذلك أن النص والاجماع أما أن لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيان ذلك فإن لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية المصلحة وإن اقتضيا ضررا فاما أن يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثنى من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعا بين الأدلة ولعلنا نقول إن رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وأنه يخص به الأثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الأجزاء فيما لو دفع إلى حائك غزلا على أن ينسجه بائنا قال — ومشايع بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الأجرة في الثياب لتعامل أهل بلادهم والتعامل حجة يترك به القياس ويخص به الأثر (ثم قال) وتخصيص النص بالتعامل جائز الأثرى أجازوا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وأنه منهى عنه ونجوز الاستصناع بالتعامل تخصيصا للنص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الإنسان لا ترك للنص أصلا. كذا في نشر العرف لابن عابد بن وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الأثر إلى اعتبار العرف فيما قلناه عنه قبل من صحاحه في ترجمة ذاك الباب الذي قل من ينظن لها ومن دقق في ذلك الترجمة رأى أنها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستفيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في نفعها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما نفعها فهو مفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد بذلك الشيء له كالقلم . يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عادة . ثم هي تنقسم الى ما يقصده لشارع الحق كالعبادات وإلى ما لا يقصده الشارع لحقه كالعادات

وأما بيان اهتمام الشرع بها فمن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقولُه عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءكم موعظة » حيث أنه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الاذى وارشادهم الى الهدى

الوجه الثاني : وصف القرآن أنه «شفاء لما في الصدور» يعني من شك

ومحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

الوجه الرابع : وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصاحفة

الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما

الا مصاحفة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل «فبذلك فليفرحوا» وهو في

معنى التهنئة لهم بذلك . والفرح والتهنئة انما يكونان لمصاحفة عظيمة

الوجه السابع : قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون » والذي يجمعونه

هو من مصالحهم فالقرآن ونفعه أصالح من مصالحهم والأصالح من المصاحفة

غاية المصاحفة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشروع راعى مصاحفة

المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب

النص والاجماع دليلا لهم على معرفة الاحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول

به في العبادات وحيث وافق المصاحفة في غير العبادات وانما ترجع رعاية

المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود

الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها

الا من جهته نصاً واجماعاً

وأما التفسير فقيه الجاث

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا . حجة انثبت أن فعلا

لا علة له عبث والله عز وجل منزّه عن العبث ولان القرآن مملوء من

تعطيل الافعال نحو « لتعلموا عدد السنين والحساب » ونحوه وحجة الثاني

ان كل من فعل فعلا لعله فهو مستكمل بتلك العلة ما لم تكن له قبلا فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه بمنع الكلية - فلا يلزم ما ذكره الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل مطلقة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكما لم لا بنفع الله عز وجل لاستغنائها بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء . ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالمعصية فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لمصلحتهم في التكليف والا لكان ذلك تكليفا لما لا يطاق أو شبيها به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحسين العقل وتبعه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كثير منكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى اكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء العليل في القدر واثباته لابن القيم ص ٢٠٦ فإنه لا يستغنى عنه

ما يصاحبهم وينتظم به حالهم؛ الاقسام كلها ممكنة (١)
 البحث الرابع في أدلة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب
 والسنة والاجماع والنظر ولذا ذكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال
 اذ استقصاء ذلك بعيد المنال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «ولا يحكم في القضايا حيوياً» والسارق
 والسارقة فاقطعوا أيديهما الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
 مائة جلدة» وهو كثير. ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم
 واعراضهم مما ذكرناه ظاهر. وبالحمله فما من آية من كتاب الله عز وجل
 الا وهي تشمل على مصلحة أو مصالح كما ينتهيا في غير هذا الموضع
 وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبيع بعضكم على بيع بعض» ولا
 يبيع حاضر لباد. ولا تكلح المرأة على عمتها أو خالتها انكم اذا فعلتم ذلك
 قطعتم أرحامكم» وهذا ونحوه في السنة كثير لا نهيان الكتاب وقدينا التمثال
 كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق البين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي
 الظاهرية علي تمليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون
 بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن ثم علل

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في المواقفات ان الشارع قصد بالتشريع
 اقامة المصالح الاخرية والدينية وبان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان
 يكون وضعا على ذلك الوجه ابدىا وكلها وعاما في جميع انواع التكليف والمكافئ
 من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القرافي في الحاشية وبأتي في آخر مقاله أيضاً

وحوب الشفعة برعاية حق الجار وحواز السلم والاجارة بمصلحة الناس مع مخالفتها للتباس اذ هما معاوضة على ممدوم (١) واثار أبواب الفقه ومسائله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعل المصالح

وأما النظر فلا شك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعي مصلحة خلقه عموما وخصوصا أما غموما فحيي مبدأهم ومعاشرهم اما المبدأ فحيث أوجدتهم بعد العدم على الحياة التي يتألون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم (٢) » الذي خلقك فسواك فمذلك في أي صورة ماشاء ربك » وقوله عز وجل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب ما يعيشون به ويتمتعون به من خالق السموات والارض وما بينهما وجميع

(١) راجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف القياس فإنه مهم جدا

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف المنكرين ومنهم من يفتري بفساد فهمه من النصوص فانكروا عليه كائنا كان بعضهم على قوله تعالى « وسوف يعطيك ربك فترضى » رعبوا أنه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته وهذا من أبين التكذب عليه فإنه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب نفسه والخوة والنصر بن علي الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجاهل بقوله تعالى « ما غرك بربك الكريم » فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جبل قبيح وأما غيره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه . وأنى سبحانه بلفظ « الكريم » وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا ايهال حقه فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اهون ونحوه للفرزالي في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا — أَلَيْسَ قَوْلُهُ — إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا » وفي قوله عز وجل : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَيْنَا إِياهُ صَبًا » ألى قوله عز وجل « متاعا لكم ولآلئكم »

وأما خصوصا فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث ههنا السبيل، ووفقهم لنيل الثواب الجزيل، في خير مقل،

وعند التحقيق إنما راعى مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع الى الإيمان الموجب لمصلحة الهاد الكن بعضهم فرط بعدم الإجابة بدليل قوله عز وجل « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » تحرير هذا المقام أن الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصاً بدليل قوله عز وجل « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فدعا عاماً وهدى ووفق خاصاً

إذا عرف هذا فنالح أن يرعى الله عز وجل مصلحة خلقه في مبادئهم ومبادئهم ومعاشهم ثم يهمل مصلحتهم في الأحكام الشرعية أذ هي أهم فبكانت بالمرأاة أولى ولأنها أيضاً من مصلحة معاشهم لأنها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا معاش لهم بدونها فوجب القول بأنه راعاهم لهم . وإذا ثبت رعايته إياهم لم يجز إهمالها بوجه من الوجوه . فان واقفها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

وأما ان رعاية المصلحة مبرهنة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بديانته الاجماع وأدلتها ومعارضتها)
ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على
الوجه الذي ذكرنا وجوه .

أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل
وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك
بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في
الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه
فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »
وقال عز وجل في مدح الاجتماع « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال عليه السلام : وكونوا
عباد الله اخوانا .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصلحة ونحوها في
قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط
« ١ » كالنظام وبعض الشيعة والخوارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة
اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله
للنبي عليه السلام لما نهي ان يعرض شجرة مكة ويختلي خلالها الا الاذخر يا رسول الله
فقال عليه السلام . الا الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب اشركة
لما خفت أزواد القوم وأملقوا وأوأ النبي صلى الله عليه وسلم في نهر إبلهم فاذن

للعادة كما سبق (١)، ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الأحزاب « لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلى احدهم قبلها وقالوا لم يرد منا ذلك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتهما على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم بجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد سمينا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالعادة وهو شبيه بما نحن فيه وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتعطل توقفوا تمسكا بالعادة في أن أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال: « مالي آمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر فرده وقال اذا يتكلموا وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة، فكذلك من قدم رعاية مصالح المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق واثنائها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلحكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره فأمر أن تجمع ازواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طوبناه اختصارا وهو قوله ان الصلابة أحب مواضع جواز التيمم للمريض وعدم الماء وخالف ابن مسعود واحتج عليه أبو موسى الأشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متمينا فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الإجماع فليقدم عليه وعلى غيره من أدلة الشرع عند التعارض بطريق البيان

فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تمطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو كقياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نأثم بعد الابتداء، وإنما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الإجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم أنتم الإجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابليس وهو قوله «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقيم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا

فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد أودعها أداة الشرع وجعلها اعلما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها صراغمة ومماندة له قال أما كون الشرع أعلم بمصالح الملكين نعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لدلة الشرع لغيرها فمنوع بل إنما تترك أدلته بدليل شرع راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم الإجماع على غيره من الأدلة، ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا تتركه لاصريهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

(١) يشير الى ما ذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الإجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقبس: ويستدل على ما احتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يحويه
 حصر بحكم في جهة واحدة لثلاثين عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا
 الكلام ليس منصوصا عليه من جهة الشرع حتى يتمل (١) ولو كان اكان
 مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ما ذكرتموه من
 مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو
 أن الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب
 فأفضى الى الانحلال والفجور . وأيضا فان بعض أهل التمسك ربما أراد
 الاسلام فتضمنه كثرة الخلاف وتعدد الآراء . لان الخلاف منفور عنه
 بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي
 يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف الا بما فيه من التشابهات
 وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) . ولو اعتمدت رعاية المطالع المستفادة
 من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» على ما تقرر لا تحيط طريق الحكم
 واتفق الخلاف ، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا
 يلتفت اليها أو صوابا ناما ان ينحصر الصواب فيها أولا فان انحصر لم أن
 الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها
 أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائزة من الطارق ولكن طريق

- (١) يشير الى ان حديث اختلاف أممي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
 (٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد مفهومها
 من قواعدهم وقدها ما يقرب منه عند الحنفية رحمهم الله من تخصيص النص بالعرف
 عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبني الفقه على ان اليقين لا يرفع

الاثثة التي اتفقت الامة على اتباعها أ. لى بالمتابعة لقوله عليه السلام «اتبعوا السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب منحصراً فيها قطعاً بل ظناً وجهاداً وذلك بوجوب المصير إليها في الظن في الفرعيات كالقطع في غيرها. وما يلزم على هذا من خطأ الامة فيما قبله لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انترد بها غير مسبوق إليها والسواد الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزم ان يتبع العلماء العامة اذا خالفوهم لان العامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك بل هي أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع في العبادات والمقدرات ونحوها أو في المعاملات والمعادات وشبهها فان وقع في الاولى اعتبر فيه النص والاجماع ونحوهما من الأدلة

غير ان الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به. وان تعدد الدليل مش ان

بالشك والضرر يزال، والمشقة تجلب التيسير، والعادة محكمة، وأرجحه العزم من عبد السلام في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفاسد وبعضهم الى تحكيم العادة قال القاضي زكريا وببحث بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي المطالع على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي زكريا هو العاوفي المصنف

كان آية وحديداً واستصحاباً ونحوه فان اتفقت الأدلة على إثبات أو نفي
 بُت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضها يقبل الجمع أو لا يقبله فان قبل الجمع
 جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاعمال لا الالغاء غير ان الجمع
 يدهما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض
 الأدلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الأدلة التسعة
 عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع، ثم ان النص منحصراً في الكتاب
 والسنة ثم لا يخلو ايمان بنفرد بالحكم أحدهما أو مجتمعا فيه فان انفرد به أحدهما
 فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحدد الدليل أو يتعدد
 فان اتحد بان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهراً فيه
 وان كانت مجملة (١) فان كان أحد احتياطياً أو احتمالاً شبه بالادب
 مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالاهما في الادب مع الشرع جاز الامر ان والمختار ان
 يعتمد بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقف الامر على البيان
 وان تمدد لدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر
 فان اتفق مقتضاهن فكالاتية الواحدة وان اختلفت فان قبل الجمع جمع
 يؤمن بتخصيص أو تقييد أو نحوه وان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها
 بعينه فبها والا فالمنسوخ منهما مبهم فليستبدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

(١) المجلد ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان سواء كان
 ذلك التزام المعاني المتسارية الاقدام كالمشرك أو لفراقة اللفظ أو لا تنقله من معناه
 الظاهر الى غير ما هو معلوم. كذا في تعريفات السيد

السنة ببيان الكتاب وهي اثنا تبين ماثبت حكمه لا مانع وان انفردت
السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالأية الواحدة
وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن
الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو أشبه بالادب مع الشرع وتعظيم حقه
وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تساوى في
الصحة او تفاوتت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فلا حديث
الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ
فان تعين والا استدلل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع غيره أو بغير
ذلك من الأدلة

وان لم تصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في
الحكم الاحديث واحدا فان كان الصحيح أكثر من واحد فان اتفقت
عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما
سبق فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يعمل به في المعاملات بل في فضائل الاعمال على قول ومنهم
من منع العمل به مطلقاً كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة
صحيحه ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالأولى
ما كان منها في باب الصفات ولذا قال القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع:
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله
وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة لمقاديرها أهمية الاستدخال

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم قبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينه ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معبراً أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكداً له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجه فهو محل نظر وتفصيل والاشبه بتقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه

هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالتبعية فيها بمصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فيها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القاتل والمرتد قطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

(١) قال القرافي في تنقيحه : الكليات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال - قيل والاعراض - حكى الغزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وانه تعالى ما أباح المرض بالقذف والسبب قط ولا الاموال بالسرقة والغصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تصذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة الحكّفين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل (١)

ثم ان المصالح والمفاسد قد تتعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعارضها فنقول كل حكم نقرضه فاما ان تتمحض مصلحة (٢) فان اُخذت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصليعتان ومصالح فان امكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تصذر تحصيل ما زاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الالم منها وان تساوت في ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة فبالقرعة . وان تمحضت مفسدته فان اُخذت دفعت وان تعددت فان امكن درء جميعها درئت . وان تعددت دريء منها الممكن . فان تصذر درء ما زاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت في عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان تجبته التهمة وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان امكن تحصيل

«١» أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا وبالذات لانها هي سر الشريعة ولها بها كلنا مني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لاعتبارها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الخيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى يتنزه ان يشرع لعباده نقض شرعه وحكمته بأزواج الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين «المنار: يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع المفسدة تميز وإن تميز فعل الأهم من تحصيل أو دفع
أن تفاوتاً في الأهمية وإن تساوى فيها لاختياراً والقرعة أن أنجحت التهمة
وإن تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجع كل
واحدة من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا أرجح الوجهين تحصيلاً
أو دفعاً (٩) فإن استويا في ذلك عدنا إلى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)
يتوصل به إلى أرجح الأحكام غالباً ويستتفي به الخلاف بكثرة الطرق والأقوال
مع أن في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي
معرفة الحقائق التي تتعلق بالأحكام وأعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي
شبهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

وأما اعتبارنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لأن
العبادات حق للشرع (*) خاص به ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفاً وزماناً
ومكاناً إلا من جهته فيأتي به العبد على ما رسم له ولأن غلاماً أحداً لا يعد
مطيعاً خادماً له إلا إذا امتثل ما رسم له سيده وفعل ما يعلم أنه يرضيه فكذلك
ههنا ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز
وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المسكفين فإن أحكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظيمة أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله :
إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فليتنظر إلى
مفسدته ومثمرة وغايته فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على
الشارع الأمر به أو إباحته بل يقطع أن الشارع يحرمه لاسيما إذا كان مفضياً إلى
ما يفيضه الله ورسوله اهـ (*) المناظر : لعلمها للشارع وكذا ما عايناهما

شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المعول
ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا
ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)
ثم هذا إنما يقال في العبادات التي تحق مصلحتها عن مجاري العقول
والمعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي مملومة لهم بحكم
المادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في
تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تقي بالاحكام علمنا انا
احلنا بتامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالنصوص عليه بجامع
بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوقي رحمه الله

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقق
لانهم يقيسون ويفرقون بالناسبات ولا يطلعون شاهدا بالاعتبار ولا نعمي بالمصلحة
المرسلة الا ذلك ومما يؤكده العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم
حملوا أمورا مطلقا بالمصلحة لا لثمة شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال :
ينقل عن مذهبي (النلكية) ان من خواص اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد
الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقرأها وجددهم
بصرهون بذلك فيها . وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصح بانكارها ولكنهم عند
التفرع تجددهم بطلون بمطلق المصلحة ولا يطلعون أنفسهم عند الفروق والجوامع ببدء
الشاهد لها بالاعتبار بل يستمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة وأما
الذرائع فمنها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه ' هـ ' ولا بن القيم في اعلام الموقعين
فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسعة وتسعين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى
المفاسد . ومن توسع في بحث المصالح لمرسلة الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي
المالك في كتابه المواصفات فقد جرد الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الحزب الثاني
فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الدين والعقل ﴾

تابع رد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي
بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين
هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هئت أكثر من
مرة بالتسل في غرضون البحث في أمور الدين ان نتكلم باختصار على ما يمكن
أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة ، ولم يضاف إليها أحد شي آخر بل قصر بها
أنت على الكتاب وحده ، فأني نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين
في كل جزئياته ، لا يمكن أن يراد بذلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر
العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين . فإنه ليس شي من الدين نبئت
قضاياه على الأدلة العقلية البحتة ، الا بعض أصول العقائد كوجوب الوجود
ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع المدم والكثرة مثلا من الممنوعات
وبعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيئا . وان أريد من العقل
نظرة الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كإقامة الصلاة والاستقبال لممنوعاته
كأتان الفاحشة فذلك لا ريب فيه . ولكن لا يرب عنك ان هذا النظر شي
واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتبار كون ديننا مقرا
واجب الاتباع شي آخر . فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل
الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعا انه
مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا
جميعا . على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه
هذا حسنا قد يراه ذاك ردينا وبالعكس وذلك لا يقع عند طبقات الحق والجاهلين
بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب الصلح والدياسة والبصر بغضون
التشريع . ولانحسبنا نكاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفيها مؤنة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي أوجبه الاسلام -
 ما ينف أولياء الدم - ولا نشك في استحسانك له مسئلة فيها نظر بين متشربي
 الرومان قديما وأمة الطليان التي بنيت على اطلاقها والفرنساويين ولا نجيليز حديثا
 فمنهم من أنكرت القتل ومنهم من أوجبه ومن هؤلاء الموجبات من استحسنته
 بطريق الشنق ومنهم من أبته الا بقطع الرقبة فهل رى الناس كل هذه الامم
 بالجور لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هو اكبر الاشياء في مسائل
 التشريع ؟ فما بالك بصغريات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسأل
 نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجاناه أصلا من أصول الدين
 التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم
 واحد من هذا الدين ؟؟؟

الاسلام ولا شك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره
 العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتناهي ديارهم وبسط لهم على لسان
 نبيه من التوجيه والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من
 الوجوه والالوان كل نفس بحسب ما تهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم
 قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستمد لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من
 الامم التي لا ترجع في أمور تشريعية الى أصل واحد

فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة
 وهي ولا ريب لا تناهذه بحال لأنه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فاذا على الميزان
 اذا لم يوف الموزون ؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تسنحس أو
 تستهجن ونحاول انه مجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا
 لأنها خالفت العقل والصواب !!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية
 في اثبات الالهية ان لا يؤمن بها ومعجزات لا سبيل للعقل الى مصادرتها
 كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن
 هناك ألها حكما متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص وانه أرسل

رسولا معصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسعادتهم وعزهم في كتمانها عنهم
انصرف ولا مزية كثر همه الى تحقيق ما جاء به هذا الرسول الامين عن ربه
الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الى البحث فيها
من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا
فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام ، يرجع بالفروع
الى أصولها المقررة ، وبالجزئيات الى كلياتها الثابتة ، ويفصل المجهل في الكتاب
بالمفصل من السنة ، ويستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام
الظاهر ليقيس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه
من الكتاب والسنة وأخذة بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول
الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرته

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسهه ظهوره . بل
نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ما جاء به الدين الحكيم مستحسن
لكل ما نهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا ما نرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننتقل بك الى
تحيص ما نبئت عليه من المسائل والله الكافي المعين

مبحث الصلاة

جاء اليها القرآن بها اجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في
كتابه ، وعلمها جبريل لنيه نعليها عمليا وهو عليه السلام عليها الناس وبلغها لهم
وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة ، الظهر والعصر
والامساء أو بها والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف
أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي)
وشدد فيها واكد ، ووعد عليها وأوعد ، وميزها بانها الفرض المحترم من بين ما من
من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم
ومن بعدهم الى يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب
عابهم من غيره في أقصى منازل الغرابة ، وكيف ذلك وهم المجمعون على ان

تارك النوافل مثل ما قبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر
لا شيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص
عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من
نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لا يبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين
الواجب وغيره ؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله
والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بعد تمييزهم هم .

أدرجت في مطاوي كلامك انك لا تحتاج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا
بين الواجب وغيره بل هم إنما كانوا يحافظون على كل ما رآوا النبي يحافظ عليه)
ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون
بالنوافل ، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لا حساب عليه ؟ لا
أتمسك ان أجادلك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك ، بل مما قلت من ان
(كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجودها
كالضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف ، فهل مع هذا
يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره ؟ نعم هم فرقوا الواجب من
غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينها في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رابعة وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة ،
وابتدره منهم ذو اليمين بقوله (أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله) فأجاب
صلى الله عليه وسلم بأنها لم تقصر ثم أتم وسجد للسهو . ولو كان الواجب يتم
بالركعتين ماسأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة ، وأتي معنى تقصرها غير كونها
نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا ؟ ولو كانت أقل الواجب ثنتين كما
ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت - هل كان يجب عليه السلام بانها لم
تقص - أي لم تنقص عن القدر المشروع ؟ - بل ويترك صحبة في مثل هذا
القام لا يعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم يمثل هذا الجواب رسوخا بأن
القدر الواجب عليهم انها هو أربع ركعات لاركهذان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان ،
وتلك قضية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصر دينا وأفصح

لسانا من مثل هذا على أنه قد بلغ وقال «للفت اللهم اشهد» مع نهاية البيان لقوله تعالى «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» وقوله تعالى «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» وليس من التبليغ المحفوف بالبيان أن يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، وفعله المتطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكدا مشددا إلى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بحرمة واحدة المثنية بسلام واحد) وأبان أنها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثانية منها والثلاثية والرابعة من غير زيادة فيها أو نقص عنها (الافى خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضها منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الأدلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من التشبه النبي لولاها لم تكن لتشدّ عما عليه إجماع المسلمين من عهده عليه السلام إلى عهدنا هذا دون أن يترضهم فيه شك ، أو تهوهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستندا على قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا) الآية بناء على أنه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الأعلى ، وبعبارة أخرى أن الانسان غير مكلف بأكثر من بين الركعتين الخ ونقول أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أو هي للمؤمنين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الامام أو المؤمنون ؟ هذا ما لم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسمى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن يصلي أربعاً أو سناً مثلاً فنأين جارك أن كل طائفة فصلي مع الامام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بمعناها حتمت علي المؤمنين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤمنين ركعتين ، وهذا هو القصر بعينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس وعجابه وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، - فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لا دليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤمنين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة - حالة الخوف - يصلي ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه تم بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤمنين لقوله تعالى (أن تقصروا) ثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بان القصر انما هو واحدة ، فالقول بان الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الامام منقضى بناؤه لانها ما دعت له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك أن القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه - نص صريحاً على ذلك ، فاي تلازم هناك بين كون القصر أي ما دون الواجب - على مقتضى تعريفك - واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب - مع هذه الحال - ثماني ركعات أو عشرة مثلاً لولا السنة ؟ على أنها لم تقدر للواجب حداً أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بعينه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثاً والمشاء أربعاً بلا زيادة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، واتخذت ذلك دليلاً على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان أنهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظمت ما اعتمدت في صحة هذا الأعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لانخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل أنها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتي يفهم من قبلها أن

اقتضار الرسول اذ ذلك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب» بل قالت انها فرضت أولا ركعتين ، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكدت هذا المراد بقولها فافترت سيفي السفر وزيدت في الحضر ، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب ، بعد قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بأنها أفترت في السفر أي اكتفي بها لانها القدر الواجب مطلقا ، مع العلم بان النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر ، بل كان يزيد عليهما من التوافل ما تعود أن يزيد في الحضر ، فتعين أن يكون المراد بقولها أفترت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة ، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كلها بلا نقص فيها ، اما ما استعرضت على قبلك من الشبه وتكلفت الرد عليه فانا نفيتك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (ان خفتم أن يفتكم الذين كفروا) قيد لا يجوز التغلث منه ، فكل ما كان في غير الخوف - ولو في سفر - فهو آتمام ، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين وركعتين لم تكن قصرا بل اكتماء بالواجب اذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لا نعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف ، بل ولا نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال ، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا ، فقد نصت على ذلك السنة ، ومقامها من التشريع ما قد عرفت ، ونعارض في كون الآية قيدا ، بل نقول أنها لمجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ ، ولست فنكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربأبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فان الربايب محرمات مطلقا ، وكونهن في الحجور ليس قيدا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع ، وقد سئل النبي نفسه فيما سألت فيه ، فاجاب عليه السلام بما أجابنا به ، واذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان لواقع ، ولم نشأ أن نخرج بهذا الخبر حيثك بمثله من الآتية
نفسه سبقتنا بالإشارة عفاوا الي أنه ليس قيداً ، بل هو لمجرد بيان الواقع حيث
قلت (فصللة الام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أردت قوله تعالى وإذا
كنت فيهم فاقم الصلوة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه
السلام لا غيره كما هو ظاهر هذا القيد (اذا كنت فيهم) فاذ قلت ان صلاة الخوف
عامة كما هو ظاهر كلامك - لزمك أن تقول ان هذا القيد لا مفهوم له بل هو
أما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أُبئت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيم
صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لا غيره اذا كان قيام طائفتين من المصلين
في خوف مقيدا بكون النبي فيهما - لزم أن يكون قولك (فصللة الخوف للامام
- مطلقا طبعاً -) لا مفهوم له

وأما صلته ركعتين ركعتين في السفر فسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء
بالواجب أي ليس قصراً غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع
ملازمته في غضون أسفاره للأنوافل التي لا خلاف بيننا وبينك في انها فوق
الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام
للأنوافل أثناء سفره فقد أنكرت لزوماً اقتضاه «في المفروضة» على الركعتين لان
مصدرها واحد .

وبما لا يحسن تركه هنا أنه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبداً في
حضر أو سفر ، بل واطب على صلاتها ثلاثاً في الحائز جميعاً ، ولو كان اقتضاه
على الركعتين في السفر اكتفاءً بالواجب - لاشياً آخر - لما كان هناك موجب
لتمييزه المغرب من بين أخواتها بأقامتها ثلاثاً ، بل لا كثنى فيها بثنتين - في
ضمن ما اكتفى

«٣» استدللت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرابعة) زيادة عن
القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة .
ونقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلاً على عدم وجوبها ، والا
لزم أن تكون صلاتنا الظهر والمغرب غير واجبتين رأساً ، لانه لا جهر فيهما أصلاً

علي أن الجبر وعدمه ليسا من الفروض التي لا تقوم الصلاة إلا بها ، بل هما من الميثاقات التي لا تختل هي بدونها ، وأيضا فإن قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما أن عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكأن كل النوافل التي صلاحها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لا تسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تؤقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحسب تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقروا ما ينسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وصح عنده من نحو قوله عليه السلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في أن ما بعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وإن ورد أنه الاكل في الركعتين الاوليين من الصلوات الأولية ، وكونه الاكل فيهما لا يستدعي ان ما بعدها ليس واجبا .

« ٤ » استدلت أيضا على أن القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) إذ كان ثارة يزيد وثارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصلها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمنسبون مما) ولكن الملاحظ أنه ماضى أبدا أقل من الركعتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فمعين أن يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

وقول ان العادات كلها وفي جملتها الصلاة منسقة الى فرض محتم ، ونقل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الأدلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيما بأن نسوق — ان شئت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا أبيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لا يكون فيه أقل وأكثر ، إذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من اليد الذي يخرج بادائه من عدة التكليف فلا يتصور أن يكون مازاد عليهما واجبا ، والا لكان المقتصر على الركعتين غير قائم بالواجب وأنت لا تسلمه ، ولو كان الاكثر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان مقتصر على الركعتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتمين أن يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) أن الركعتين هما الواجب الذي لا يجوز للمسلم أن ينقص منه، وإن ما فوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى أنه ليس واجبا، بل قد صرححت بهذا المراد في قوله (فمن عرف أن الواجب عليه ركعتان فصلى أو بها شكرناه الخ) وإذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان تعين أن يكون كل ما زاد عليهما نقلا أي زيادة متطوعا بها، ولا عليك أن تسمى سنة ولا علينا أن نسميها زيادة أو نقلا. بل الذي بهما أن هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب، فقولك (نصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) يجب أن تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفة النظر أو لم نصرف أما سنة وأما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص إذا سلمناها فهي لم تقع أصلا إلا في الذي امتاز بأنه النفل، إذ المتفل أو المتطوع له أن يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأسا، مادام عمله في ذلك مجرد اكتساب الثوبة، لا لالفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم أن النبي عليه السلام كان تارة يزيد وتارة ينقص - في النافلة طبعاً - قد نقلوا البنا نقلا متواترا لا شبهة فيه أنه لم ينقص شيئا (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بأنه الفرض المشروع، بل وأغلب صلى الله عليه وسلم طول حياته السكرية على إقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (الأي خوف أو سفر) لأن نقص الفرض الذي ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع الكل على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملاحظة - إذا لم يكن منها بد - يجب أن توجه إلى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلزم في بعض الصلاة - أي النفل - حالة واحدة، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص، فدل ذلك - في جملة ما دل - على أنها ليست فرضا محتوما من الله، وكونه لازم في بعضها - أي الفرض - حالة واحدة متقيدا بعدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه إذ صلى دائما في

المكتوبة (الاف في خوف أو مفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعاً، والمغرب ثلاثاً، فذل ذلك - في جملة مادل - على انها القدر المفروض الذي لا مفر شرعاً منه، ولا متشكك أسلم عنه، مصححاً هذا النقل بشهادة كل الأمة، توارثوه عنه عليه السلام جيلاً بعد جيل، وتناقلوه قبيلاً بعد قبيل،

باب التبرير والتجليل

﴿ خاتمة كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندريه في ١٥ مايو سنة ١٨٨٠

شهدت بالأمس أيتها الحبيبة العزيزة عيدا أهليا أقامه الدكتور أراسم وزوجته احتفالاً بيلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقا. كان السيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انعاش جميع قلوب المدعوين ابتهاجا وسرورا وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده ومارأينه في حياتي أفصح مقالا منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب في معيشته القومية وعن الحرية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن الازمان الحاضرة واقتضاها من المفكر أن يستمسك بالأراء المؤسسة على البحث والاختيار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في دمي أن أؤدي اليك أثر هذا الخطاب الابوي الذي كانت مزيتة الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء

وما فرغ منه حتى انجبت جميع الابصار محو «أميل» وأنت قد استطعت من منذ عوده من اكلترا ان تعرفي ماهو متحل به من ثبات الرأي وعلو الادب وسعة المعارف فشكل لاصدقاء أبيه أن تفضلوا باجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي الخفير بمبارات تشف عن لطيف ذوقه ومزجه ثم ارتقي الى السلام عن

بعض المسائل العامة فيمن الحطة التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاه به صادر عن فكره المستقل ثم تعاقبت الكؤوس وتوالى الانتخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» الى والديه وأذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يبلههما اياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين اذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام انه من الامس متفق مع دولوريس على الزواج بها ثم أعقب هذا الاخبار ان أنحنى امام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منك استعسانكما لهذا الاختيار»

هنالك غشيت وجنتي الفتاة السمراوين سحابة من حمرة الخجل وأغضت عينها فلاذات بين أهدابها السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء

لم تجد السيدة هيلانه جوابا لمسئلة ابنها الا اكباها على عنقه وقبله وقد كادت تتحسق سرورا واعتباطا وأما اسم فانه مع تأثرة مثلما مما سمع من والده كان أملاك منها لمواطنه. أجاب والده بصوت ينفي عن سكينته ووداعته فقال: «اذا كنت تحبها فهي ابنتي» ثم قبل هذه الفتاة الحسنة بصدر منشرح ونفس منبسطة في خلال هذا المظهر المؤثر طرق البريد باب الشارع طرفتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحل رسالة كان يرى من غلافها انها آتية من بلاد بعيدة. كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض خاتمها لانه مالبت أن عرفاني عنوانها خط قويدوز وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة - انكليز يقرنحي - فاذا هي تتضمن تهنئة من هذا الافريقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاء كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالقبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على شهر سار وهو أن الزرع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حذقه وحذق زوجته واتهار بما كملت لها صداقها عند الزواج

أني على جذلي باغتيال أصدقائنا محزون لفكري في مفارقةهم لنا لأن هذه
الولاية المفيدة كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون إلى فرنسا حيث يدعوهم
إليها ما وقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم وأني مشيعهم
بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الأخيرة التي فاه بها عند
مصافحتنا بصوت ملوؤ الوقار والهيبة وهي قوله: «على كل منا أن يسعى في جعل ولده
رجلا حرا فانا بذلك نبحث جرائم الشرور المحزنة للامة . . . اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبيل ظهور يوم الاثنين أول جمادى الثانية
من سنة ١٣٢٤ هـ بحجة النبوية الموافق لثالث والعشرين من شهر ربيع سنة ١٩٠٦
للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطبعه ككتاب مستقل أسأله سبحانه
التوفيق والهداية للرشد
المغرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المخطوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضعها بين السطر
التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها :

اذ قال : لكن لن يعدم المفلوبون سلاحا فالذي يسبق من السلاح في أيدي
الأمم المفلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية ولن تخضع الحكومة
وعينها ماداموا لا يستكينون للتدخلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب
حقوقهم وأموالهم وتعدم من يستوطنها منهم وترهب اندالهم وتخدع جهالهم
واكن هيئات ان يكون هذا هو ظنرها النهائي بهم عنوة . لا نظفر بهم الامم
ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم الامة الجرة وهي أمة المستقبل تزيد
وتتم في ظل حكومة الاستبداد وستنصر اذا تقوى بما نكتبه من المعارف وبما
يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور
وبما تستفيد من القوى التي يختلسها العلم من الطبيعة

لاريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يودي عملا سياسيا فلا بد
فيه من ملكات وميل خاص ولكن لكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في
مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضي ولا من آرائه فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستفيد من حاجات أمته وانما عليك ان تعلم انه لا يكتفيك ان تظمن في الاوضاع القديمة لهدم بناها بل لابد ان ثبت لك العلم كذبا أو عدما واذا أردت ان تظفر بخصمك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبه اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الأخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فانه غير كاف لقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لاتفي بمطالبها ولذلك التجأت الحكومة لان تحرك هم الافراد وتمزج من غيرهم لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسابقوا الى الاكتاب في انشاء المكاتب وأقبلوا على تأميمها كل اقبال مع عدم نعودهم على القيام من أنفسهم بمثل هذه الاعمال فانه لا يمر يوم الا وترى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الفراس قد نما وأزهر فتجني أولادنا ثماره ولكن من الأسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بشعر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصا في التعليم يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى يخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام ثيار من نفسه لتحقيق هذه الامة لان

الامة انتهت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرته ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديسة واختبارات كثيرة ما شغلت ونشغل عقول كبار العلماء في أوروبا ولا يصل اليها منها الا صدها الضعيف فنها ما يختص بالوجود وما ينطق بالبيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والنشر ثم والترية وكل ما يرسم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحدا شيئا منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو السكال وأبلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتبهوا من مؤلفيها عند الاورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمنا لا يمكنها أن تتمد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والعمارة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجسدون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بمحاولتهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشغلون آفان الليل وأطراف النهار بالهدوء والكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجتنا وأنه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الامراء لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نرين بالاجمال المآخذ منه
(أولاً) ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها
لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانياً) ليس لهذه الجامعة صيغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا
المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما ليس بها على أي وجه كان
(ثالثاً) ان اشتغال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي
والمتجزي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في
تحقيقها عاجلاً أو آجلاً ومن ضمن ماتري اليه غايتنا متعذر الآن لانه يكون
مشروعاً جسيماً جداً وتفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات
لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن
عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد
بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى
ضراً أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا
الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه
دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب
عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما يثقلون منها

دروس نؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أروربا تحت
ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة
للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها تتعلق بما يكون للجامعة
من الأيراد

(رابعا) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم
في دفاتها ويلتزمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها
ويحصلون على شهاداتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة
تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فإنه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما ينفع به كماله العلمي

(خاصا) أن جمعية المكتبين تاتخب لجننتين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بنزاهة التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتسابات من المتبرعين هذا هو مشروع أول من اكتبوا للتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم محنونا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء اننا سندعي جهودنا لتحقيقه وإذا سعى كل سعيينا فلا شك في نجاحه لأنه لا معنى للجحاح في مثل هذه المشروعات إلا أن يتحد الكل ويعمل الكل فكل رئيس يدعو إلى الحبة وكل أمل يدعو إلى الجحاح على اننا اذا لم تتمكن من الوصول إلى تمام المطالب فاننا نرحو الله أن يوفق لاعامه غيرا ممن وهب لهم همة أعلى وفكر أسمى وحزما أقوى وأملا أوسع

وبعضهم وهم الاكثريون مشروعنا جزئيا ليس له من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل بمقدار قوته وان التدرج في الامور أقرب إلى النجاح فيها من التفرقة والتأني في السير أضدنا للوصول إلى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستمرار فيه وتوسيع دائرته فإذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكاتفين إلى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اهـ

(النبأ) ان اللجنة التي اجتمعت لأول مرة في دار سعد باشا وغول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أعضاء الدعوة وحملت سعدا وكيل الرئيس الذي أرجي انتخابه ثم إن سعدا عين ناظرا للمعارف العمومية فاضطر إلى الاستقالة. من الوكالة لأن ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكن لا يزال يساهم بالاحقة وقد احتير قسم بك أمين وكيل اللجنة بهذه وقريه في الهمة والذات ويرحى أن يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكفل في نجاح العمل

أنا علي بن أبي طالب

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

— ومسائل شتى —

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمشكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتكره معارف المارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين . وسرني ان كاتبه لم ياب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلماذا أقدمت على مالا يسوءه من نقد هذا الكتاب .

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والظن وليس كذلك وانما النقد هو التمييز وكشف خوافي الشيء وتعرف الجيد والردى فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو ردى وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح ومالا يصلح . وفوائده كثيرة أهمها حمل الكاتين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن .

﴿ كتب هذا النقد صديقنا الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحصري نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلد المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى بعض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هناك من ذهول أو خطأ نراه يمدّ والخطأ المعدود لا ينقص قيمة صاحبه .

وقد يكون الخطأ ما يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا شأني في هذا الكتاب فقد تبتمته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل صعبة فاقصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو أزهري للذين ينادون على الازهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصى لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير .

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لاني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وههنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو أبعد من هذا ولكنه بعد لا يعتد به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير انفصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها « موجودة » وهذه عبارته (ص ٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة وفي (ص ١٠) لانعرف للدعاة اسماً عرفياً يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتي يضع لهم العرف اسماً لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان «هذه الوظائف الثلاث موجودة» عند أهل كل دين من الاديان .
هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة «موجودة»
«وغير موجودة» تناقضا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يحتاج لاقامة دليل .

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الازراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته :

قال في (ص ٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الازراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يتمكن ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل التدرج والشذوذ .

وقال في (ص ٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لأن لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل .
ثم قال في (ص ٨٥) واذا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في الاختلال وكان على علاقته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والعرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناطول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالاً واختلالاً
ثم قال (في ص ٨٨) ولقد كانت الحالة العلمية في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع أخص في درجة سيئة جداً

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص ١١٣) أن المسلمين لا توجد فضيلة توجد في أمة من الامم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الطويلة تقصها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم فقراء أفذاذ لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد تقضها بكتابه كله من أوله الى آخره لأنه ناطق بمبلغ الجبل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجبل واية أمة من أمم أوربا يشنها من الجبل ما يشين هذه الأمة المسكينة . أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت معتلة مختلة فإذا يصلح الفساد اذا فسد في الأمة أهل هذه الوظائف - كما يقول - وهم الملحق ؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام ؟ أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمتستجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما أشرنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفث عن عيبيه مرة وعن شماله مرة أخرى عرف مقدار الشر والفساد الواقعين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد للمرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو سطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا المنتصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجد واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها ...

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابتك يا صاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة . وكتابتك كله ينقض قولك هنا ولقد أحدث في هذه الخطبة التي اسبغت فيها ولكن فانك النظر الي سر هذا الفقر الذي ذكرت . وسبب هذا التمزق الذي وصفت . وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب . ومن نتاج العيوب . وأبو الكل الجبل وكفى

- الرابع -

قوله (ص ١٦٤) في علم التوحيد أنه من العلوم المضرة وانه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص ١٣٤) انه الفقه عما العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ما عداها من العلوم فإما هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص ١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرناها لك علمتان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعل الفقه والتوحيد وليس غيرها بينهما من علوم المقاصد .

- الخامس -

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تقريظ في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة النافعة بها . ونقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) انه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقضات الصريحة وما نظها وقعت منه الا ذهولا ولئن أخرج هذا الانتقاد نفس المؤلف فان الانزاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على حرارة الانتقاد فكانت علاجا لذهوله كان ذلك خيرا له من الالباء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلالة التقريظ التي قد تضر بصحة النبي والله ولينا وبه الاستهداء وكنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قما لعادة النفس فمن شأنها الالباء على المذكرين ومع هذه المناقضات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثير من الخطأ فنعهه تاباً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

- الثامن والتاسع -

كلها في قوله (ص ٩) انه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لانه ليس من اللساني التي يحزم كل أحد بها جزماً باتاً عاما لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لانه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة فقط نحمده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا باسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدر كيف حكم على الاديان كلها وهو يحجل أسماءها دع عنك ما تنطوي عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين ولعل أنها غير موجودة عند اليهود فكانها رأها موجودة عند النصارى

ظن انها موجودة مع تلك الوظائف التي سبها عند أهل كل دين (٣) وفي تفرقة بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدوا ما تحملوا يكونوا قد أُرشدوا أو دعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمعرفتهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من الفاشين الوضاعين المقترين على الدين - كما وصفهم هو - والفش والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؟ و(٤) في ايها الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأ نخصيه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثمة من الخطأ بل يكاد انا ضمنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أوضحناه ان يكون في كل كلمة من كلماتها خطأ وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

- والرابع عشر -

(١) في قوله (ص ٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل التدرج والشذوذ . و(٤) في قوله (ص ٨٥) « ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية » وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بعض غاية بتطبيق العلم على العمل . و(٥) في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره . قد سلف التنبيه على ما في هذه الجمل من المناقضات والان نبين ما فيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يوقع صاحبنا في الخطأ المجلة في الحكم في الكلمات مع عدم الاستقرار البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستاذة وهي أكبر بلد من بلاد الاراك الجامعة لمعاهد العلم الكبرى فالبلية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلية أعظم

إن الحاجز محرر هذه السطور قد أقام في الأستاذة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأستاذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بفسير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدها مبني على التزوي وشيء من الاستقراء والاخر ليس كذلك فأحدها هو الذي يقرب في ظن القاري أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ،

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله ردي - وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حاله في الجزائر ولا في المغرب الأقصى ولكنني أظنه أردنا وأرذل - أقول كله ردي بحيث لا يصح ان يقال انه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن مقاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً تماماً يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فاذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستاذة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفاً لا ينبغ فيهم خمسة عشر طالباً في كل خمسة عشر سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الاراك من خمسين سنة الى الآن - لعمرك إن في قوله هذا مبالغة لأغرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع .

وبما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

الموجاه ولكن الذي لا أراه هو ما صنعه المؤلف بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي . على أنني مع هذا الإنكار لا أدخل في المفاضلة بين ذكاه التركي والمصري وإنما المفاضلة بصدد طريقة التعليم لهذا وذلك وهي عوجاه هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد . وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأتها وأياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدان المؤلف اللهم الانقرا أكرمهم الله واحتصمهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ، فاقطعوا شعثاً من ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فبرزوا الصحيح من الفاسد ، والزاج من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هراك الله لا تبني عليه الاحكام العامة ولا تم به المقارنة التامة .

لعمري تمتاز الشام - ونرجو مثل ذلك لمصر - بأنها ليس لها أزهر تحشر فيه هذه القطعان وإنما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الأستاذ أقل من ذلك مظهراً وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام يحترفون بالتجارة ويفرون من البطالة أو الارتزاق من الاوقاف نفرة الأزهر من الخافقة وتراهم فلا يهولونك منهم التميز بالعلامة كتوسيع الأكام وتعظيم العمامة وجملة القول ان لا فرق بين البلدين إلا بالأزهر والتقليل من الحواشي في الشام وأما التحصيل وعدمه فالحصل في الشام كالحصل في مصر لا يفضل في المقصر في الشام كالمقصر في مصر لا ينقص عنه ، والحاصلون قليل في البلدين ، والمقصرون فيهما هم الأكثرون . وأما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطالبين على الأحوال فأبنا بأن حال التعليم هناك كحالهم في الشام حذو العين بالعين ، وأنه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ، والأدلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا جملة من حملة العلوم هناك حملة من الكتب في جملة من فنون العلم فألقينا ما رأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القاري أنه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون طلبة كل البلاد الإسلامية كما قال والله أعلم بالحال والمآل . (ثلاثمائة بقية)

- * ديوان الرافعي * -

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أيّ دهر مصر لا تندم وفي أي دهر مصر لا تنظم
بنوها بنوها أيما تك صدمة قلوبهم للجانبين فهم هم
وما يتقون البؤس لكنهم متى تمض بهم انبابه يتألموا
ويطرحهم عهد الرخاء فان مضى فسهل عليهم بعد أن يتقدموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يمش يمشيه أهله والا ترجوا
وما برحوا إن خاذلتهم ظنونهم وأعمالهم مدّوا المني وتوهموا
وان سقمت آراؤهم سقم ملية تحامل فيها الظن والظن أسقم
فرادى وأحداث الزمان جمعة وقد عفوا سر الزمان وعفوا
فن حادث في حادث عند حادث كأنك للأحداث يا مصر معجم

* *

ومما يزيد الهم لهما وحسرة تصايح فتيان بنا أن تقدموا
فمبعها لك اللهم بلبت قومنا فما يفهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري إلى مرتقى العلا رجال ضعاف ان جروا يتخطوا
ويبينون ان ترقى وهاتيك حالنا وما عندنا الا للأسفل مسلم
كن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أقر السفن المتاع بمصنع ولما يتوها فكيف تسوم
وقال من قصيدة غزلية

كم تمنى الي أحب وعندي أن بعض العصيان كالطاعات
ان رأني يدق ناقوس قلبي من جفاها كدقة الأموات
فوبي ظلمة الليالي اذا ما غشت الارض والسبا هفواتي
أوليس الظلام يعقبه الصبح ونمحي الآيات والآيات
غير اني لو كانت الشهب أقلا مي وكان الظلام جبر دواتي

ورسفت الذي أقامني من الحب وكان الوجود من صفحتي
 لا تطوى السكون ثم أبصرت في آخر أوراقه (البقية تأتي)
 هذا وأنا لا أتكلم في انتقاد الديوان ولكنني أنصح الناظم ان يفكر عند
 النظم أو عند التفتيح في معاني الايات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارئ
 لاني التأثير فقط فان من تخيلاته أو من أياته ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى
 اذا تأمله القارئ لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية رجها عن الفرنسية نقولا أفندي رزقي الله مدير أعمال جريدتي
 الاهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات
 الشعب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإيمان واعتبار يرى فيها قائدتين
 احدهما سياسية وهي ما تمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعوانهم بظهورهم للناس
 بلباس المدل والنفاني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذا اخلوا بأنفسهم
 لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والدسائس فجميع
 بطانة نابليون كانوا من الأشرار المقتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المحاذين
 للأحرار والاعهار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم
 لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالدسائس والحيل والتزوير والقتل
 وما أنسى لا أنسى ذلك الذي ألف كئيبا في مفاسد الفجار فأحسن مكافأته نابليون
 وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المؤلفات التي تظهر البلاد من
 هذا الفساد ولو صدق وأخلص لظهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا
 وهكذا شأن الملوك وأعوانهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والفة ثمة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادما في الاصطبل فارتقى
 بمجده وكده حتى صار عالما سياسيا وغنيا سخيا وفاضلا وفيما غارب دسائس حزب العاهل
 العظيم حتى فاز بمراده ، وثار له حسنين الى أهله وأولاده ، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك
 همه المستمد الاستقلال ، حتى ينهض بجلائل الأعمال ، ونحن القصة ثلاثون قرصا صاحبها

باب الحجة على الأعداء

﴿ كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته ﴾

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ما طور من اجلال الاله له حيا ومينا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الغازي : انني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن ارجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الا فرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوربا) ضاق علي المسكن الذي كنت فيه لان الخسارة بفقده لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد في مرض موته : اننا كلنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الاله في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا توضع وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة ففرغب اليكم ان تعملوا عملا ترقية المسلمين في مصر فانهم لم يشعروا بالأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعملوا انتم وعلي أن أساعدكم فن لا يرقى نفسه لا يرقى غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهيمهم أمر الامة ويقدمون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجلان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقى : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين انه بالعكس متمصب للدين ولكن يقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بملاء شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشغفل بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع المؤننين عند القبر يكررون كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه أكبر من ذلك أنه فقيد الشرق كله

﴿ دولتنا الاسلام ، تركيا وايران ﴾

باحسرة على المسلمين ، ما ذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثروا عن مثارة غافلون ، لم يكده تتمتع منهم الآذان ، بنعمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ، حتى صحتها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزها ، أو كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من بعض حتى لا يتعب عدوهم في التكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة باردة له . والا فإنا الآن ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا ولا اعتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرطمون في فتنة اليمن الذي توالى السنون ولم نزل من التأثيرين فيها مثالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونحترق بيوتنا بأبدينا

ياحسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم ، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين جاء به هذه البلاء ، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البراء ويبري الجناة الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هو لا مسامو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تتحد عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٩: ٤٩) وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فان بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي

تبني حتى تقي إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الاسلام وهو كون حكم المسلمين شورى بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله إن القتال لم يمتد ونسأله ان يهب للفرقة بين التوفيق للوفاء حتى لا تمتد الفتنة .

الامتحان في الجامع الأزهر

ألفت إدارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعة لامتحان الذين أنعمت عليهم الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كهراء الشيخ ان يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شاكر نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكانت أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الأزهريين المنصفين يفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر ويظن أنه قلل الشكر والثناء الحسن . وأمل ماسمعه من أخبار الساهل وإعطاء الدرجات لأفراد لا يستحقونها ما بلغ فيه ولعل الشيخ شاكر يعني بتحقيق الحق في ذلك

أخبار نجد

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية الى نجد ستة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر سامي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برح بأولئك الجنود حتى كانوا يجمعون الحنظل من القفر ويستخرجون بذره فيفولونه على النار حتى تخف حرارته فيثبلون به ولكن سمه يفعل في إحشائهم فمعه وما زال الجوع والعري وسم الحنظل تفنك بهم حتى لم يبق منهم الا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم راحل نقلت سبع مئة منهم الى البصرة وبالقابن الى المدينة المنورة



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و«نارا» كمنار الطريق

« مصر - في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ - أوله الاثنين ١٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٦ »

باب الاصول والعقائد

﴿ فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقلد ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر - ٣٩ : ١٨)

الهم اجعلنا من عبادك الهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين ، الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهداهم الى يوم الدين ، وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تميز الى رشد وعقل . لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم نقاطهم طوراً بما يناسب مدركات الحس ، وطوراً بما يناسب وجدان النفس ، وحملهم أولاً على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانياً بالاقناع وضرب الأمثال . حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بحث فيهم خاتم النبيين والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل، فامتاز دينه على سائر الأديان، بأنه دين الحجة والبرهان، الناعي على متبعي الاوهام والظنون، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، بل وصفهم بمثل قوله « صُمُّ بُكْمٌ عُيِّي قَوْمٌ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لَكَ هُمْ الْأُفَالُونِ »

كتاب احتج على صحة العقائد بآيات الله في الأنفس والآفاق، وبين فوائد مادعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن، ونبه على مفاسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبني الجرح والاعتات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين — هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لتسادهم وشقتهم (١٢: ١٠٨ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ نَصِيَّةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) ووصف من اتبعه بقوله (٢٥: ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهياً للأنواء، أو مثاراً لاختلاف الآراء، أو مجالا لتحزب العلماء، أو آلة لسلطان الرؤساء، فهو الخفيفة السمحة ليلها كنهارها كما ورد عن جاء به صلى الله عليه وسلم (٦: ١٥٣) وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

يَكُفِّرُ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَاكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه
السورة (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقل في سورة آل عمران
(٣: ١٠٣) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (الآية ثم قال بعد آية
أخرى منها (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال عز وجل (٣٠: ٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَاقْفُوهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وثم آيات أخرى في التفسير عن
التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون إلى هذا الدين؟ هل ظلوا على
البصيرة في دينهم أم تركوها إلى التقليد واتباع الآراء وخرؤا عليها صما
وعمياناً؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل
الكثيرة فتفرقت بهم عن سبيله؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة
الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعه تعادي الأخرى لمخالفتها
أيها في المذهب، ومبايئتها فيما أحدثت من المشرب؟

إذا كان الخلاف طبيعياً في البشر، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم
إذا تمدت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في
كل خلاف يقع إلى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤: ٥٩) فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذمى تبعه التنازع الديني
فتفرقوا شيعاً كل شيعه تتحل مذهباً تتخذ حجة لنفسها على سائر المسلمين
فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب
والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولاً يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار
السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية
السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ،
نخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فمما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم
فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في
أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه،
واما خسرانهم الآخرة فمما ابتدع جماهيرهم في الدين ، واتبعوا غير سبيل
المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من
الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق
على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فآثم بطاعتهم ما سلبه من
الخالفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج
بل بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض — بين الاشاعرة والحنابلة
بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والخفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلبث من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج ياجوج وماجوج ويقول انهم هم التتار

مالك ولعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدركت في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف وإعادة الأخوة الدينية إلى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو إلى قريب من ذلك . بل تجد الخفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الإمام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقاً بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا . ومن أن شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز إكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٢٣: ٦٨ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يدهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يبدل خوفهم بالآمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلاً ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانعام الخلقون ، « ١١ : ١١٧ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَفُونَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرون على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقتلهم أمسوا غرباء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اعتناء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذا أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أمر يطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الأمة فكانهم ليسوا منها أتى على الأمة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكلةهما ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة التي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ،

ثم اشتد ضغط السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة الى الاصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة وطفقوا يتسمون ربح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون الى الاصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى الاصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ، لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فاغلاق باب التقليد الاثمي وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح . وقد كتبنا في مجلة « المنار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ما هو من انشائنا ومنها ما نقلناه عن الامام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبيننا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملاً خالصاً لوجهه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

فصل المقال في توسل الجهاد

ألف الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهاد) واسمه يدل على مسماه وقد أحسن فيه ونصر السنة وإخال الدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر النحاسي النابلسي وأما نورد خاتمه على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذا العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب النكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووفقه: الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالأسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (أما أمرنا شيء إذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المتهكمين في الأولياء من أن لهم التصرف وإن الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعززون ويدلون... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) بخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذله) رد على الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذله » فكيف لنا معرفة من اذله فان نهاية ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافه ويحييك بأنى أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقره وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) أمر ان لا تعبدوا الاياه — قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أنارة من علم — فلا تدعوا مع الله أحدا — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استغثت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه
مكن قال ياشيخ فلان أغني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله
وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين).

واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون
وجه فأطاعه مطلقاً فإن الله - في ذلك المطيع عابداً لذلك المطيع ومتخذة ربا
قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أيها الذين آمنوا لا تعبدوا الشيطان - اتخذوا أجباهم
ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير
الله ولا أن يدعو له وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء مخ العبادة وأما
من قال أتوسل أو بحق فالاملاء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله
مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجوز التوسل بالاحياء دون
الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم
ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه
أولى من هذه الخشية وسدا للذرائع لان الجهلة لا يفرقون بين التوسل
والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم
مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجوز مع
ضعفها فأنها لا تفيد الاجازة بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع
بقربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل
بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من
المبتدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول النامة ياشيخ عبد القادر
شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند البحت شريفة

في هذا المقام لا تتدر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لولم يبيض الله أو تلك القوم لتلك النهضة لمكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مدار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منهم الحبح وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يفتريه الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية ونليمذه ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الاباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فطلعت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من اتقده عليهما من المعاصرين لهما وليحكما بينهم بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يماكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طاب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالة ولو خالفك فانه يخالفك ويترك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة وذنبتك رغبتك عن طريقته الوحشية وسيرة

الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون
 بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملاة ارض منهم
 « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان
 وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ
 باليمن فما فارقه حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفته الناس عبد
 الله بن مسعود فسمعه يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته
 يوم من الايام وهو يقول سبيلي عليكم ولا تؤخرون الصلاة على مواقيتها فصلوا
 الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فلها لكم نافلة قال قلت لأصحاب
 محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها
 ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة
 قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفته أهل هذه القرية تدري
 ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما
 وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب على فخذي وقال
 ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله
 تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة
 قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها
 البيهقي وغيره وقال بمض أمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال
 أدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ
 المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور
 وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكرًا لقله أهله
 وشردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذبت الله به في النار ١٠

صرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم
الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل
الانفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ ولقنوني والخليفة
واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك
فأخذ بالسياسة والمقوية بعد الجبس الطويل فلالة الا الله ما أشبه الديلة
بالبارحة وهي السبيل المهيج لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى
عليها سافهم ويتنظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً } انتهى ومثل
ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث
وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان
التمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة
الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن
البيهقي في كتاب المدخل ومنهم الشعرا في كتاب الميزان قال سفيان
الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من اهل السنة والجماعة ولو واحدا
وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه
وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن
مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من
المشركين تشبيها له بابراهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يقتصر في كل باب من أبواب العلم بأصل
أثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

باب المقاتلات

الامل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ يَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفع به على سائر الالكوان، ليلبغ به المقام المحمود، ويجوز ما أعد له الهناية الالهية من الكمال الثلاثي به. راجع نفسك، واصنع لمناجاة سرك، تجد في وجدانك ميلا قويا وحرضا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتمامها تجد مثل ذلك في كتابها كما هو في آحادها تبثني رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتما: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يصف حرصه، ولا ينقص ميله. بقطع شعابا، وبغاني صغابا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسم شاهق العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأته يملل وينضجر كما يتقلب على

(*) من مقالات المرأة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

الرمضاء . لوسبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقوم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المن إلى أصحاب الامر والذهبي كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم وبأنف من ضمنه فيهم ويحرص على ما يحمله في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سببه مادام حيا يخطر في بساط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حدود لا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحانه انه ماذا أخذت محبة الشرف من قاب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده عمرة حياته وغاية وجوده حتى انه يحتقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه ، أو عند مسه والوف من سلبه . أرأيت أن قبرا ذا أسما لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعله تهينه أو وقفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن الميزة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تقضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما نقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشيت مضجعه في ميته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعا عن الشرف أو طلبا للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهين الانسان طعام ولا شراب ولا يبين له مضجع الا أن يلحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذات . كم يعاني الانسان من التنب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يحتمل في الانقطاع عن اللذات مع اتتمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخارا أو ليحفظ ما آناه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يهيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة يسلكها الحي الى ما يستطيع من
المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قروا الذين بما قارب منه، آسف الفؤاد علي ما قصر عنه .
ما هو المجد الذي يسمى اليه الانسان بالالهام الآسهي ونحوض الاخطاري
طلبه وبقارع الخطوب في تحصيله؟ هو شأن تعرف النفوس لصاحبه بالسودود وتذعن
له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه
من ذوي قرابته وعشيرته وسائر أمته فتفسد كلمته وكلمة المتصايين به والمتحمدين
معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم علي مائة الاوصاب
لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولى . فما كان يحبه طالب المجد عائدا الي
نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره علي بني جلدته أجمعين . واه! تلك
حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودود نعم
وهل نال ما نال الامة من سائر الاحاد منهاه ذلك تقدير العزيز العليم . ماذا يستطيع
اجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان
همه أن يصعد الي عرش العزة ويرقى الي ذروة السيادة فعليه أن يهي نفسه زالمتمتين
اليه لتحصيل كل ما يهد في العالم فضيلة وكالا . ما أصعب القيام بمجدة هذا المبل
النفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحمل النفوس في قضاء بعض الدار مما يتصل
به وما أعظم الحامل للأففس علي تجشم المصاعب لنيل ما يهل اليه من هذا الامر
الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل علي الارواح كل صعب ويقرب
كل بعيد ويصفر كل عظيم ويبين كل خشن ويساهيها عن جميع الآلام ويرضيها
بالعرض للثبات ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟
هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعالم هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهاء الكرب ،
وعلم هاد في مجاميل المشكلات ، وداكم قاهر للعزائم اذا اعترتها فترة ، يمسنفز
لهم ان عرض لها سكون ، ليس الامل هو الامية والتشهي الاذان يلحهما الدهن
تارة بعد أخرى ويعبر عنهما بلمت لي كذا من انك وكذا من الفضل مع الركون
الي الراحة والاستلقاء علي الفراش واللهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبدل الله سنته في سبيل الانسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهيج بخاطره بدون أن يصيب نعباً أو يلاقي مشقة . انما الامل رجاء يتبعه عمل ويصعبه حمل للنفس على المكراه، وعرك لها في المشاق والمتاعب، وتوطئتها للملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، وتهوين كل ملم يمرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغو اذا لم تفتد بنيل الارب فيكون بذل الروح أول خطوة بخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه الاوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتها في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به الآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انبجادا شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تراحوا في الأعمال كما تراحوا في الآمال والاهواء ومسالكتهم ضيقة ومشارعهم ضيقة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في الهم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخطين الشريرتين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية ور بما يؤهل الضعف الى اليأس والقفوط (نورد بالله منهما)

ماذا يكون حال الفانطين المنقطعة آمالهم؟ يحكون على أنفسهم بالخطية، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة، فيأتون الدنيا ويتماطون الرذائل ولا ينفرون من الالهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك ابداً كان قلبسب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما ترضى به الالهام فلا يهتمون الا بحاجات قلوبهم وذنبهم ثم ياليتهم يكونون هملاً وسوائب يرعون النبات وينعمون مواقع الغيث ولكنهم وان تركوا

العمل لأنفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمل
الحالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح
فيما الجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرها من الاعمال الشاقة ويدأبون بأشد
مما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً . ثم مات كسبهم بأمرها
محولة الى الذين سادوا عليهم بهمهم (هذا الذي يتجسمه الدليل في ذله من مشاق
الاعمال ومعاناة المكار له لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها)
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة
فإن السائدين يشعرون بحكم البسادة أن هؤلاء أمططوا انفسهم عن منزلة كانوا
يستحقونها بعقضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن
يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكونهم على الشكل الانساني وايداعهم ما
اودع في أفراد الانسان فيعالمهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون
من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت
في أيدي الاجانب

ونظن أن يوجد أقوام آخر سامهم سادتهم في الزمن السابق ويسومونهم
الآن ما لانسام به السوائم الراعية وهم على القرب منا وليسوا ببعيد عنا .
عجبا كيف تتبدل أحكام الجيلة وكيف يمحى أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس
حتى لا تطالب رضة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة
طبيعان في الانسان . بعد إيمان النظر نجد السبب في ذلك خلق الانسان أن
جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وإن قوته هي سلطان أعماله
وليس فوق يده يدمده بالموتة أو تصده بالهزيمة فإذا صادفته الموانع مرة بعد أخرى
وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الى قدرته فوجدها فانية، وقوته فآها واهنة،
فيترف بوهنه ، ويسكن الى عجزه ، فيأأس ويقنط ، وينذل ويسفل ، اعتقاداً منه بأنه لا
دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته
فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فيقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدی .
أما لو أيقن بان لهذا الكون مدبراً عظيم القدره تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سقوطه لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتغالب آماله غائلة القنوط فإن صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن إليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكلما أعاق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يمل ولا يكل ولا تدركه السآمة لا اعتقاده أن في قدرة مدير الكون أن يقهر الأعزاء ويلقي قبادهم الى الأذلاء وإن يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضعفاء من نواحي الأقبية - وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار - فقتشد عزيمته وبدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الأولى والأخرة وما كان لو قرن بالله وبقدرته وعزته وجبروته أن يقنط وييأس ولهذا أخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريب فيها بما قال وهو أصدق القائلين « أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وبما حكى من قول نبيه إبراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن أين يطرق اليأس قلبا عقد على الإيمان بالله وبقدرته الكمال . لهذا نقول أن المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أن يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم إيمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضميم ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الأمم فإن لهم ملوكا عظاما ولا يزال في أيديهم ملك عظيم على بساط الأرض وأب من الحق أن إن أبواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلبجوها ، وإن روح الله يفتح عليهم وما يلزمهم سوى أن يستشقوها ، والفرص دائما تملأ أيديها اليهم لطلب انهماضهم وتب غافلهم وتوقف نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكائبتهم الأولى والصعود الى مقامهم الأول إلا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إنجاز مآلهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب للناس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله التاملي بأن الرأس من
أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والغي فماذا بعد الحق إن الضلال؟
هل يكون للقائلين فيهم من عذر: يُرضون بالصيرورة للإعجاب بعد تلك السيادة
العليا؟ ماذا ينتفون من الحياة إن كانت في ذل واهانة وبقر وفاقة وشقاء دائم بعد
عدو غاشم؟ يطامشون وهم بين اجني حاكم وبغيض شامت ومفرج غبي ومشتنع ذلي
ومعبر خسيس يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحكون بأن بحال عليهم
أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسأخ لإنسان عن كل خاصة انسانية كيف
يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والكدرات أينسون أنهم كانوا الاعيان
في الارض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التواريخ، ولا عفت الآثار،
ولا اضمحلت بالكتابة شوكة المسلمين من وجه الارض؟ ان كان للامة عذر في
الغفلة عما أوجب الله عليهم فأني عذر يكون لأملاء وهم حفظة الشرع والراسخون
في علومه؟ لم لا يسمعون في توحيد منفرد المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم
لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة
لنقوة المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين
به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم . بلى ان قوموا شرح الله صدرهم
للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الارض يجمع التواصل بيننا عقدة
واحدة الا ان أملنا في بقية المسلمين ان ينفعوا معهم ويقوموا بتضييدهم ليتمكن
الجميع من نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكوتهم (٢)

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في إيمانهم وثبات في عقيدتهم بياهاون بها
من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض وبما

(٥) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة
للعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ويشفقون على أحدكم
أن يمرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في
علمائهم متمكنة في عامتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض
عالمًا كان أو جاهلًا ان واحدا من وسم بسمه الاسلام في أي قطر ومن أي
جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق ونأسف يلجج بالحوقة
والاسترجاع ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع
من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعده ثين
من السنين لا يمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويسنفزه الغضب ويدفعه
لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على
ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبيهم وبعيدهم
ولا بين المتحدنين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم
ان لم يقيم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الأثم ومن فروضهم في
سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام
كل خطب ولا يباح لهم المسألة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا
الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالفيت الشريعة في طلب السيادة منهم على
من يحالفهم الى حدلو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة
من دار حربه — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا
يفير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكركه بما
تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من
إلهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة
عما يلزم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كانوا يرون
حركات الانكليز في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون ندخل الانكيز في بلاد فارس
ولا يضجرون ولا يتململون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالمعجب ويدعو الى الخيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجملًا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات
والمدركات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بقدر العزيز العليم لكن الاعمال تثنيها وتقويها ونطبعها في الانفس ونطبع
الانفس عليها حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه آثار التي تلازمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الي مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا
وكل فكر يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع الفعل والافعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو لآخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
ولا التحام لولا ما تبعث عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانساب
والعصبة على نبيل المنافع وتضاهيهم على دفع المضار وبعد كروار الايام على المضافة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذًا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انساب النفس لعون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا
مجري الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشبهه أمره على بعض النظر بنفعه طبعيا . فلما هملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو ألبانه ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري
مجري المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ما ذكرنا في راحة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الي عمل تطبع عليه الجارحة وتعمر عليه وبهود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكلها فلن يكون منشأ لآثاره وانما يمسد في الصور العلية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بهين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلية في ثباتهم عن نصرته اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهمج بعضهم بعضا هجر اغبر جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة للدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيشتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لأنساب بينهم وكل ينظر الي نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك المجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والولاة من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا مراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التدابر والتقاطم وارسال الحبال على الفوارب عم المسلمين حتى صحح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الاطفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يعرفون مواقع أقطارهم بالصدقة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته . كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج ففزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انشلت وحدة الخلافة فاقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الاندلس . تفرقت بهذا كلة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيئتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدايهم الى من وسائل القوة والشوكة ولا يراعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكزخان وأولاده وتدميرولنك وأحفاده ويقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم فنفرق الشمل بالكلية وانقسمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الي ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ونبعث على اشتباك الوشيجة وصار ما في العقول منها صورا ذهنية تحومها مخازن الخيال وتلحظها الذكورة عند عرض ما في خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب يعض المسلمين بمدن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ولا دفع الفائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الورثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بشكركم الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويحملوا معاقده هذا الاتفاق في مساجدهم
ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهيأ لروح حياة الوحدة ويصير
كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته
الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض
بعضهم ببعض ويحملون لهم مراكز في أقطار مختلفة يجمعون اليها شئون وحدتهم
ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشددهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا
أطراف الوشائج الى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد
بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزرك الدين وحفظه من قوارع العدوان
والقيام بمحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتدخل فيها
يما يحيط من شأنها ويكون كذلك ادعى انشر المعلوم وننوير الافهام وصيانة الدين
من البدع فان احكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف
فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فسادها
بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها
واقترارها على دفع ما ينشأها من التوازل .

الا أنا تأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين
إلى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت إليها في هذه الأيام طائفة من
أرباب التقيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن
يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحدهم ويجمع شئتهم فقد دارستهم التجارب
بيان لا مزيد عليه وما هو بالعسير عليهم أن يشوا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا
بالاكف من هو على مقربة منهم ويعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم
وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يسببها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا
فرصة وطلبوا سعادة والرمق باقى والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

— الرد على الشيخ بخيت — تابع لما في الجزء التاسع —

﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم بما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذي استنبط منه الشيخ بخيت جواز ان يكون امام المسلمين وخليفتهم كافرا لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله المدوي التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن لحكم البخاري بأنه لا يجوز روايته وقال وكيع انه كان يضع الحديث أي يختلفه وينسبه لى ابي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمذاعبة عبد الملك بن حبيب له لا يفتد بها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعه فاننا لانحكم بأن الحديث يرتقى بها الى درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتاج به .

اماماً كثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكاحه أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفاً أو منكراً أو موضوعاً في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وإن كان فيما نقله عن المتأخرين - كالنناوي والزبيدي بل والقاسمي - ما يروى الجاهل بالحديث ما يروى . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا يجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعاً وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتاج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما ينفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا يجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يفتقر به أحد . وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . نعم انه يجوز عقلاً ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفاً بل أكثرهم كذباً ووضاً ما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتاج بها لاحتمال صدقه عقلاً . واذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره من الثقات فانما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول في استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيت لا يعرف له سندا يسمح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض الفقهاء به في غير مسائلنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون علي يدته في استنباطه والا فليقلع عند ما قاله الفقهاء ولم يقل أن أحدا منهم قال إن الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافرا وأنه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله أي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه العلماء بالقبول وإن طعن فيه أهل الحديث مانعه : « وقد علمت أن حديث جابر الذي نحن بصددده قد تمتدت طرقه وروى عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي سميد وجابر رضي الله عنهما وذكر في كثير من السنن وكتب الحديث كما مر ولا شواهد تصحح مناه من الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع الأمة وأصول الشريعة » اه
أقول بعد الاستعاذة بالله من مثل هذه الجراءة قد علمت بما ذكرناه في الجزء التاسع أن الحديث لم تمتد طرقه بل هي طريق واحدة - وأنه لم يرو عن أبي سميد وإنما روي عنه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يمد تقوية له فيه وإنما تقوي الروايات بعضها ببعض فبما تشترك فيه وليس في حديث أبي سميد انهي عن إمامة الفاجر للمؤمن إلا عند الخوف - وأنا لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وأنا ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي أما البيهقي فتد ذكره ليبين أنه لا يحتاج به وإنا ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له مانعه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره المشهور أن ما انفرد به يكون ضعيفا وليس بكلي لكن انما لك كذلك » ثم نقل أن السيوطي قال في حاشية النسائي قلاعن غيره « أن ابن ماجه قد انفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ووضع الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهة مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك وإسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم» ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب العلل لابي حاتم انتهى . قلت والجملة فهو دون الكتب الخمسة في المرتبة فلذلك أخرجه كثير من عده في جملة الصحيح السنة لكن غالب المناخرين على أنه سادس السنة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع ما طرنا بعد بما انفرد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط إيهامه قوة الحديث بإخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي الى اثنين من الصحابة .

وأما قوله ان له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه بأشتماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الامر بالموبة (٢) الدلالة على اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة واخص على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها وتهاونا أو جحدا لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن امامة ائمة جرداء .

أقول ان التدليس أو الإيهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم بما سبق ان تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد تأييدا له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة إسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم فان من الاحاديث الموضوعه بالتفاق الحديثين ما هو صحيح المعنى موافقة معناه كدليل الكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا يجوز نسبته الي النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته الا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . وهذا هو الحكم فيهما اذا كان معناه كله صحيحا مؤيدا بما ذكر وما اذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقري المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

عليه أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وأياكم وشرب القهقهة : وادعى

ان هذا حديث فهل يباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح معنى لانه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشماله على الامر بالتقوى ؟ لا يباح ذلك فان موافقته لما ذكر بالأمر بالتقوى لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في التحذير من شرب القهوة . امثال ينطبق على دعوى الشيخ بحيث تأييد حديث جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتاج به على جواز كون السلطان الذي يأذن بالجمعة ويرلي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشمال حديث جابر على هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتلا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ورجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور بتأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطويل لا حاجة اليه في موضع النزاع ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وإنما نذكر من ذلك ما له علاقة بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة — أي ولو كان كافرا على حسب استنباطه . — فمراه الى الخفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى « الى ذكر الله » اذ لابد في الذكر من ذاكر وهو من له ولاية الاقامة . ونقول اذا كان الشيخ يثبت مقبلا بمحتالوا لاء الخفية وان لم يظهر له صحة دليلهم فانه وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها من ولاية ولو لكافر يأذن بها وأنه يجب ان يكون المصلي الذي يسعى اليه هو صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !!! أليس المتبادر من الآية فاسموا الى أداء هذه الصلاة التي نودينهم لها ؟ هل يقول الشيخ بخيت ان قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على أنه يشترط في قراءة القرآن اذن السلطان اذ لابد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) وكل منها شرط وجزاء ؟ فإن كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي للجمعة لا يدل له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ما هو وصف من نسب الى القرآن ما ليس فيه وما هو جزاؤه ؟ وهل الشيخ بخيتا يذكرك لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الحنفية لنعلم هل هو من طبقة محدثيهم أم لا واني أخشى ان يكون عزه ذلك الى الحنفية كمزود الحديث الى كتب السنن أو ...

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالأثار الصحيحة ما صه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفا أربع الى السلطان وذكر منها الجمعة والعديد والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا دخل للرأي فيه » اهـ

أقول في فتح التقدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جعله رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل جهل صاحب الفتح وغيره من شراح البداية ومخشيها هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجّة من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا دخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثا موقوفا وله حكم المرفوع وإذا لماد اسماء أمرا ؟ أم لعدم تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئ لرسائله ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الأثر من الحديثين يرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ لعله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو بالنقل عن البرق الوميض أو اتاني عن صاحبه الحافظ الكتاني الفاسي أو عن كتيبه لنا ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ما ذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتاج به فإن قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لأن صحة صلاة الجمعة مشروطة لآذان الدلائل لاتعمد ولا يقبها الله تعالى الا إذا سمع السلطان وإن كان كافرا

ثم قال الشيخ بخيت « وما تقدم » وما قوله ان المنذر مضى السنة ان الذي فيه سنة هو السلطان أو من أمره وقيل في التلخيص اذا قل الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام اهـ

أقول السنة في الاصل الطريقة والمادة والسيرة ولأهل الاصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات معروفة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتاج به أم لا قبل يحتاج به لأن الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعاداتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وإن كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لأن العبارة بما يرويه لا بما يقوله فكيف إذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها القوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لأنه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم أنه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون أذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لا سيما إذا كان كافرا على مذهب الشيخ بحيث بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالإمامة والخطابة فيها إذا وجد . وقد أقام الجمعة على عندما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحمل أنها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد إلا إذا كان هناك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يعتبرها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذي هو موضوع بحثنا لا يحتاج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » إنما هو مع سائر القبول لا مستحق ذلك الوعيد كأنه إذا ترك الجمعة وهو ليس له إمام بأن كان تحت سلطة الحريين الذين يمتنون المسلمين من إقامة الشعائر يكون له عذر

وهنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله إمام عادل أو

جائز استخفافا بها أو جحودا لها فلا جمع الله شمله « الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو مقيد بكل منهما؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدلل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليله أن الجمعة تؤدى بجمع عظيم والتقدم على الجميع بعد شرفا ولذلك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط أن يكون التقدم لذي سلطان يستقدون طاعته أو يخافون عقوبته قلما للفتنة وتنميها لأمر الجمعة ولنا أن بطل هذه الشبهة التي جعلها دليلا مفعولا بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لاسيما اذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيرا وكما هو المطاوب شرعا لاسيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلا اذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة اذا لم يكن هو الذي يقبها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكروها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحا لثلافاه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشتهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا تحمل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جمعه رداه دون صلاة الجمعة مانعا من تركها هو الآن كما كان قبل الآن سببا في تركها عند من اعتقده اذ يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلا الوصول الى اذن من القيصر بإقامة الجمعة فأى فتنة تحذر من اتفاقهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب الى العقل وأخطأ للدين مما ذكره

وأما الامر الثالث مما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها أو تمأونا أو جحودا لها فلا بحث فيه وان كان فيما قاله بحث لأنه ليس من موضوعنا في شيء . وأما الامر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بخصيت فيه خلاف

أي نور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بأنه لا دليل في الباب سواء أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان إذا مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الأمر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بن حيت (في ص ٥٠) فيه « والمراد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابلته بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً ... ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أبما أعرابي حج ثم حاجر فليس له أن يحج حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤمسكم ذو جرة في دينه » وحديث « اجعلوا أئمتكم خياركم » وعواستدلال بديهي البطلان فلا نطيل فيه ولا نتكلم عن هذه الأحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالأعرابي من يسكن البوادي وإن كان ورعاً زاهداً عدلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومناقضهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر وتوصل بذلك إلى قوله « ولكن المفترض قد أبى إلا أن يكون جميع الأعراب قسماً واحداً وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفاً في ذلك كتاب ربه سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المفترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المفترض المخالف لكتاب الله » اهـ ١١

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والهند وسائر بلاد المسلمين إلى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم لعلمهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة إلى الأزهر لأجل طلب العلم مضیعة للمال والوقت لأن مستوى العلم فيه إيراد الاحتمالات في الضروريات والبدهييات ، انفتت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقه على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم فجاء الشيخ بخيت المستنبط الأزهرى الجديدي يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول إن الاعرابي هو المقيم في البادية يخالف لكتاب الله تعالى . أنيس هذا العلم أو الجبل مما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل اليه أحد إلا بخذلان من الله ١١

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالتحريك بخلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار وأوعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعراب » وقال شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لانه (لا واحد له) كما في الصحاح وهو نص كلام سيديويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب » ثم قال « وحكي الأزهرى رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابته وان لم يكن فصيحاً وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدوياً صاحب نجمة واثواء وارتياذ الكلال وتنبع مساقط الفيث وسواء كان من العرب أو من مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعراب والأعرابي اذا قيل له يا عرابي فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب فمن نزل البادية أوجار البادين فظمن بظعنهم وانتوى بالتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتهي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء . وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لارغبة في الاسلام فسامهم الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهرى والنسب لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي وبما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة . فان لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعاما ورعوا مساقط الفيث بعد ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد عربوا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا وفي الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جعل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأحصار ولا يدخلونها
إلا الحاجة » اهـ

أقول وإذ أرجعت الى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لأتجدد للاعرابي
تفسيراً غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بجيت ما قلناه
لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساماً
منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة
الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
خرج عن كونه أعرابياً لغة وعرفاً وصار حضرياً مهاجراً وكذلك من ترك البادية
وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الأعراب والبدو ويصير من أهل
الحضارة . فقول الشيخ بجيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالأعرابي من يسكن
البوادي وإن كان عالماً ورعاً زاهداً عدلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة
تحت النهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الأول في
الإمامة في الصلاة بالتقدم علماً بمجموع الأحاديث الواردة بتقديم الأقرأ ثم الاعلم
مطلقاً » : لا يقوله إلا من يجمل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون
العلم عنده عبارة عن إيراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل
الأزهر إلا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقليل ما هم . أما اللغة والتفسير والحديث
فلما تقدم وأما السيرة النبوية فلا يجمل من اطعم عليها أن الأعراب لم يكن منهم علماء
فقهاء بجيت يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى إذا اجتمعا - كأن ألم المهاجر
بالبادية أوجاً البدوي المدينة لحاجة - يقدم الاعرابي في الإمامة على المهاجر
بسلمه وقرأته وفتاه لأن القراءة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر إلا النبي صلى الله
عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟
الهم أن احتمالات أكثر الأزهر بين لايحتملها عقل غيرهم من عبادك وإن من احتمالات
الشيخ بجيت لا يكاد يحتملها عقل أحد من الأزهريين ، حتى يوافقوه على زعمه
إننا خالفنا كتب الله سيف تفسير الأعراب والمهاجرين ، وإنما كان هو الخالف
لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،
(لرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله

حضرة العلامة الأستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا مفتي مجلة المنار القراء
أمدته الله بروح من عنده ، ومنحه من الاغاثة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيدكم الله بما أمنتكم به علي من اعتباركم لي مشركا في مجلتكم
التي تنشر بظهورها معجبات الضلال ، والبسوع التي أحدثت بالأمة ذات اليمين
وذات الشمال ، والخرافات التي انصبت بصيغة الدين ، والأوهام التي لعبت
بمعقول أولئك الجامدين ، فبارك الذي أيقظ همتك لإرشاد أمتك فأوضح
للساري غمرك الحمجة « ومن يهد الله فما له من مضل » سيما وقد شفقت ذلك
بفتح باب الاسئلة المستعشدة ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة
للأمة ، ما إن مفاتيحه لتتوزع بالعصبة أولى القوة ، وقد حملني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لا عتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصدا لأداء صلاة العشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتا مرتعة وقد رجت الأرض رجاً فحسبت أن
أهزة احتسبت فيها فتنساً عنها زلزال فكثرت لفظ القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عددا كثيرا
من نوع الانسان ينف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد نصب
جنبه عرقا ففلمت أن رجة الأرض من وطأة قدسية فسألني شقيقاي المشهوران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فتون » فأعادا علي السؤال : كيف يسهى في
جنون من عقل ؟ فقلت وأنا لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لما فكروا في مثل
هذا وتجروا على معصية الله في بيته . هلا انفراد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله في واذكركم في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا ان لم يكن هؤلاء المجانين شغل تعجل متفعمته والا فليحملوا فوق هذه الاوزار أوزارا ، وليستعدوا العذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله أنصارا ، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال

بحرة يحترف المرء بها

ثم ليت شمري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد يدهم كلمة التوحيد ان نطقت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم باتخاذ الوسائط وليتهم أدركو حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدفين مكناس الشيخ محمد بن عيسى يلتمونها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحداية لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آبائهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجا المقلدين ، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالفني ذلك أقوام ، بنوا مذهبيهم على الخرافات والأوهام ، والعمل بما رأي ليس في الحقيقة الا أضغاث أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « تنزه عن المكان » فقال اني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعتنا من قبلك أساندة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكلفنا بمثل هذا المقال ، فان كلام الأولياء لا تصل اليه الأفكار ، ولا تنزج نحو إدراك حقيقته الأنظار ، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطست سرارهم ، وقال سبحانه أنك أعوذ بك من هؤلاء الضالين : فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن ترد دمالا عنهم ثم أعرضت عنه فلا طفه أحد شقيقي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير اننا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكايه عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

واملى أطلت ذيل انقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السم «أربعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً» وكان جوابهم (أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم، يندون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجبنا بالحق أم أنت من الالاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناش والحرس الا كبير بديوان الصالحين والفوت المنصرف في السماوات والارض مزق هذا المعترض كل عروق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أن تدعون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم وما القطب والحرس والفوت الا كلمات تدل على معان يعرفها الفقهاء فيجلبونها أعسلاً لا أفراداً كالت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إني هي الا أمان سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

تزعمون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
تزعمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندهم مجلس نواب الامة ، فرددوا عليّ اللعنة ثم قالوا نجمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت ببركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملاً كما نراه في غيرها . إن زعمتم انها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزّهة عن العيب والارزاق والآجال قد قدرت من قبل ان يخلق السكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وإن زعمتم انها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم عندكم على ذلك دليل أم تقولون على الله ما لا تعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اوراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي لن يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيقتين سلاماً ، وتحيية كواهلها اجلالاً لمقامكم واعظاماً ، ومن الحقد مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والحلة الثابتة أصولها بسويداء القواد ، وكعب في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولا نرى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام بيني عليها تكفير المشكك ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الحقي الديني هو أخفى من ديب النمل وانما هو أشد الشرك وأظهر وأجله ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتقاد العامة عليهم وصلاتهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليدهم العامة التي نشكوا في بدعها عليهم وهم ينحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما ينفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدرج ولكل مقام مقال وانما يخاطب الناس على قدر عقولهم فسي أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المباغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعائبكم » وقوله « ولن يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا فهم ان مشايخ الطريق الذين يمشون بأكل السمحة وتحاددة العوام قلما يسمعون أو يفتقرون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقع مقلدتهم بفساد حالهم

فَتَنَّاكَ الْيَحْيَىٰ

فتننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس فامة ، ونشر ما على السائل ان يبين اسمه وتلقبه وبلده وعمله وظيفته) وله بهذا الشأن يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء وانما تذكر الاسئلة بالتدريج غالباً و ربما قد ماتنا آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لعل هذا ولحق يحس على سؤاله شهر الى او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر وصحيح لا لاهله

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣ س) من الدكتور علي افندي رياض (بالفث - فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الفراء

أقدم وافر احترامي لجنا بكم ثم انجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايتها منها لم نكن الاعتقاد لاني لم أكن أهلاً لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

لقد طالمت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلستكم الفراء قرأت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « وما كان العلم ضواً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضاً طبع مطبعة مجلستكم الفراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يثير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير ؟ أتمنى بكل أدب إغاد لنا عند ذلك لاجل اتباع الاصول مع قبول وافر احترامي

(ج) ما من عالم ولا إمام الا ويقول أقوالاً ثم يرجع عنها لأن غير المعصوم لا يخط بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداء وقد نقل عن الامام مالك أنه كان يبكي قبل موته لأن أئمة أخذوا عنه أقوالاً في الدين رجع عنها بعد ذلك . إذاً لا عجب إذا قال الأستاذ الامام قولاً ثم رجع عنه . والعدة في بيان رأيه مطلقاً أو رأيه الأخير في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد يعد تفصيلاً لما نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر . ولا يخفى أن كلامنا تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليس من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشىء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبعدة . وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة ثم قرأه عليه ونهجهته بأشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه . وإنما يرجع ما كتبه في تفسير جزء عم إذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما أن الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيهما أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعدما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي : « وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق) — الى قوله — علم الانسان ما لم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه إنما نزل بعد شيوخ خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتعرش قریش لا يذانه عليه السلام . ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها » اهـ قوله في تفسير سورة العلق

فأنت ترى ان هذا يتفق مع ما جاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولاً من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها . ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجع الاسناد الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يسئله قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريباً في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لا تنفق ذلك مع ما تقدم ذكره نقلاً عنه وكتابه منه

هذا وإن هذه الآيات من أول سورة العلق ينحصر معناها في جعل النبي الأمي قارئاً بقدرته من خلق الإنسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فإذا كانت الفاتحة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولاً كما أنها في أوله وضاعوترياً ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وإن كان الأمر تكويناً لا تكليف إذاً أمر التكوين هنا يستلزم أمر التكليف . وسنفصل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا آخرنا بطبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث معاً لأن في الأول اختصاراً في بعض الآيات وقد زاد الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار بقلمه قبل وفاته بزمن قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين أفندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)
جئت بهذا السؤال إلى مجلسكم القراء التي أفادت الناطقين بالاضاد قاطبة
لاستمد من نور معارفكم ما خفيت عني حقيقته :

كنت أطالع بعض الكتب الأدبية إذ وقع نظري على حديث شريف لقائه النبي (صلم) « العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر » وآخر « اتقوا سمّ الأعين » فاعتراني وهم لعدم اهتدائي إلى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح هل للعين مادة تنفصل منها إلى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنشع عني غياهب الجهل والوهم واهتدي إلى الحقيقة ولحضرتكم الشكر سلفاً .

(ج) اعلم أولاً أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يمد من أمور الدين التي يبلغها عن الله تعالى وإنما يعد من الرأي وعصمة الأنبياء لا تشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمى العلماء أمر

الذي صلى الله عليه وسلم بشيء من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الأمور الدنيوية قال « أنتم أعلم بأمور دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحياناً فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقعي بدر وأحد فإذا رأيت حديثاً في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرك ذلك ولا تظن أن في علم ظهور انطباقه على الواقع طعناً في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وإن كان كلامه فيها قليلاً لأنه جاء لما هو أهم وأعظم وبعد فقوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حتى ثابت بالتجارب والمشاهدات في جميع الأمم والأجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم العين » فلا أعرفه ولا أذكر أنني رأيته في شيء من كتب الحديث المقتبسة ومعناه أن تأثير العين كتأثير السم لأن في العين سماً ينتقل منها إلى من تراه . أما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحسية وذلك أن بعض النفوس تأثيرات مختلفة من أضعفها وأشهرها تأثير التأثرب فالتأثير كثير من الناس يتأثرب لنحو نعاس فلا يلبث أن يتأثرب من مجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فالتأثير يرى بعض الناس ينظر إلى آخر فيرتعد المنظور إليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطقون عليه تأثير الإرادة لأنه يكون إذا أراد صاحبه أن يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتنويم المغناطيسي وقد كان معروفاً عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير إلى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لأنه يحصل بهذا النظر إلى الشيء وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبت إلى النفس . ومن المصائب أن سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يمدون من الدلائل عليه كل مالا يتبادر إلى أفهامهم معناه الموافق لمذهبهم وتقاليدهم فالخريص على دينه يبادر إلى أهل العلم الصحيح سائلاً والآخرون يظنون في ريبهم يترددون

أنا في علمي الدينية

تمة نقد كتاب التعليم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم السالفة والدينية ووصف من كتبها وعلمائها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير. واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارئ أننا ذكرنا له نموذجاً من عباراته المملوءة غلطاً فتوجز من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطئه بالجملة.

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فمده مرة من العلوم الضارة ومرة جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد أتاه هذا من أنه لم يفرق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرقاً بينهما. فلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين المقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصرهم هو مسذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الشاعرة الذين احتكروا هذا القلب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنجائه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسب عليه هنا وتناقضه فيه.

لا أقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لا أسلفت من الاعتذار فليعلم القارئ إجمالاً ان الكاتب بالغ في الجملة على علم الكلام والمتكلمين وأفاضت عليه الخطابة ما أفاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة مبالغ فيها لهدم الدين وصور أهله قوماً شيطانيين بالضرب بهذه المبالغ والخطابة أنا فاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد وتعدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وساميه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارئ الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله.

إن الدين كما يعرف المارفون — ولا أقول كل أحد — هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول أنها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور أنها نقلت كلها نقلا متواتراً على اختلاف في قراءتها وإن هذه المصاحف المعروفة بجميع بين دفتيها كل ما قال الله لرسوله وأما الأقوال الأخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي ترجمها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين — وأحمد الله — في إن ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض وتقرض أن كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وإن الرسول (ص) قال ما أسنده اليه المستندون فانا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول إن هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لأن في الكلام حقيقة ومجازاً وكنائية وللكلام أساليب وقنون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلاً أو رجلاً لثنتين مراده فلا اختلاف وقع لانه لا يد من وقوعه والنصف اذا زعم أنه ظفر بالحقيقة لا يسوغ لنفسه أن يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا وأكثروا لم يسمعوها أكثروا ولم يكن في وقته فراغ الا لاقامة ما أمر وأن يقيموا بل كان النبي (ص) اذا رأى فيهم تشوقاً الى البحث ينهاهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لتفهم بعض الاشياء فوق وقع البحث فيها قبل ان تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون أنه لم يتدع علم الكلام الا بعد ان ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا يد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بتقدير ما سمع الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن ان البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . واذا جاز لنا ان نقول ان أهل هذا العلم أخطأوا في كل مذهبوا اليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول أنهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لان الحاضر على رجل وظيفة عقله وطبيعة فكره كالحاضر عليه وظيفة سمعه وبصره وطبيعة حسه واذا كان مثل هذا الحاضر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحاضر يمانب عليه العلم .

١. اذا صنع المتكلمون : رأوا ان صنات الله التي نقلت اليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثل شيء » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتها وأعضائها وقلنا لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني بما تساعد عليه اللغة . . . ربما كانوا مخضطين في تفاسيرهم لانه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومديره ومرسل الرسل وشايع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بأرادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وتفصيلا وخاضوا في بحرهما فلم يجدوا سحلا سار هذا مشرقاً وسار ذاك مغرباً وكلهم يلتمسون الخلق من هذه الحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وخبور الفاجر أم لا يريد فاذا أرادته وجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرد فكيف يقع في ملكه ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان النبي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتره الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجود اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجود اليه معنى يليق بتره عن ان تدركه الابصار . ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تبدأ خل في جسيم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزء واقع فاختلقوا هل تجازى الارواح وحدها أو تتركب الارواح في أجسام تصنع لها وقال قائلون بل تعاد كل تلك الذرات التي كانت الجسوم تتركب منها على تداعلها في جسيم متعددة .

نحن قلنا ان المتكلمين رأوا ما رأوا وما وحفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العلم الذين يرجع اليهم

— الخطأ السادس عشر —

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «انه لم يكن مخالفاً للرسل ومكذبوهم يطنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل» ونحن لا نحاسب هنا على خطئه في الابهام بانه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لاعمهم وما أجابهم الاعم به فاتا اذا حاسبناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الابهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراهما القاريه أنى ساع في فداقد هذا الكتاب القاصية . كلا فان الحاسبة على هنا في كل موضع قضيح علينا وقتاً هو أئمن من أن يصرف في مثل هنا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مخالفي الرسل ومكذبيهم لم يكونوا يطنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فنقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حينما يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تعرض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للأصل فينبغي التفرغ واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التعلويل فورد من هذا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الاعم على الحشر وكل الرسل جاؤا بالبعوة الى الايمان بما كذب من أن يستوفيا كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل يفتكم إذا من قم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « اءادنا وكنا زبأاً وعظماً ما نالهم موتون » الخ والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعترضات الاعم على عبادة الخالق وخدمته ترك عبادة الالهة وان سولم يحجب الرسل كلهم الا لاله أشهر من ان تذكر فمنهم قوم نوح « وقالوا لا تذرنا ودا ولا سواها ولا يغوث ويغوث ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا نعبد أصناما فنظلل لها ما كفتين » الخ ومنهم قوم شعيب « قالوا يا شعيب اصلك انك تأمرنا أن نترك ما يبدأ أبائنا أو ان نضل في أموالنا ما نشاء » ومقالات قريش في تيمنا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها لانا لا نظن المؤلف نسبها

واعترضات الاعم على ما كلفهم به وسلمهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقراء وترك أعمال الفسار كغصب الاموال واكلها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو ان قتل في أموالنا ما نشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا»
فإنما بقي من أقسام الشرائع مما لم تستعرض الامم به على رسلها وأيّ رسول لم يقولوا فيه بخون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يستقدون في الرسل من جهة أزدراءهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟
— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وأما نعله خطأين في النتيجة وهما (١) أن علم أصول الفقه إنما يحتاج اليه المجتهد فقط (٢) أنه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد أن المجتهد يحتاج الى أصول الفقه على النحو الذي يرفقه الطلبة وهو ما كان بصده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم أن يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه أنه غير صحيح بدليل أنه حصر الفائدة كلها في علم العربية والفقه ولم ينه عن علم الحديث فإنما يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجميع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث فتمرن هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كلفوا أن يحفظوه من فروع الفقه . . أنا لا أقول أن التقيد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول أن تعلم هؤلاء المقلدين لأصول الفقه ولوعلى هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلزمهم بلازمهم للشروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الاصول يعرف المطلع عليه أن المؤلف أخطأ في تعظيم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص ١٣٣) اننا في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .

— الخطأ العشرون والعشرون والثاني والعشرون —

بعض المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقيد بمذهب من المذاهب الاربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكرهه — كما نكرهه — هذه الكتب التي للمتوسطين

والتأخرين ويحب - كما يحب - تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب مجد الصواب كثيراً ولكننا رأينا به يخطئ في ثلاثة أشياء (١) في قومه بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سمو بالأئمة كانوا يكترون من الرجوع عما يقتون به وإن الدين يكره تعظيم الاجار الى هذه الدرجة وهو ان تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع ان الرب الاعلى كان ينسخ بعض شرائعه ببعضه .

و (٢) في ترجيحه التسب بمراجعة كتب الأئمة كلهم والبحث في الفاضلة بين نصوصها علي التعبد في ورود الشريعة من مواردها و (٣) في ترجيحه التقييد والاغلال التي كانت العلم علي فكها وإطلاقه وهو يعرف ان محاسن ديننا الشريف رفع الأكسار والاغلال ان المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن رأى له ما يخفف قنفر كما ينفر الطي في الغلاة رأى شجراً مخيفاً . . . رأى للمؤلف ان الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى الاتفاق فسيأين له وغيره ان هذا الحد ليس في موضعه .

ان الذين قننوا كثيرة تجميعها أربعة أقسام (١) العقيدة و (٢) العبادة و (٣) الاحكام القضائية و (٤) الآداب . أما العقيدة فهما أراد المسلمون اليوم ان يختلفوا لا يتأوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا ان هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وانما لا يجوز الخطر فيه وانما وطبقنا فيه ان نواصي بتجري الحق بالاخلاص وان تناظر بالتى هي أحسن وأما العبادة فلا تحتل الاجتهاد ونظر العقل وانما مبلغ الناس فيها ان يبحثوا فيها صح عن النبي تهريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى منهما اختلافوا ان لا يزيدوا على خلاف الأئمة اذا اتقوا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون ان ينقسم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لانهم لا يجوزونها ما نبل نقفون مع ما نقل فقط وللعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل . وأما الاحكام القضائية وهي التي ينظر في مثابا القضاة والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر اذا اختارت الحكومات جماعات من صالحى العلماء يجمعون فهم الاحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه حكمكم كتب الفقه التي يارسها الناس اليوم . وأما الآداب فلعروف بين والمسكرين وبينهما أمور مشتهرات لا يعلمون كثير من الناس يرجع فيها الى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع . . .

أرايتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيح ورود الشريعة من مواردها على ورودها في فتاوى الأئمة التي كانوا يرجعون عنها ؟

(الشارح ١١) (١٠٩) (المجلد التاسع)

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائل له لا ثمرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيما وقعوا فيه حين قلدهم والصحيح ان لعلوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطننا المسيحيين أكثر نشاطاً من اني تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادریس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ما قصده من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين (٢) في أن خلو الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته (٣) في أن ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر بعيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فمجيبت أشد العجب لما وقفت لصاحبنا الذي نحن بصده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلمي ما يعطيه الخطباء والشعراء لالستهم وأقلامهم لا يكت السامعين في ربائي لهذه الامة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها يأتيا الاخ لا تهيه للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثنتي عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت بمرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كما عبروا عنها

وبصرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوروبا وبصرفون مع هذه اللغات كل الفنون التي تعد مادي وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الا بضع سنين قري ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم ينفعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تفيقه .

لو ناقشت علي ما وراء العبارة لقلت لك ان ما تخفيه من إرادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تحشم نفسك التسبب انه لا يباب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وانما يباب بأصراره على جهله وبمكابرة في أوضح الواضحات

اما نحامل المؤلف علي الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا نعهده مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة ولبس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القليل بل هو شيء متمسك بجمده بعد من اغلظه الكبرى ادخاله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجده ينزل نفسه في منزلة استاذ عظيم في كل الفنون المصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم علي الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد ادخلها وان عرف شيئاً فدون القليل واقل من الطفيف ثم نجده يقول انه كان ذا تقرير وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا ننس قوله ايضاً قضي حياته باحياها) ثم نجده يقول فيه انه كان يحاكي باعطاء الشهادات لناية في نفسه لان الناية عنده تبرر الوسطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم نابضة واعظم مصلحة من المسلمين في عصرنا فحسبي ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه .

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون —

والثاسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الازهر والحالة هذه تعظيماً مملو بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم بنجده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا بدانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد القاطع في الاستانة ولا مدرسة عليكمده في الهند بل هو خير منها كلها . و(٣) انه توفر فيه من الزايات ما يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرجال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية (٤) ان ثانيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا خطأ .

اما ان الازهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح وانما بني الازهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلقى فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . واما انه لا بدائيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد القاطع ومدرسة عليكنده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من الفذارة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره . واما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان تحضر الناس على الصورة الموهوبة في الازهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة بوجوب التفضيل لغيره عليه على ان مسجد القاطع يفضل بهذا المعنى ايضاً مع تفرقه عن الفذارة ونوم الناس فيه . واما انه خيرها كلها فلم أقصه !! واما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فإقصره !! واما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية فلم ادركه !! واما انه قبله الآمال ومحط الرجال وان ثانيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم أعرفه !!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومناياها فان الازهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصياد يصفون النحر والصرف والبيان وقفه أي خيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدها ستزحزح عنكم ما تكرهون وتأتمكم بكل ما تحبون !!

وبعد بقيت مواضع أخرى تركناها اتملة الفائدة من ذكرها في جنبها حملات على المدارس النظامية وعلى اساتذتها وتلاميذها معاً ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فانا ترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فسمأل الله ان يأخذ بيدنا عن معارفهم ومزاق البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين من به الله أعز المسلمين
فقروا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحرا قال يا أسلم قم ماذا أرى
عليهم ركب يريدون القرى فخر جنا وهو كالسهم انبرى
ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بامرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حينئذ فردت واستوت قال هل أدنو فقال ان أردت
فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال نصرخ قالت الجوع واني أنفخ
أوهم الصبيبة آني أطبخ عليهم من بعد ان يفرخوا (١)
ويناموا حول قدري جائعين

يا نار أضرمت في الاصلع أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاصلع ها أنا من فرط جوعي لا اعي
بين نوح وصياح وانين

قال يا أماء من أدركه عمر بك قالت ذاك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يسبقه ينبري للناس في قر وحر

يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمان

ويُلمري كيف يرعى وينام ليس هذا من قوانين الانام
من سباعن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
انما هذا جزاء النافلين

ولقد أصغى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسرع الخطو الى دار الدقيق
وأنى منها بدهن وطحين

ثم قال أحمل عليّ قلت وي بل انا أحمل قال أحمل عليّ
قلت عفوا قال هل منكم فتي يحمل الاوزار غني بالأخي
يوم يؤت في رب العالمين

وسرى الفاروق خوف النقرة في الدجى يحمل قوت الضيبة
وهو ممن بشروا بالجنة لا يرى في حمله من حطة
بل قياما بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعاً نحو الصغار فأبتسأهم وهم في الانتظار
ولقرط البلوع بين الجنب نار في استعار ما لهم منها قرار
ورأونا فأشربوا قائمين

قالت الأم اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقنا
في كتاب الله بالنصر المبين

فدنا منها برفق وابتسام ودموع العين منها في انسجام
قال فوي هيئي هذا الطام معنا ان اليتامى لا تنام
بالطوى والله خير الرازيين

رحم الله أبا حفص عمر وسقى بقمته صوب المطر
فقد أبصرت أسلاك الشر تفتح البقية منه بالسحر

وهو مهم بانضاج المعين

قالت الام وقف معنا القيام وتركنا عندها فضل الطعام
يا ربك الله يا ساري النظام تحمل الاغوات للعرى الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال أي يرحمك الله أعد لي واذكري خيرا ولا تستعجلي
فاذا جئت الأمير فادخلي تجديني قاعدا في المنزل
وعلي الجدي ما تطلين

وتعني عنهم مسترا رايضا مريض آساد السرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكر الله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرم قارس الجوع بل استعبرم
ولذا أحببت ان أبصرم في سرور وكذا غادوم

فقد ناموا جميعا باسمين

هكذا كانوا عبيد الامة لا غرائق العلي والعزة
مزجوا شتمهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فآمنين

(محمد نجيب الترابي)

بمدرسة الحقوق

✽ السيرة المفيدة . في شرح المواليد ✽

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد انصيدي الكياري استشفى القصر
السيني في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول
في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد
طبعاً معاً في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالعربية تعليم هذا الفن بسهولة
وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات
ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور
والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز
ما يشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لا يخلو من الفوائد الأدبية كبيانته عند
ذكر البوم خطأ الجاهلين الذين يتشاءمون به . وكنت أود لو لفت الأذهان
عند ذكر مافي هذه المخلوقات من الحكم والاسرار الى أنها من إبداع العليم
الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا لكان كتابه
أنفع من كتب العقائد المتداولة ولجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه
هذه الزيادة النافعة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة
الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيراً من نسخه وبتنظر ان ثبات منه معظم
نسخ الثاني والثالث اذ لا نجد مثل هذا الكتاب في فقه . وانا نحث طلاب
الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلقوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب
لأنه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

✽ التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ✽

لشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالدرسة الخديوية طريقة حسنة في
منج علوم السكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وما ينفع الناس من شروحه
العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من
طالعها يتغنى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجوتها وقد طبع له في هذا العام
كتاب جديد سماه رأيت وأهداه الى اميراطور اليابان يعرضه على موتمرو

الأديان الذي انقعد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثلثين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأه المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيته في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان أخلص صاحبها وصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يعمط الحق ويعمى عن جميع الحاسن ففسى أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي السامي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فحسى أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية ألفت كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مروضاً وأن يخلد كتابه في الديوان ليقمدي به الموظفون ويأخذوا بالقراءة فيه وتدرره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمذهب » كذا قال في مقدمته غير على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كبرج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية قدسناها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لعلها تزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فتشكر له عنايته وهمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهرها المنظمة والنخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكملها فكملة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن يشيخ لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاء حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسعنا - والقدر لما يسعدنا على ذلك - إلا أن ننوه بالكتاب ونشي على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى على بك أبو الفتوح المفتش بالنيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فإذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا القارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان همهم أن يقيدوا القضاء ويحصلوا السلطان القانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكام من الخراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاة بألفاظ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث ينافى كثير من الأمور باجتهاده ويوكل إلى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الأخير يوافق الشريعة الإسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فمضى أن يعتبر بذلك الذين أخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قرره الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج إلى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقريظ أقله . وفي الرسالة فوائد أخرى لا يحيط بها إلا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب «دافد وطسن راني» بلفته الانكليزية وترجمه بالعربية نقولاً أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه وعن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر
ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحجاز ليعلموا كيف ارتقت
هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المنبذة في أقاصي البحار
نحو ربع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران ويزيل الدول
ويذل الأمم وكيف يسود الناس بالمدل والسلطة المقيدة برأي الامة ويمزوا
حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . والهي أعود الى
الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

﴿ أنساب العرب القدماء ﴾

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطوئية عند العرب الجاهلية لجرجي
افندي زيدان . والامومة أو الطوئية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان
العرب ليس لها أنساب متصلة الى الأجداد وإنما ينسبون الى الطوتم والطوتم كلمة
أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما تعبدوه أو تقدسه القبيلة أو
الشخص من أنواع المخلوقات حيوانا كان أو نباتا أو جهادا لاعتقادها أنه يحميها
أو يكف أذى عنها ويعد في عرف أهلها أبائهم اليه اذ لا يعرف لهم
أب وإنما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا أنه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض
القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأستراليا وزوج أفريقية وألقوا العرب بهم
بطريق القياس الذي استدلوا عليه بنأيت لفظ الامة وباشتقاقها من مادة الام
وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبنى أسد . وقد رد عليهم جرجي
افندي زيدان رداً داحضاً لمزاعمهم مفندا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية
والشبهة برهاناً قاطعاً واعتمادهم على الاستقراء الناقص . وهذا شأن الافرنج
لا يكاد يوثق بعلومهم النظري والعقلي لأنهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على
التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه
بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار وممن النسخة منه أربعة
قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه سيف الرد على المذهب رسالة أنساب
العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الهلال وعنها كثر من الامومة عند العرب

ديوان تذكار راجب وصبري

هو الديوان الثاني للشاب الذي رشيداً فني مصوب وقد قلعه الى ادريس
بك راجب رئيس المأمون في مصر واماميل باشا صبري وكيل وزارة الخزانة
بانتظاره بقصديتين في مدحهما . ومن أحسن ما رأيت له في هذا الديوان قوله في
استنكار سلوك بعض نساء الأعيان

عاد على العبدان زهر وقتعوا ونبتني التيه في الأعطاف والأشرا
أبي عطف تيميل الخود تأهبة وينخر السلف إني أمين واسترا
قدر الثواني بتحصين الجلال وان نهكت زائل ذلك القدر واندرنا
لو ترك العاشق المسكين متيهاً شوقاً لما ظل ذلك الحسن مقبرا
ثم أطل في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسوأه

العباسة أخت الرشيد

قصة تاريخية غرامية خرجي افندي زيان صاحب اللال وهي من القصص
التي لها أصل مروي في التاريخ والمصادر التاريخية فيها كثر من المسائل الاختراعية
وفيها وصف الدف والأفان في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه
وهي تطلب من مكتبة اللال ومن النسخة منها عشرة نروش

الطلل المقنود

إسم قصة من قصص مسامرات الشعب الشهيرة التي يصدرها خليل بك
صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضاً وقائمة
لان ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل يورد مقروناً بالقيم وما ينظر من
سوء العاقبة . وأما ما نشره عن الحب الصالح والمنة والمروءة والوفاء والسخاء
والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد
الانسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتحرك قبل أن يتنه

فأناصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بعد الآن للشرواذا
استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر لادائل مطلقاً فليفضل فان الرذيلة وان
ذكرت متروكة بالعم توتر في قوس المستمعين لما حتى يزداد ميلهم اليها ويجري بهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفتهم في تحصيلها !! ويظهر ان لترجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مترجمي هذه القصص عبارة فمسي ان يواعي في الاختيار ما ذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿ قناة الشرق ﴾ « مجلة أدبية تاريخية واثية لصاحبتها ليبيه هاشم » وليبيه هاشم من أشهر القصاصات السوريات المنطحات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئين ورأينا فكرها قويا فيما كتبت عن « واجبات الزوجة » في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع ما يكتب في مثل هذه المجلة . تصدر قناة الشرق مرة في الشهر وستبدا عشرة أشهر بقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فمسي أن تجد من مساعدة الفضلاء ، ما يضمن لها طول البقاء ،

﴿ تونس ﴾ « مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري - من الاشتراك في الماشكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ في السنة » صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ أكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة ما بالعلوم الطبيعية وما يتفرع عنها . وأنه ليسرنا أن تتكرر الجلات في تونس كما كثرت الجرائد وتتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ تروية النفوس ﴾ المرشد جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الاولى (عزور بن أحمد الحياوي) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فترحب بالجزيريتين ، ونشي على فضل الحريتين الجديدتين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياها للخدمة النافعة ﴿ التليد ﴾ جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد أفندي ابراهيم صاحب جريدة (أفتت) المفيدة وقد مررنا بها جدا لما نرجو لها من النفع لطلاب العلم من مسلمي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

بَابُ الْحُجُبِ وَالْإِثْلَاقِ

— تعليم الدين في مدارس الحكومة —

اقترح مجلس شورى القرائين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راجب من مشروعات المصريين تعترض على هذا الاقتراح وطفقت جريدة المؤيد والاهرام تردان عليها ونقل عنها انه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل نقل عنها الطعن في الدين مطلقاً وإدريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الالحاد فهمنا علم . وبذلك انفتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجرأ محبو الالحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكانتوني في ذلك ان شاء الله تعالى

— الدكتور ضياء الدين أحمد —

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائدا من أوروبا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوروبا لإتمام دروسه العالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبردج فكان أعظم نابغ في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي متاجنيه تعطى للنابغ الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتنجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهورا اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياما كان جل همهم فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقدا الذكاء شديد الفسيرة على أمته بعيداً من الهزل والقفو مقتضيا بالادب وهو يتكلم بالمرية مع حصر ما يفهم من يكلمه بعبارة فصيحة بل علمنا منه انه عربي النسب . وقد أعجب بفضل وأدبه كل من عرفه هنا واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكونتنتال اختلالا دعوا اليه كثيرا من ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين فيينا خطيبا باللغة الانكليزية فتلا خطبة بدأها بالشكر لاصدقائه الذين أكرموا وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكره وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والثرية الدينية وسنورد ترجمة قوله في جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المير فتلا ترجمة خطبته بالمرية . ثم قام الشيخ على يوسف شيخ المؤيد وتلا خطابا وجيزا تكلم فيه عن مدرسة عليكره وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لورزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ قوية مثل التي عليها كلية عليكره وناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة لكثافت مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لسلي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فحسي أن يسعي مع الذين يسمون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه المبادئ التي ذكر منها العلم والفلسفة ولم يذكر دعامة الدين ولكنه لا ينكرها وهي من دعائم كلية عليكره ولولاها لكثافت تلك الكلية وبالا على المسلمين وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللب وأرواح الأكل اللطيفة فاقبل عليها المدعون وهم يتהלلون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي ثم انصرفوا مودعين شاكرين

الشورى في فارس وسفير تركيا

ترجمت جريدة (تريبت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع عن الشورى في بلاد فارس ونقله عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسميا فأجابها ناظر الخارجية بأنه

مولانا شاء قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعتراض اشتد استياؤهم وقالوا ان تركيا تريد أن تقيدها في بلادنا وتنتع عنا النور كما منعتنا عن اخواننا العرب في بلادها وسنتكلم عن هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبو خطوة - وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي وفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وأنها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبو خطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الأزهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الأداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه أذكى تلاميذ الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبو خطوة صار هؤلاء الاذكياء كاليتيم من الابوين . كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقة حسن السميت حليما لا تخشى بواذره حسن التصرف في الامور لا يدخل في شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خبيرا بشؤون بلاده قادرا على الإصلاح في المحاكم الشرعية لم يوفض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاساذ الامام لتلك التقرير الذي أحصى طرق الإصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعداده وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يقول بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملته القول إن مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بان يترجمه للمنار ولله يفعل منفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر، والشرف خير من المال، والمهرة بالخاتمة والمآل، « وقل وبإدخلي مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »



في الحكمة من يتأوه من بؤس الحكة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أول الألباب

المسحاة

١٢١٥

في شهر محادي الذين يستمرون القول فينبون أحسنه
أو تلك الذين هدام الله وأهلكهم أو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و«منارا» كنار الطريق

« مصر في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ - آخره الاربعاء ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ »

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الإصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الإصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي محروفا
لائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصيح للدولة وأنها عملت بارشاده وصدقت أملة ورجاءه الحسن فيها لأحييت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه . وبعد فقد رأينا وسرورنا كإسار المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من أنه صدرت الارادة السنية الى حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تواف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة توري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العطوفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المسالك الاسلامية (١) وتقويها حتى تكون كافة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بآرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية للدين تبعضنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلة ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يمان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرت النفوس ، واقتحمته العيون ، بدون أن يمين على ذلك أو يمان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة المقائد بعد : لايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكفالة ببقاء سوزنه ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصونا وأسوارا وان أحكم أسوارها ما استحکم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معنفة للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أناهم من قيل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصلحة البلادوما شا كل ذلك من الألفاظ الطائفة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الغايات المطبوبة منها فقد ضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على معاهد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيه من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانتكاس في الطباع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أحيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البهيمية وسواء هليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت العزة لسائد عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان مارواء النهر وقبائل التركان واشيام يثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عصت بها البلية حتى غشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسها هذا المرض الخبيث لولا أن تدرکها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشیاطین الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهواهم الى الاخذ بدساتيمهم والاصاخة الى وساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعائهم في أطراف البلاد الاسلامية حتى الصنانية لتضليل المسلمين فلا يرى بقة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم بمض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي يحسبونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم . ولم يختص هذا التساهل المحزن بالامة والجهال بل تعدى الى المروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي المناصب الدينية الاسلامية . وأولئك الضمءاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك المدارس الاجنبية في سن السداجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع الحمدي بل لا يطرق اسماءهم الا ما يزري على دينهم وعقائد آبائهم ويبيب عليهم التمسك بعمى الطاعة لأولياءهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساندهم القوام على تربيتهم يا ذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يثاقونه من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة ، فذلك أمر أعرف من أن يبين . فلا نثغري سنو تعليمهم الا وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الاجانب وتنجذب أهواؤهم الى مجاراتهم ويكون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم يغشون ماتدنت به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصيرون بذلك وبلا على الامة ، ورزية على الدولة ، نعوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يحيدون به تربية أبنائهم مع استبقائهم مسلمين في العقيدة ، عثمانين في الفرقة ، هذا ما جلبه الجهل على الامة الاسلامية وان غائلته لمن أشد القوائل وقد كنا نخاف أن تحمل بوائها لو لم تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني جملة وأما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر وطريق صوري لا يعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قروا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلا من الدين وجهالا بمقتائده
منكين على الشهور وسفاسف المذات لا يمشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون
له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكسب والانصباب على
طلب النوسة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا
دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الحياة وطلبوا
لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف
طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية
ويطلبون للتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى
غيرهم من الام يتساقون الى الانتظام في سلك جندتهم مع أنها غير معروفة في
دينهم بل مضادة نصريح نصوصه ونرى المسلمين يتغسلون بأموالهم اذا دعت
الاحوال الى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الامة ولا يتخلون بذلك على
شهوراتهم بعكس ما نرى في سائر الامم . هكذا انطلقا من المسلمين مصباح العقل فلا
يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم
(نحسبهم جميعا) وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (ولا حول ولا قوة الا بالله
هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير
فذكرها مقرونة بأنفس الأسف وصعداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا
ذئابهم يتخطفون شادتهم وأغلبهم شاذة ويقتربون ناذتهم وجهودهم نادة ومسارة
الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى
ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا استقر بنا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لانجد الا
سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما بإهماله جملة كما هو في بعض البلاد واما
بالسوء اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهمل فيهم التعليم
الديني فجبهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها
ولا يصبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للمبد في ما يفعله وإنما هو مجبور في ما يصدر منه جبراً محضاً
 فلهمذا لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع
 ذنباً حتى تشمله بالفران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفضل الانسان ما يفضل
 من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شا كل ذلك
 مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحية من قلوبهم ولا منشأ
 له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله
 وأما الذين أصابو شيئاً من الصلح الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة
 والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا
 هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وإن هدموا كل ركن
 سواهما وبشركون مع الأولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك
 علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع
 العادية وأولئك الأغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شا كل
 ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فإن مال بهم طلب
 العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهؤلاء
 لا يمتنع مفساد أعمالهم بذواتهم ولكنها تتعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم
 فهذا القسم أعظم الاقسام خطراً وأشدّها ضرراً في العامة والخاصة وما أفرادها بقليل
 نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة
 رجال وقهرا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالبروة الوثقى وأضرم الدين
 في قلوبهم نارا الحية، واستغفر اليقين همهم للنصرة الملية، الا أنهم قليل والوجود منهم
 قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقدار عما تتطلبه به الشريعة في ارشاد الأمة،
 وبالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا
 ما لطف الله بهذه الأمة بسر توجّه مولانا الخليفة الأعظم لمجمل لها من الوبال
 ما استنقته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحرف قلوبها عن مقاصد
 ولاية أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزّه الله ونصره الى عظم هذا الأمر
 وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فيا لنعمة العظمي

وبالمرحلة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورد بشرها وجوه الصادقين،
وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأييد
دولته، واعلاء كلمته،

ولنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على
سببها الذي أثمرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأسلام وأعضاء
الجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون
المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة المهودة في المساجد
وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبين على عقائد صحيحة وإيمان
صادق لا تثبت أن تفضيحل ولئن ثبتت فأما تسوق الى أعمال خالية عن النيات
وخاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتيب الأثر المطلوب
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه
النظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكريا
تعال النفس من ذلك الفن فيكون انتدكار مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن
الفقه الباطني وهو ما نعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والخيانة
والنميمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة
وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس
على العمل بما تعلم منه . ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والنوعية على وفق
قواعدها مستندين الى الشرع الشريف بحيث تذكريا ما أخذها من القرآن والسنة
الصحيحة وما صح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن هذا حظهم
كحجة الاسلام الغزالي وأمثاله فالقصد بالذات علان وهما أصلان ومجموعهما ركن
من الاصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة
تصدر عنها الافعال بلا تعمل ثم يتبعها فن آخر يقوى على الفرض منها وهو فن
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا قوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فهذا تقسم طبقات الناس الى ثلاث فئتين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون فالطبقة الاولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم .
والثانية طبقة الساسة من يتحاكى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم وروسائها ومن يتعلق بهم ومأموري الادارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والقرية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الفرض المحدد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

(الطبقة الأولى) هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشي من الحساب يطعون ذلك الى درجة محدودة يتفنون بها في معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلة المكاتبة الرشدية والعسكرية والملكية والمكاتبة الخيرية الاهلية فهؤلاء بهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلموها وان استقرضتهم أموالهم بذلوا محسنين ذلك في سبيل الله غير شاخطين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات تعليمهم مواقد الحمية ومعاصم الانفة المالية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة الخلافة العمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما تعلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة

وهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي
أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة الاقناعية القرية المثال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الإمام بشي من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون
الخواطر في استعداد لدفع ما يرد عليهم من مساوس دعاة الانجيل المنبشرين في كل قطر
ثانيا - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق الحبيثة
والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا
في السنة أثرها وظهور في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث
السنة مؤيداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب
تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبداً لله فكل شيء دون الله ورسوله مبدول
ثالثاً - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء
الدين بالارواح والاموال مع الامام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في
وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيه وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق
في المكافأة والانجاد في المجاهدة ثم يقع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك
على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عربية ومن الترك تركية ومن
غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر بالقصة الموضوعة فيها
﴿الطبقة الثانية﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية

والملكية والعسكرية والطبية وما ينلوها والذي يهتم الدولة منهم أن يكونوا أمناء
لها حفاظاً لما استمضوا عليه من شؤنها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب
سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل التخاصيمات قابض على ميزان
العدالة ناظر الى كفاف النظام يرجع ما رجع فيه ويسقط ما سقط منه فهو يتحرى
الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم آراء في ادارة أمور الرعية آخذ بنظارة الخلق
والدراية ليستبين ما يخفى من مصالح وما يذوق من مساك أهوائها ليضبط الاعمال
ويلزم الحدود ويرفر وسائل العمران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها
الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت ، فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزداد طابعه ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي
أولاً - كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول

النظر وشي من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام النوسط وإتيان الطريق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الإسلامية أيضاً إلا أن يتوسم فيها بيننا وبين التصاريح لا يوضح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أبجى وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الإسلامية في تقويم الميمنة الدينية فضلاً عن غاية السعادة الأخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والردائل ببيان أكمل مما في البداية وتوضيح لأسباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقع به العقل وتطمئن به النفس ثم يبين الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكنايين على ما يضرهم الحية في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطالب فيه الا معالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الإسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء الثمانية من ذلك والاثبات على كل هذا من وجه ديني محض فإن ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة لفرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الأرض ويودع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المفقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الإسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفهم أن يتعلموا هذه الكتب بالسنة آباؤهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لنحو العرب كما سبق ولا يلزم لهم ان يتعلموا اللغة العربية الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثراً في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والكتائب الابتدائية إذا وجدت فيهم الاوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحجة والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين مما ليس منه وإن خالف أو هام العامة

﴿التعليم الديني العالي لطيفة المطمئنين والمرشدين﴾

﴿الطيفة الثالثة﴾ هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخليقهم بالصفات المقصودة بوضعها فانهجوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الأمة وهداة الأمة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لاهل طيقتهم فهو لا يكتفي لا بلانهم العاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسمون بها القدرة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكتفي المرشد ما يكتفي فاسترشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون اليه على ذكر الفنون دون التعرض لأعيان الكتب الا قليلا فلتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج اليه ليقرا القرآن تفهما ونظماً لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أضرارهم الا إرجاعهم اليه والم قرع صيحته أحقاق قلوبهم وتززل هزته رواصي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد اليه أساليب اللغة العربية ليستجيب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل ممن أنزل القرآن بلينهم والقرآن قريب لطالبيه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذايب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فليعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج الى وسيلة أخرى فأولها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المصروف عند العرب كتنصير الكشاف
وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذ طريقتيهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وبيان وبيان وناربخ جاهلي وما
يقبح ذلك ايشمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مينا له مع اطراح
ما يخالف نصه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لا رجاء الأحاديث الصحيحة
اليه ان كان ظاهرها يوم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو
مساك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على
الاصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الاحكام وزرى أفضل
كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك
الاسلامية الاولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في أمهاس الاسلام من
كبوته التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب
ما وصلت اليه الملة في هذه الايام ليتبين أنه لا سبب لذلك الا الجهل بالدين والانحراف
عن أحكامه وانشقاق عصا الامة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في
الأذهان وثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل
الأعمال والارتفاع بها عن دنيا الصفات وسفاسف الأمور

ثامناً - فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل
لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة
بعض الكتب الحكيمية الاسلامية لتكميل الاحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جلة ما يلزم لتجلية نفوس هذه الطبقة بفضلي العلم والعمل ولم تتعرض
لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة
وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ما كن في
الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بمحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات
والرياضيات والطبيعات والنظريات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي
على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويه
كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة
وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . ويدعى لها بالمدربين المتبصرين
من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا وأذكا
أخلاقا وبراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها
شهادة بلوغة الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في
العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه
في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات إنما يقصد منه اشرب القلوب حب الدين
وتوقيره وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها
بأعمالهم فتتسم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأيد حافظه الاعظم المدافع عن
بيضة حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيسة تحشى بأسها وتخاف بوائق
غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على
المسلمين في راحتهم الداخلية وبالجملة فالقصد من اصلاح الجداول إنما هو الى إحياء
الملة وقد كانت كادت تموت والياذ بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصاً في الاخلاق
والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتبرزها وتستفزه من
مقار الحول والنقلة الى مقامات التنبيه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال
المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكماً من أحكام ما تعلموه ، أو قصرُوا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وقد كبرهم في ذلك بوثر في قلوبهم وبحرك الساكن من خواطرم . ومن ثمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات الثقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعد الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ونعتبرنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما تراهم عليه في القوة والدراية كل ذلك يوجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع ارواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هؤلاء المعاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي للملءسواه وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنقبات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فإنه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا بالنجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيتهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أدبنا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأبيده وبقائه ظل الله ورحمة لبيده آمين

﴿ كلام في الدعاة والمرشدين ﴾

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كائنتملة فتقدم لعرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية إن لم تكن قليلة بالنسبة للعرايا العثمانيين فالداخل إليها قليل بالنسبة إلى عدد الأهالي فإن الجمهور الأعظم من سكان القرى والأعراب المتقلين في أكفاف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حتى قدرها فإصلاح جداول التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل يجرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاؤوا من التعليم وهو لا وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقش الواجب الالتفات إليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون إلا بترتيب دعوة تليهم إلى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تربيتهم وتهذيبهم ثم نفعهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم أهم لورغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والاتفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في إدارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاعتناء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفع على إنشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويرؤفوا لذلك لجأنا وجماعات في كل بلد وبقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والجماعات ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب أن يكون لأهل الدين دعاة مرشدون يفتشون بين العامة ليتفهموا على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء

وهؤلاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعاً في الفنون لا دنية الشرعية وأوسعهم علماً بمال الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الإناس منافذ لقلوب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قوتهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بالفتح بل يجب أن يكونوا ممتازين بمصاحبة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلا عليهم بالانماع

ومن هذا نازم المبادرة الى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما ينس أحوال العامة في نصراتهم المشهودة ويبين لهم مضار الفساد ويهدونهم الى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح اذا وجهت العناية اليه وجونا منه النفع الكثير والخير الغزير .

فإن سأل أبين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والدراسة وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبشيع دعاة ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الاقبال فيها والوصول الى حقائقها وذلك يستدعي زمناً طويلاً فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمعية الله عز وجل في أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعملون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضاً والذين يليقون لو طيلة الارشاد فهم أن تعمس وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي الى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت التنية وخلصت الوجهة لله ولحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يتطلعون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله الى الكمال المطلوب وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا القريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصرته وتأيينه

وأما المصاريف فإنه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخلص الأموال الزائدة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فإنه لم تأت بشيء من الكلام في هذا الباب إلا عن خيبة بأحوال أخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقتهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من إصلاحه فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون. هذا مجمل محاضر لحواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به أقول أضعافا مضاعفة فإن دعينا إليه لم تتأخر عن بثه والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسينا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب : هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر لسلطان بأنه يفيض الدولة فليأتنا أحد يمثل نصيحة للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها .

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فلما زلنا منذ عقلا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعناية بتعليم الدين ، وبث الارشاد في نفوس المسلمين ، فيستبشر المفرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة الا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بتلك الارادات السنية وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا اثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتتصورها السعادة والشقاء ، ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الفنى والفقر ، ويتناوبها المز والذل ، وكل ما يمرض عليها من هذه الاحوال خيرا وشرا فهو تابع لحال الحاكم . فان كان حاكما عالما حازما اصيل الرأي عليّ الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابوابا للتفتن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة وبعث في افراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالارباب الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة وإباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير .

وان كان حاكما جاهلا سعي الطبع سافل الهمة شرها مغتلا جباناً ضعيف الرأي أحق الخنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح ابوابا للعدوان فيتملب القوي على حقوق الضعيف ويحتل النظام وتفسد الاخلاق وتخفص الكلمة ويغلب اليأس فتستبد بها أنظار الطامعين وتضرب الدول القانحة بمخاليها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة دمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الحبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة العروة الوثقى بالعنوان الآتي

لقائنا بين جميع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج وبادروا الى قطع هذا العضو الخبيث قبل أن يسري فسادُه الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الابله الفاشم بصرفها كيف يشاء فانذرنا بعضنا العبودية وعناء الفلة ووصمة العار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿رَدُّ لِرَدِّ (١)﴾

نحمدك اللهم يا هادي المسترشدين إلى الحق والصواب * ونسألك أن تؤيئنا الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فإنا لا نستمد إلا عليك * ونصلي ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ننزل من عليم حكيم (وبعد) فقد اطلمت على ما كتبه الامتاذ الفاضل الشيخ طه البشري رداً عليّ فيما ذهبت اليه، فمررت جداً لغيرته، وشكرته على أدبه ونزاهته، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطرت إلى مناقشته ليظهر لي الحق إن كنت مخطئاً، راجياً من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكاماً بيننا والله ولي الهداية، المنقذ من الغواية

قال حفظه الله * وأما السنة فلاننا تثبتنا بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه تعتمد * ثم استشهد على ذلك بقية آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفي علينا من قبل فلما نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى. الآية الأولى قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) * ليس هناك معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله * الخ وتقول لو كان جميع ما ورد في كتب السنة من

الأحداث المفهومة تبيننا للقرآن لكان في غاية الاجمال ولما وصفه الله تعالى بكونه
 بينا ومفصلا في قوله (بلسان عربي مبين » وقوله - وكذلك أنزلناه آيات بينات »
 وقوله - وهو الذي أنزل اليك الكتاب مفصلا » وقوله - كتاب فصات آياته قرآنا
 عربيا لقوم يعلمون » وقوله - كتاب أحكمت آياته ثم فصات من لدن حكيم خبير)
 المغير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى
 كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضيحه وتفسره ونقصه ؟ وكيف يكون
 القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه ؟ ألا يستكشف
 أحدنا أن يكتب لاس كتابا لا يفهمونه الا اذا فسرهم هو لهم ؟ ! فمالك بالقرآن المبين
 نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطوقة على أحوال
 جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجمال شيء آخر . ولتوضيح
 المقام نضرب مثلا لكل .

فمثال الاجمال قولك : حرم الله الحباث : وإذا أردت تفصيله تقول : حرم
 الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها . ومثال الاطلاق أن تقول : جاء محمد :
 وتقيدده يكون بنحو قولك (جاء محمد راكبا فرسا في يوم الجمعة) فالجمل ما دخل
 تحته جميع أفراد المفضل . والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيّد ولكنه يحتملها أي
 ان الأول كالجواب الحاوي للمفضل والثاني كجواب غير حاو له ولكنه يسعه .
 فالقرآن ليس فيه مجمل يحتاج الى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر .
 ولكنه فيه مطلق لم يتقيد ليقيدده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان .
 فان قيل لم لا تقيد السنة تقيدا مطلقا بالنسبة للعالمين . قلت لأن النبي لا يعلم
 حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة . وان كان الله تعالى أعلمه بها فلم لم
 يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه ؟ والخلاصة أن القرآن
 بين ومفصل تفصيلا نفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه . ولذلك
 لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما
 بينا ذلك فيما سبق . اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر
 الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين آوتوا الكتاب لئلا ينسوا ما هم فيه تكفرون فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم كثيرا مما كنتم تكفرون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكفرون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوهم وينوا فأولئك آتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمعنى والمشكل كما يقول فهل نسبي ما زاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لجورد الارتداد ومحرمة الخمر والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويلفهم اياه مفصلا وموضعا بلغتهم التي يفهمونها وإنيان النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية ما يدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بعبارة أخرى . وهب أن ما يدعون به صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبث فيهم وهو ما ندعيه وليس نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فتعليم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهيمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكير فيه والاستفادة منه وتوجيه أظفارهم إلى ما فيه من الآيات والدلائل والبرهان والحكم وحشهم على إدراكها ونصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للعناية فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وإنما المراد الحكم والمواظب والآداب والنقائص

وأزواج التهذيب والتأديب والتشريف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الجهالة إلى نور السلم والمنفعة . ونحن لا نرفض شيئاً من ذلك بل نقبله على العين والرأس كإقتضاها في المقالة السابقة والذي نقصه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ يخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول أن اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره شيء . وأما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلاً وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه إلينا خطابه لوجب علينا نحن أيضاً ولعلنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعوانا أنه لم يفضل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفضوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زمننا لحق علينا امثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ما سقط من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لامتته

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في النبي - ونصها هكذا (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى فله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ومعناها ما أعطاكم الرسول من الشيء فخذوه وما نهاكم عنه فانتبهوا . يقولون ان العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أي . بسبب النزول ولكننا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يعتبر السياق لوجب على كل مسلم مثلاً أن يكون دائماً متوجهاً نحو الكعبة في أي عمل يعمل لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئاً لانا نقول إن السنة أعطاهها الرسول للعرب لانا كما سبق ولو أعطاهها لنا لوجب علينا أخذها وبعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد ويعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرة سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآناً والبعض الآخر سنة ؟ مثلاً اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون ديناراً من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وني جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلاً في الكتاب كما ذكر المواريث وغيرها ؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى ؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله إنما هو بالوحي السماوي أو الالهام الالهي الصادق » وهذه العبارة على اطلاقها غلط لا نوافقه عليها . لان بعض أعمال الرسول وأقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحياً مطلقاً وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الاستاذ تنسى ذلك أو تناساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الاحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلذا تلفت نظره الى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لذي أن يكون له أسرى حتى يشن في الارض تر يدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عما الله عنك لم أذن

لهم حتى يبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عيسى وتولى أن جاءه
الاعشى) وإلى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يكي
بكاء شديدا من بعض هذه المتأيات . وقد ورد في الحديث أيضا أن النبي نهى
عن تأييد النخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .
فالمصمة لله ولكتاباه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما
قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى)
فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن بخطيء فيه مطلقا

ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالا متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب
وتقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يمد على أصابع اليد . واذالم
نكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالا بل ولا معنى له
ولا يغنينا ذلك من الحق شيئا . ولم نسمع أحدا غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها
كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) هو في شأن القرآن كما
يدل عليه ما قبله ولم نسم السنة بالذكر مطلقا . وكيف نقول ان هذه الآية تتناولها مع
أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع غناية المسلمين بها قد تطرق اليها
جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا معها بحثا في تاريخ الرواة
وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقابل هو . لان الكذاب أو الضعيف أو المظنون
فيه بوجه ما قد يروي أحيانا ما هو حق وصدق فلا تقبله منه فيحصل النقص في السنة .
وكذلك الثقة قد يخطئ أو يكون ممن تظاهر بالصلاح والاستقامة حتى غرنا فنأخذ
الحديث عنه والرسول يري منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة .
فهى أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد
النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تبليغها للناس بالتواتر وعدم
حفظهم لها جيدا في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمعنى واختلفت الرواية عنهم لفظا
ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمرنا أن يمالوها معاملة القرآن . حتى
نأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ
عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصا من شدة وقعها على

النفس كما يوضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين. وهنار يد أن نسأل حضرته سواء وهو لما إذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حديثها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتليفيها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل إلينا كتابان لا نزاع فيهما ولا اختلاف؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزها عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الاعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنها حتى وصل إلينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء — ولو أنهما اختلطا ببعضهما شيئاً قليلاً — ليس ذلك أخف ضرراً من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون؟ وبذلك كان المسلمون يستريحون في القرون الأولى من العناء والتعب في لمها وتعقبها وهم لم يصلوا إلى النتيجة المرجوة ولئن وصلوا وكانوا يصرفون همهم هذه إلى شيء آخر واعلم أن زبدة ما اجاب به الاسناد عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره مما ذكرت » ونقول ان القرآن لا شك أنه متواتر لفظاً ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فأي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك إلا ما شذ وندر؟ وهل يفيدنا ذلك اليسير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا .

الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ما عدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . واذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضا متواتر عملاً في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم الصحابة له الى اليوم . واذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبهم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلاً؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه؟ الحق أقول: لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو وأصحابه حتى تصل إلينا كما وصل إلينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف ولا لكان الله تعالى يريد أن يبعدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك

عن سبيل الله ان ينعون الا القن وان هم الا يفرصون) وما أجل قوله هنا (اكثر من في الارض) فسيحان ربك وب العزة عما يقولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نعتمد عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي :-

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده

(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف ولا يمكن تفسير ذلك تفسيراً مقنعاً بغير ما ذهبنا اليه

(٣) لم تجمعها الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لا عني بها بذلك أو نحوه (٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالنواثر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد

يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصداً منهم (٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت

ألفاظ ما تعددت رواته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها ولتسايقوا في نشرها بين العالمين ولا وجد بينهم متون أو متكاسل أو مشط لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكامل الله تعالى بحفظها فوقه فيها جميع أراغ التحريف . ولا يمكننا القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جاهل المجرد عدم معرفتنا شيئاً يبرح الرواة (٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الا على العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يوافق الا عاداتهم وأحوالهم كسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك

(١٠) يشتم من بعض ما وصل إلينا منها رائحة ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يجب التوضوء من التقي «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى» وان حصل الطعن في سند مثل هذا الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف روي عن واضعه؟ وهل الواضع له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا إجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وإن كان الواضع من غير المسلمين فماذا يهمه إذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة ومخصوصا في مثل هذه المسألة (مسألة نواقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضعفهم مع أنه يبرزهم ويقوهم؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال إن الوضوء لا ينتقض بالقيء مستشهدا به على مذهبه فالقول بأن هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء الأمة وارواء الغلة بل لابد من البحث والتنقيب

فهذه أدلتي أوردتها سردا بالإنجاز ليتدبرها المتدبرون وليتفكر فيها المتفكرون وأرجو من يرد عليّ أن يترك المراءاة ويحييني بما يقتضي ويقنعه والآخرنا الوقت صلى ، ولم فصل الى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون . فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطة . وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج إلى تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو فاسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار إن العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقا لفهم القرآن . وغيرهم لابد له أن يقدر على فهمه . أنفي أن يصير مثل العرب يتعلم ما ذكر . ولذا وصفه الله تعالى بكونه لسانا عربيا مينا . فلا يرد فيه لفظ لا يعرفه العرب أو اصطلاح لم يهدوه إلا إذا ذكر ما يفسره . إذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسمان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والاحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرها .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلاً ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وآموا بالحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد قوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك ونوعه . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً لذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البجيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بجمرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأتكمم لا يسقون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يبين المراد به . فمثلاً الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأنت لهم الصلاة فتتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أمانتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم وتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وقوله - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود * وقوله - وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله - يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله - ولا تجهر

بصلواتك ولا تخاف بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً * وقوله - أقم الصلاة لعلك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * وقوله - أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل - مع قوله - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - فأمثال هذه الآيات يكل ويفسر بعضها بعضها والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطلبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وإن كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطى من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (قَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها - وقوله - وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لا بد من أخذها من مجموعه لا من بعضه .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله مامنه أنه قد برد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر إلا بالسنة . وأقول أنه من المستحيل أن برد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه إلا إذا كان معناه يؤدى الى الفائدة المطلوبة بعينها كاللفظ القروء الذي امتشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا ان الأصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والرجيح بالسنة لم يؤد الى النتيجة المرغوبة لأن أبا حنيفة وإن كان أخذ بمحدث « طلاق الامة ثمان وعدها حيضتان » إلا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية ان المراد بالقرء الطهر . وهذا هو الذي اشتكىنا ونشكي منه . فيا أيها الفاضل المناظر

أندعونا الى شيء لم يندكم أتم المتسكين به ولا زلتم مختطفين فيه ؟ هذا ولتعلم
أن ماقلته في هذا الباب يعد طعناً منك في بيان القرآن المبين وبلاغته فلتستغفر
الله تعالى منه ولتنب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ماعدا المتواتر لا يفيد اليقين . وأن العمل به
عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب
للجرح على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) :
وقول ان الله تعالى لا يتعبنا بالظن والا لما دمه في كتابه كثيرا . قال تعالى
(وان قطع أكثر من في الأرض يضلواك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان
هم الا يخرصون) وقال أيضاً (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن وان أتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً
واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل
به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لأن
التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده
التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لا له .

وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلج في نفس أحدهم
أقل شبهة من أحد رواه نفى يديه منه واقلب الى أهله وخواصه من ذاك الحديث
وقاضه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة حصل فيها نقص كل التأيد . فان
الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث
كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذا اشتباه في الراوي
لا يمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاولة أن يقول أنهم جميعاً على الحق وان اختلفوا
فما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع
مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم شاربون على اجتهدهم فانالم أعارض في ذلك ولم يكن
هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿الاجماع﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في إيرادها ونصها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه وعلى فرض المناسبة نقول: أنه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون. أو أن طريقهم واحد ولا يسرون في طريق الباطل. ولو أورد لنا آية بهذا المعنى لكأنت حجة لخصرك. والذي نعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسيروا في طريق الباطل فنخالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عذبه الله. فعن الآيات هكنا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عذبه الله بما ذكر. وإذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم. لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم. ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون إليه بمقتضى فطرتهم ويتطلبونه إذا ضلوا. وهم لم يجدوا عنه الاخطأ أوجها. ورجوعهم إليه سهل إذا أرشدوا

هذا وأنا قد تركت بعض مسائل لم أبدأ بملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الألى خوفا من التويل والسآمة. ولأن البحث فيها لا يؤدي إلى نتيجة هامة في الموضوع ولا تغير جوهر الكلام

﴿مبحث الصلاة﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج إليها القارئ كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما رمي إليه فنقول:

- (١) أن عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم
- (٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضرنا ذلك شيئا لأننا نقول لعل ذلك كان لأن النبي جمعههم على هذه الأعداد المخصوصة وحتمها رغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام. وليس من خلف بعدهم

مضطرا للترام مأسراهم بالترامه . فليس حديث ذي الدين ولا حديث عائشة اللذان أوردهما الاستاذ بمفدين لنا في هذا البحث شيئا . على أنها ليسا بمؤثرين . ونحن وان احتجنا بمثلهما على غيرنا لقبوله ذلك لا تقبل الاحتجاج بهما على أنفسنا لأنها لا يفيدان الا الظن كما تقدم . ثم ان الاستاذ لم يجنبنا عن السبب في صلاة النبي وركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن الدعوة وأراد التخلص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو كما نقله في البخاري : عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب إلى رأينا في عدم تسمية صلاة السفر قصيرا منه إلى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : ولذلك اضطرب كثير من المفسرين إلى تأويلهما والاستاذ يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصيرا وتناقض عن أقوال الصحابة أنفسهم

(٣) لم يرد حديث واحد منواتر افظه عن النبي صلى الله عليه وسلم بأمرنا ونحن فيه بهذه الأعداد المحددة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير منواتر وليس مبرحا في أمر الركعات . وذهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في عصر النبي بدليل قوله (كما رأيتموني)

عجبا هناك أيها الاستاذ البشري . كيف نخرج علي بهذا الحديث وهو غير صريح في المسألة . ولا يحتاج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررت في أنه يكفي قراءة أبي آية من القرآن في الصلاة ولو كانت غير الفاتحة . ومع أن النبي وأصحابه أجمعوا على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه السلام أنه تركها مرة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي بدون الفاتحة يكون عندك مسلما كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل الفاتحة . وإذا نرى أننا هنا نطابق المؤمنين ولا نرى أن أباحنيفة فعل ذلك أيضا وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده لا يكفي إذا لم يمتثل بأمر إلهي بينهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

لأن أويل ولا لظمن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركات الصلاة متواترا فلفظه فربما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على الصوم والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكيف من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) انه خير بما يفعلون) فلو سألت عنه جميع الصحابة والتابعين لقولوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثير من علمائنا الآن صاروا يقولون انه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد في الزمن الأول إن النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لا تتقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا روى القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك الخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يتبعنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المتخصصة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث أنه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فانه متواتر في رأي الاكثرين

إذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركات الصلاة إما أن يكون تحريرا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك إذا لم يصل إلينا أمر متطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فان قيل ان التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا اذا نظرنا في أمر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة . وإذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يتبعنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريدنا المحافظة على هذه الأعداد المتخصصة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاسماء عليها وهو المطلوب .

ولنعد الآن إلى أعام البحث في هذه المسألة فنقول : - نازعنا الاستاذ الفاضل فيما استنبجناه من قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً وإذا كنتم فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم وتلأتم طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) إلى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح إلخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه إذ كثيراً ما ورد الخطاب بالجمع ولم يرد به إلا الأكثرين كما في قوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) فالخطاب هنا وإن كان لجماعة المؤمنين إلا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكمين إلا إذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد ففي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . إذا علمت ذلك نبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام أن قلنا أنها لم تكن قصر لاختلافنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتى يتم علينا الزام حضرة الاستاذ المناظر أما قوله إن القيد « إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فيما لا نواقفه عليه لأن الأصل عدم ذلك ومق أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير إليه . أما إذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا إلى القول به . وهنا لا دليل يمنعنا من القول بأن هذا القيد مفسر في هذه الآية وأحاديث الاتحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلها كقول عائشة وقول عمر الذين ذكرناهما فيما سبق فاتهما بدلان على أن صلاة السفر ليست قصرأ فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فافقرارنا بأن القيد في قوله تعالى « وإذا كنتم فيهم فأقت لهم الصلاة » إلخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وإن كان للنبي إلا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويرسده هو وأمنه كقول المثل (إياك أغني وأسمي بإجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لا خرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها» وقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل» وقوله «أقم الصلاة لذالك الشمس إلى غسق الليل» وقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» الآية وقوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) إلى غير ذلك من الآيات. ولهذا قال علماء الأصول إن كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص وما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقم النساء فطلقوهن لعدتهن) . لذلك قول إن القيد (وإذا كنت فيهم) لا مفهوم له لأن الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (أن خفتم أن يفتكم الذين كفروا) فإنه معتبر مفهوم لعدم الدلائل القاطعة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الإنسان واردة لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشهاده بآية (وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست عما يتعين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربيعة إذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد الفحول فإنه يجوز له أن يتزوج الربيعة وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب أن نعتبر مفهومه إلا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) وكل خطاب للنبي خطاب لأمة إلا إذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهومه لملة فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام . وبذلك نزه كتاب الله تعالى عن اللغو والمبث والابهام وعدم البيان .

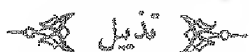
أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركة واحدة فيكفنا في الرد عليه أن نحيله إلى تفسير مثل تفسير غير الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله وعجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المبادر من قوله تعالى «فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا» أي أول سجود لأنه لم يذ كر غيره وبه تنتهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فصللي الركعة الثانية خلف الامام . ولكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدلت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة زيادة عن القدر الواجب بعنهم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة وبني على ذلك ما بنى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزليهما أقل من الركعتين الأولين : وشتان ما بين هذا المعنى وذاك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً في الركعتين الأولين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

انفقد علينا تسمية صلاة السفر «اكفاء» بالواجب ويرى أن انتقاده هذا الحق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلزم في غرضون أسفاره التوافل وعندئذ يمكننا أنه نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليل التوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصليها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أرأى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وألهمنا الفهم لكتابه المجيد . انه ما هم إلا نام هادي العبيد . رب العرش القمالم لا يرى



تلفت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زيادة هذه المقالة والمهور

(المسألة الأولى) الفروق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر لكل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه في زمنه ولذلك نسميه

« التعاليم التحريرية أو الكتاب » والسنة مهي عن كتابتها ونسميه « التعاليم اللفظية »

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب ما لم يكن مصحوباً بدليل

قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع

أن ذلك متواتر عملاً عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين العرب لا يحتاج لتبيينه إلى كلام آخر لأنه في متهمي

البلاغة ولا يكون كذلك إلا إذا كان إيضاحه فوق إيضاح كل كلام سواء . فلا

فلا معنى عندنا للقول بأن الرسول مبین له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الإيضاح العملي أبلغ من الإيضاح القولي مهما كانت درجته .

فالقرآن وإن كان لا يمكن إيضاحه بقول أوضح منه إلا أنه يمكن توضيحه بالعمل

فإن العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي

تحتاج إلى العلم والعمل كالأطباق مثلاً . ويدخل تحت ذلك تصوير الأفريق

للهاماني بصور وأشكال يضعونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا نذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبین للقرآن بعمله .

ولا نذكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذکر لتبين للناس ما نزل إليهم) قد يشمل

هذا التبيين العملي أيضاً . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه

آخفاً فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح ما في الكتاب

وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى ما في الكتاب .

فكل عمل مبین لما في الكتاب يكون واجباً إذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أو لم يذكروه بكون غير واجب علينا . وبإشارة أخرى (الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسئلة السابعة) جل ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن أصحابه مفسرا لآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد يعتمد عليه في بيان الناسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح مايقولون (راجع مقالنا في الناسخ والمنسوخ)

فخرجو ممن يطالع هذه المقالة أن يعمن النظر في هذه المسائل ولا يعميه التقليد عن إدراكها وبصد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من أتبع الهدى

٣٠ يناير سنة ٩٠٧

صدي

﴿ المنار ﴾

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة ونقول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا إليها في بعض أجزاء السنة الآتية ككثير الكلام ونشعبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد ونحرير محل النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بصد مسألة عدد ركعات الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نصه « لاشك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجبا على الأمة الاسلامية في جميع الارضات والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب » . وذكر في المقالة الثانية ما رأيت آنفا من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالدرب . وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الثامن فإنه امر سلبي والتاسع فإنه دعوى ممنوعة والمعاشر فإنه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذي لا يحاري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلغهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتأخرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجبا الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا يطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يمتري فيه وهو أنه لا يقبل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وأنه عام لجميع المكافين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أومع من يشاركهم في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذي بهت لاجله وهذا مما لا يجيزه مسلم فإذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين انتجتا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد باسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فمن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتد به من الدين ومن وثق بجته ودعاه منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتد به من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخبرا فيه تخيرا . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما ينبغي له صغر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجعه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين - وينخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس - مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرناً كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فان حال الخوف لها حكم خاص بها لتكون الضرورة منه ماذكر في سورة النساء وهو ما يحتاج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ماذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا) وهذه كيفية لا ركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركعة للمؤمنين وركعتان للإمام وأقل صلاة الأمن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كفتها يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود في آيات أخرى تخير فيه أو مندوباً إليه أو أمراً أكالياً ولا يعدم لذلك نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تجعل معياراً على القواعد والأحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القبيل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من وراءكم) لا يدل على أنهم يصلون ركعة واحدة لا سيما على القول بأن معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من أذكراها الخفية لامن أركانها الجلية . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فإذا سجد المصلون فليكن الآخرون من وراءهم لئلا يفتتهم العدو وهم ساجدون لا ينظرون اليه . وفعل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المنبأ فيه . فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا تصبح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فإذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (١٥٨:٢) قل يا أيها الناس ائني ورسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لا العرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكمه ان يجري على إطلاقه

بقول الدكتور صدقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لادليل على هذه التفرقة في الدعوة وأما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلاقاً على ما يشمل الأحاديث اصطلاح حادث . فعلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الاسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهاضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن خبير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (١٥١:٢) قلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة . والتعليم كان للآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تستحق به الحكمة

منه ولذلك قل تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

ونقول الله كمحور « استحق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتي تصل اليينا كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يعبدنا بالنظر والنظر لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الاما واظب عليه النبي (ص) وأصحابه ككيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل اليينا هذا بدون نزاع ولا خلاف يجعل السنة في جعلها مظلونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبني على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بمضه فرضا وبضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرونها بعدها سورة أو بعض آيات في الصباح والركعتين الاوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله نارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراءات ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لاستغني بالقرآن عن السنة الا اذا استغنينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن وإهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث وبسبونها بسنن الاقوال دين وشرعية عامة وان لم تكن سننا متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لاسيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فأكبر شبهة ترد علينا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة أصحابه للمحدث وعدم عناية علمائهم وعلماؤهم كالخلفاء بالمحدث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا لاندكتور صديقي

في هذا كراته لنا قبل أن يكتب شيئاً في الموضوع . وقد سألتنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فأجاب أحد الأبييض ما أجاب به الشورى في شرحه لصحيح مسلم وهو غير مقنع لأهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهرياً . فالمنار يفترح على علماء الدين أن يوافوه بما يعلمون وما يفتح عليهم في هذه المسألة والاكثاوا من كلامي العلم وقد علموا ما ورد في الكتابين

هذا وقد سبق لنا سبح طويل في بحث ما نتحقق به الوحدة الإسلامية من الأخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات ومحاورات المصالح والمقائد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿رسالة من طهران بحروفها﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاءه ورزقنا بره ولفاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالواجب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك علي الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقاتلهم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتكم الفراء . أول من ترجم ذلك ذكاء الملك في جريدته (تريبت) الفراء فيه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكر لهم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الحبر وأقروها على المنابر وفي المعابر . ثم نقل ما ترجم وما قال في جريدة (مجلس) وهي جريدة الطالع بقرأها في طهران الصغير والكبير والذكور والاثني بل وفي جميع ايران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتابا وأغاظ فيه وذكر أن ما ترجمته وزنامه (تريت) وثقائه عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة ليوقعوا اتفاق بين الدولتين ، ويحدوا الشقاق بين الفريقين ، فالأولى أن تحتسوا على جرائمكم اذا رأوا مثل هذه المقالات أن لا يترجموها : فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيته حتى نؤاخذه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا موارضتهم بشئ . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بمعنى في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوما في مجلس مشحون من طلاب العلوم الدينية فتذاكروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم مغظيا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت باخواننا من العرب المسلمين ، نطلب منا أن لا نكتب في جرائمنا ما ينور عقولنا وبینه أفكار أهل ملتنا من الغرس بأن مجلس الشورى اذا دار في إيران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التمدي على حدود مملكتنا من طرف تبريز ، رأينا منها التمدي والظلم لآخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها دبحهم وجزهم في الشهر الماضي ، مهلا مهلا أيها الترك أفيقوا من غفلاتكم ، وتيقظوا من نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كالיום ، انفتحت علينا أوروبا وأتانا أهلها من كل حذب يسلون ، هذا لاجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخر داع لدينه ، واتعهد من الكل ابتلاعنا معاشر أهل الاسلام ، فان نيقظم وإلا فأنتم صوبوهم ونحن غبوهم لاسمح الله بذلك ، أيها الترك انما انتم الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ المستبدين أربابا من دون الله طاعتهم كطاعته ومعصيتهم كمعصيته ، بل نجالدهم بالسيف والسمان ، والقلب واللسان ، فان توليتم فنشهدكم بأنا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الحائنين ، ومستسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

هذا معنى ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحييت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ما ترجم قولكم صار بين الناس ذكركم وأنتم أشهر من نار على علم اه
(المنار) ذكر الكتاب اسمه ولم يأمر بكتبه ولكنكم لم تذكره لأجل قوله انه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل لتكتب اليه

وقدر أي القراء أن خطيب طلاب العالم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذي يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدولته ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم . و بين قومه الترك . ومعنى هذا — ولا تدري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذي وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجموعها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يتنان من حكم الاستبداد ويختان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه . ولولم يجد الماين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لماذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لها عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لأجل المال والجاه والعدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما أئذ المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فقلنا الله تعالى أن يفهم ما بنا الى خير منه قبل أن يقع الواقعة فنكون خافضة رافعة

باب التوبة والتعلم

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتقوا به ولا محاباة الجرائد ما ترجمته
أيها السادة : — لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر . فأكتفي بأن
أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام — المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية
والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعتد بمدارس
مصر الابتدائية والثانوية كل مدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي . لأن
المدارس الثانوية لتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر . والتي نسمونها هنا المدارس
العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوروبا مدارس ثانوية فنية . فدرستنا
العالية في الكلية لا يصح أن نقاس بها مدارسكم العالية هنا وإن كانت المدرسة العالية
في عليكرة لازال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية . ولا تسكر أن مدرستنا
الكلية لم تخرج الى الآن رجلاً من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات
المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجلاً ذوي كرامة ونفوس عالية
وإخلاص لبلادهم وملتهم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يحصل لكليتنا
امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص بإقامة الطلبة فيها
على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها
وإعلاء شأنها بكل ما في إمكانيهم ويتدرج من ذلك الى ترقية شعورهم في مبادئ الاخلاص
والوطنية حتى اذا ظهر أن طالباً ما يشتري بمصلحة المدرسة مصالحة شخصية له يحقره
الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يرحلها غير مأسوف عليه ويوجد
في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذي تسيير عليه هذه المجتمعات
والأندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند
تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) اذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا
النادي ناديتكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكونون فيه
رأيكم العام وتذوق آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لإدارة الاعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في علكرة أننا لانعرف ولا تتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط قانها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا تمسك كثيرا بالترية الدينية والترية الوطنية اذ يجر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لابد للشباب الطالب من أن يفكر ومن الجنون أن يصعد سبيل الفكر بحواجز صناعية لابد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نعلمه في الحقيقة هو أن نعدّ لذلك السبيل طرقا ومساالك يجرى فيها والكلية الآن تتبع بروح جرام التعليم في الحكومة وتمد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة علكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاحنا لا يكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا مبدئا ولا تسترقا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ نأخذ العلوم بعيننا والفلسفة بشاكتنا ونحمل نابع . لا إله الا الله محمد رسول الله ” فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السير أتني مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تنمو هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السامي والديني الذي لا يؤمل الآن من الإستانة أو مكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يشكرون بمساعي الثواب بحسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وتمت فرق بين التمييز كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية علكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر الترية الاسلامي وقد قال سمو أظخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد تكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طيبيا برقي وتقدم اخوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

بجعل عليه (اكسford اسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا تعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاص والمروءة والاثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقا في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا المذهب أولا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه . فهل فقدوا للشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سببا في نهضتهم الاولى حتى أصبحوا غير قادرين على جمع شئ من المال لهذا العمل المجيد ؟؟؟
وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعا لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إننا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلتقي فيها العلوم التي يمكن تلقينها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكري تموفيه الارواح وتربي الرجال وتسمو الاخلاق . نريد مكانا يكون مهبطا للعلم ونارا يلمع بين جذرائها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تشعب من تلك الشمس أشعة العلم والعرفان في كل أرجاء العالم

وانى أؤكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يعد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذ تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وانحطاطه .
واننا نؤمن أن تظهر هذه المدرسة الجواهر الخفية في آداب اللغة العربية وتنشر الكتب العديدة المثال بتفسير وإيضاحات . وفي عز منا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ويجعل لهم صرديات لكي يستريح باهم من جهة الحياة ولينفرغوا للدرس والبحث ونحن الآن أيضاً ننشئ في محاذة تلك العربية كلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعليم العلوم الطبيعية عمل كبير . يحتاج الى اتفاق مال وفير . ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واذا ساعدنا التوفيق نضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لطبي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كذا وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمة علم من العلوم لا يتعلم في عليه . ولهذا نؤمن أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع أنحاء العالم عليه لتلقي العلوم فيها

وقد طامأ سألنا بعض الناس — لما ذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فنشئ مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة — ونحن نقول اتانا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكركه لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين المختلفين في الجنس والدين . فبوجد الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين . ولن نسي مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسمي «جامعة اسلامية» الا بالاعنى الذي تنسب اليها كسفورد وكبريدج الى كنيستنا كاتوليك الرسمية . وأني أود لكم بعض الحجج التي تقيمها في هذا الصدد

أولها — من المعروف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية السموية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يعلم الدين اجبارياً ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت . أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها . وقدلفت اللورد كرزون حاكم الهند العام السابق الرأى العام الى هذه النقطة وعدها نقصاً في نظام التعليم الهندي . ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اتنا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها — قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكركه وإني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهل الدين

ثالثها — أشك كثيراً في امكان جمع المال لانشاء مدرستنا لادين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة بانشاءها واذكر ان السير ميخائيل هيكس يشترى وزير ماليتها انكلترا اخيراً قد اتى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعا — إن المدرسة الجامعة ليست معملاً (فاوريقه) لصناعة طلبة ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية ولكن المدرسة الجامعة يراد منها ان يخرج رجالاً كباراً ورجالاً ينقطعون للعلم والدراسة والبحث . ولا يمكن مدرسة جامعة لا دين لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على أنه يوجد في المدارس التي لها دين من يقطع العلم والتعليم
ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدري بذاكم
ودواكم أكثر مني ولكني أريد بالنيابة عن رؤساء كلية عليكم أن ادعوكم إلى الهند
لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل أن تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن
المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد أن كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة إلى مدرسة
ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الأربع لا تكفي لتربية الأمة كلها ولوجود
من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون
هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الأمة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لإنشاء
مدرسة ثانوية واحدة في حين أنه يوجد في مصر ست مدارس ثانوية أهلية ليست منها
واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الأمة ؟؟
يوجد هنا اعتقاد قاسد وهو أنه يلزم أن يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوروبيين .
وبما يخع الناس أن يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة التفقات ومن أسباب أخرى .
وإني موقن بأنه إذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فإن عدد المدارس الأهلية
الثانوية يزداد وإذا كان الهندو يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية إخوانهم
الهندو بالغة الانكليزية فلماذا لا يقدروا المصريون على تعليم إخوانهم كذلك ؟؟ فلماذا أرى أن
أول واجب على قادة الأفكار هنا أن يسعوا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي
تفقات كثيرة ويمكن تنفيذ في الزمن القريب . وإني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم
أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون
علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم أن يكون ذلك في أوروبا .
وأنا كنت الحالة المالية لا تسمح بإرسال الطلبة إلى أوروبا فهناك طريقة أخرى
لتعليمهم في كلية عليكم . فإن تفقات التعلم فيها مع الإقامة والسكنى وكل ما يلزم
للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنياً في السنة ولهذا أرى أن عشرين جنياً تكفي
الطالب في السنة من كل الوجوه وبإلتصكم نجتمعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنياً
يعطى منه عشرون جنياً في السنة لطلاب فقير ويرسل ستة من هؤلاء إلى عليكم
ليقيموا أربع سنين أو أكثر إذا أراد الطالب . ولا أقصد أن أقول أن التعلم في
عليكم أرقى منه في أوروبا ولكني أفضله لسببين أحدهما أن الطالب يتلقى تربية دينية
مع تلقي العلوم والمعارف في جو إسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد الهند وأفغانستان

(المجلد التاسع) (١١٨) (المناظر ١٢)

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء امالكا الهندية واجتماعه بهم وأحدثه معهم تتسع دائرة فكره وتزداد مدارفه وثانيها ان الطالب فيها يتلقى تربية وطنية ولا يتعود ممشية السرف كما يفعل المتعلمون في أوروبا . واني في موقعي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي تهتم عليكم وترقيتها كما سبقت لي الاشارة لاني اعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكم يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة اسلامي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشيد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكم يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نواجهها والتي آمل ان اخواتنا المصريين يساعدونا على مخطيها . علمتم ان التعليم الديني اجاري عندنا في عليكم ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطالما اجهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لتحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد قضينا علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكم فانه يعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتباً للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على اصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نقدر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمد على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذا أمكن أن يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لهذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم توضع برجراما صالحا ولا كتباً وافية بالفرص أيها السادة : العلاقات بين مصر وعلكم تزداد يوماً بعد يوم وسيكون عندنا معلمون مصريون ونود أن نعت بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لا كمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم أن تبعثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقديم مدرستا وسيرها ويسألون عما تفعله نحن الهنود المسلمين

لاصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى أنه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية
عليكرة وتساعد على نشر مايعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلاً في اختيار معلم اللغة
العربية عندنا . وإذا تأسست جمعية على هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يمد

لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتيج اليها فمثلاً اذا

احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته أكثر من نواب محسن الملك

او سواء من الرؤساء واطن انهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في

الهند وبالطبع يرسلون اليكم تلك النماذج لآخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد

ان نحتذي فيه المدارس المصرية لان الهنود لا يحبون ان يقلدوا الاوروبيين في ذلك .

وفي الختام ايها السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم ايادي وأؤكد لكم اني

سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأدكر ما حييت بزيد الشرف والفضار

اصدقائي الكبارين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اه

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبئ عن فهم ثاقب، ورأي صائب، وتهدي الى طريق لاجب،

لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين، وإن أولاهم بهما لعقلاء

المصريين، الذي خطب الخطيب ودهم، وطلب وصل جبل مدرسة عليكرة بحبهم،

وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل

لاصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السعي في إنشاء مدرسة جامعة اسلامية تكفل

ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك او يدعوا اليه الا ما كان من الاستاذ

الامام رضي الله تعالى عنه فلما أن تقول بعده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا

وأعلى همة

(٧) توحيد التعليم الديني والتربية الدينية في مدرسة عليكرة وهو أنظم أركان الإصلاح الذي لايرجى للمسلمين فلاح بدونه ولم يعلم قبل أن أعلم ضياء الدين أن مدرسة عليكرة تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ المسلمون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنشئة واحدة روحها الأخوة الإسلامية النافية للفرق والخلاف . وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبرهمه وأقداما وقد كنا ندعونا الى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالاتنا ومحاورات المصلح والمقاتل . ولكن لم نر أحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وآذاننا كثير من الناس زاعمين أن مادعونا اليه ضار مضيع للإسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلقي لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الإسلام متروكة الى اجتهاد الأفراد لا تدخل في التعاليم العام ولا يمنع أحدا من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادى ذلك . وما شرع الله لنا الا أن نقيم الدين ولا نفرق فيه وهل من سبيل الى إقامة بدوت تفرق الا مادعونا اليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكىاء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا اليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد . ومسلمو الهند قد سبقونا الى العمل الذي كان الاساذ الامام عازما على جعله أساسا للمدرسة الكلية التي توجه الى تأسيسها . ومن علم أن التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وإن الحرية في مصر أقوى منها في الهند تجلي له أن الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والافان امتداد الشعب هنا للإصلاح أقوى منه هناك فماتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما اعتقد

(٨) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حتى قدره لحقوه ان لم يكن متحققا وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الايام حقيقة الأزهر وإنما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكرة

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحمة على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية ونهايك بما كتبه يومئذ الى المنار وما المهد بمقالته الاخيرة في المنار بعيد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ما وقع هذا اليأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي ياح به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يبتعدون مذهباً من المذاهب ولا يعرف أحداً من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجى منه شيء . وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لا عناية فيها لاسماء التوحيد والتفسير والحديث وهي هي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجى خيريهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئاً من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسن الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلداً ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يعملوا ولم يكتبوا شيئاً في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية من ايام يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين . يا أسفي وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها إنه لم يترك خلفاً يتم ما بدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشائها بعد ترك الأزهر فجاء دعاء الجامعة المصرية يساقونهم الى ما هم أهض به فاستألو بعضهم وسكت الآخرون لثلاثا يكونوا معارضين لمن بدأوا بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا يحاولون أن يعدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) بمشورن الخوزلي ويرى الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية كانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل البناضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكياثنا المتفرجين قد شغل خيالهم وطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفاسد التي تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيمدوا لدرء هذه المفاسد عنها . فهو لا هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم للدين من الأديان مخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عافى الهند من هذه الرعة

لا نريد بهذا تثبيط الهم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية وبذلك المال لها اذلسنا ترى من خدمة الدين مجاقاة العلم بل ندعو الاغتناء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الحدلان فيها لا قدر الله عار على الامة كلها وأن ما يريد الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتقاء . ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تنفي مصر عن مدرسة أخرى جامعة يرب فيها الناشئون تربة دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجالا نابذين في علوم العصر كلها واذا عظم الا ككتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

اثان على الجاهلية

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب الفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب مالا ينافيه مع وجدها وقد ثلثت فطرته ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يعز مثله على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصل ، وانهم نالوا من الحرية القدح

المعلى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة : يعاقرون الخمر جهرا وهم يعتقدون أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون إليه ، وضارة في حكم الطب التي يعملون عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرّمها على نفسه وهو لا يري فيها أثما في حكم الدين ، ولأدما من المعاصرين ، وإنما هو العقل أراد حقيقة خبثها فأبى أن يحكم لذته في عقله . قال أبو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس ابن هشام قال أحرم رجال الخمر في الجاهلية نكرا وصيانة لأنفسهم منهم عامر ابن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان وقال في ذلك

سأله لائق ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال
أقسم بالله أسقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر أو صالي (١)
مورثة القوم أضفانا بلا إحن مزرية بالفى ذي النجدة الخالي
وحرّم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لمرك أن الخمر مادت شاربا لالابة مالي ومذهبة عقلي
وتاركني من الضعاف قواهم ومورثي حرب الصديق بلا نبل
(قال) وحرّم صفوان بن أمية بن محرز الكنانى الخمر في الجاهلية وقال في ذلك
رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله اشربها حيايتي ولا أشفي بها أبدا سقيا
(قال) وحرّم عفيف بن معديكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال
وقائلة هلم الى اتصايبى فقلت عفت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد اراني بها في الدهر مشعوفار هينا (٢)
وهرمت الخمر على حتى اكون بقعر ملحود دفين
وقال عفيف بن معديكرب أيضا
فلا والله لا ألقي وشربا أنارهم شربا ما حيت

(١) أي لا أسقيها ولا اشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشعوفاعنوننا

أبي لي ذك آباء كرام وأخوال بعزهم ربيت
(قال) وحرم سويد بن علي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعني الحر
وأدرك الاسلام فقال

ترك الشعر واستبدلت منه اذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنسداي
وحرمتم الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما
أقول وبالله لسلسلة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وما هو أرق منه
﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد
الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تشدني من أرق ماسمت من عمك من أشعار العرب
فضحك وقال والله لقد سألت عني عن ذلك فقال يا بني وما صنع برقيق أشعارهم
فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصباية ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوي
يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا اني لغريب
غريب دعاه انشوق واقتاده الهوى كما قيد عود بالزمام أديب
وماذا عليكم ان أطاف بأرضكم مطالب دبت أوفنته حروب
أمشي بأعطاب المياه وأبتغي قلانص منها صعبة وركوب
فقلت أريد أحسن من هذا فأشدني :

لعمرى إن كنتم على النائي والقلابكم مثل ما بي انكم لصديق
فما دقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساع لي بين الجوانح ريق
اذا زفرت الحب صمدن في الحشا كرن فلم يعلم لمن طريق
(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه
قال أنشدني عشرة من الحاربية وهي عجزوز حيزون زولة

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقههم سبقا وحشت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي ألبني
ولا شربوا كأسا من الحب صرة ولا حلوة الا شراهم فضلي

قال أبو بكر: الحيزون التي فيها بقية من الشباب والزولة الظرفية والزول
الظريف وقوم ازوال والزول أيضا الهادية والزول المعجب. وقال لي غير أبي بكر
الحيزون المجوز ولم يحدد لها وقتاً ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة الملوكي

ان وصفوني فاحصل الجسد أو قشوني فأبيض العكيد
أضف وجدي وزاد في سقي أن لست أشكو الهوى إلى أحد
آه من الحب آه من كدي ان لم آت في غد فبعد غد
جئت كني على فؤادي من حر الهوى وانطوت فوق يدي
كأن قلبي اذا ذكركم فريسة بين ساعدي أسد
يدي بحبل الهوى معلقة فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأند لا بي بكر بن الأنباري عن المظفر

هل من جوى الفراق من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى اذ جلن في مهجة مشتاق
يا كبدا أتني الهوى جلها من بعد تلذيع واحراق
حتى اذا فقسها ساعة كرت يد الين على الباقي

(المنار) القاري يرى في هذه المقاطع ارق الشعر وألطفه مسلكا في

الروح وأشدّه جذبا لقلوب

التقريظ

﴿ كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الحروف في النسب
هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر، وما كتاب الأمالي والنوادر هو الذي عده
ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب: وسعنا
من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب
الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب
النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتم لها وفروع عنها: اهـ

كان في هذا الكتاب من النوارد التي قل ان تكتمل برويتها عين فصارت والله الحمد مسرحة كل عين فحشق الأدب اذ شرع في طبعا الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي فتم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلى ان يتم . طبع في هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالاثقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأمالي . طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشبه فيها وما قد يشبه من التركيب في الثر بالشكل وأظن أنه لم يعن بطبع كتاب بعد (المخصص) كما اعتني بطبعه . وقد علم القاري ان هذا الكتاب على ما فيه من الفكاهة مما يطبع في نفس قارئه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشا

﴿ مفردات الراغب في غريب القرآن ﴾

كتاب المفردات للراغب أشهر من نار على علم وهو مازال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالصباح وفسرها تفسيراً قلماً تجد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالتعريف الدوري وهو كثيراً ما يحدد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه في هذه الأيام الحاج مصطفى الباني الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكر له أحياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر أقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

﴿ خمس رسائل نادرة ﴾

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المشكلم فيهم بمالا يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الحطاب . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على مسبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحت أهل العلم على مطالعتها

﴿قانون الصين﴾

يقول الشيخ سعيد العسلي الرحالة السوري انه ظفري كثر في نسخة من قانون الصين الذي بسمونه (لي) وهو من وضع عاهل الصين السابق (تونجى خانسكي) وانه هداه اليه بعض أهالي كثر ونقله الى العربية بمساعدة بعض العارفين باللغة التركية والصينية معا في مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح . وقد طبع ما ترجمه في مصر . ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية . وبأيت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام . اما طبعه فحسن والورق الذي طبع عليه جيد ولكنه لم يحفل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والمراجعة في المطالعة . هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكماء لاسيما رجال القضاء ، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجى رواجه من غير ترغيب فيه ، ويحمد مترجمه على انحاف العربية به ،

﴿فصول الحكماء﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدى أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين المقلين يتكلم عن الواحد منهم بمجملته وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين ونكلم عنهم بكلام أوسع . والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والتصرافية وتطلب من طابها أمين أفندي هندية

﴿بلزار﴾

أهدنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بلزار فوضعناها بين الكتب المعدة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الفرض من مثل هذه الكتابة نفيه الراغبين الى ابتغاء

ما يكتب عنه ترويحاً له وقلماً يقرأ المنابر حيث تباع قصة بليرار إلا عند طابعها وبائعها . وعكنا في الشهر الماضي أباما فرأينا من القسيسة أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبدأنا بقصة بليرار فبدلنا مالم نكن نختصب، بدلنا أن هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تتمثل فيه الفضيلة في أيهي صورها، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجالها، لا يقرأ الفصول الأولى منها ذو قلب ويملك عينيه أن تهمل . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والتجاني عن القوان يخنار طبع قصة لا تفيد ولعله يرسل الى مصر طائفة من هذه القصة لثلا نكون قد ظلمنا القراء في تشويقهم اليها مع امتناعها عليهم

﴿ الحن كيوتز - مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاها لفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطهن الطبيعة حتى صارتم المرأة في التمتع بمضى الزوجية صارفا لها عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالموسيقى . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضعية عنوان الأولى المعانون والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندي شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الأسلوب

﴿ المعارف ﴾

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمدير سياستها محمد صادق الحمودي » ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى . وذكروا صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة الموم والمعارف ونشر فضائل الآداب الإسلامية ولخدمة الأمة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن المجمة . وجعل أمرا السياسة فيها ثانوياً فأصاب . وفي العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكنا انقذنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية ما لا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقوله عن جريدة الاهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع ان سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب أنهم سوريون كأصحاب الاهرام وكبالتفة في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام... ولم تقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما رى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بابها الممجي وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلا كتبها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية. ومن مبالغته ما ذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الاهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهو لا يقرأ أن الجرائد لبعدهم عن السياسة وإنما يقرأ بعضهم المجلات. وأما الاساتنة فكل من أرسل البهاشيا يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت. والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الخديو. وكقوله ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية «بكونها تطبع بثمان صفحات» والصواب أن هنا عدة جرائد اسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصصحف الجديدة تعرفاً مجازاً لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا المادة في التعريف بهذه الجريدة لاعتناء بها ولتنبيه على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فانتا كثيراً ما ترى جرائد الهند وتونس (مثلاً) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشعر به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوى الباعث للكتاب على ما كتب - وللتبصرة على التاريخ اذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من التخيل أو ان فرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول
﴿ المذهب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »
أنشأها في زحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد
الى عيسى افندي اسكندر المالكوف بنحريها . ومن عرف ما للخوري بولس
صاحبها من المكانة والفضل وما ليعسى افندي مقررهما من الشهرة والبراعة يرجو
كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع
التهديب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصا اللبنايين الذين ينشئون
الجرائد اليومية وغير اليومية في قلة الاجيال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو
الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالضاد ، في مثل تونس وحلب وبيداد ،

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كاملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل
والنحل وقد سادت دولة اترك هذه الشعوب المتفرقة بالقوة العسكرية بضمة قرون
ولكنها لم تحوّلهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بحفسيّة قانونية يتحدون
فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل
الشعوب عن دينها ولغتها مما أو عن أحدهما بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا
في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة
وإبادة من تأبى وإجلائه فبقيت هذه الشعوب التي لم تتحد مع السلطة برابطة لغة
ولادين ولا حكومة مساواة تقتصر التفرج عليها والانفصال منها فمنهم من
قضى مآربه ومنهم من ينتظر

كان ضعف هذه الشعوب وجهها وعدم التصير لها هو المون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت على هذه الشعوب شمعاً من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصاراً من دول أوربا التي أربت قواها على قوة الدولة . واتفق ان اشد من أول هذا القرن (المعجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (أي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والاكراد لان سهم الترك من شمع العلم كان اوفر وشمورهم بألم زوال السلطة اقوى . فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى في تلافي الخطر الذي ينفذ دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والممالك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعواناً للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بان لا تشرأ الخطر ، ولانال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجود السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والفرس منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها وملا في السعي لحمل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستبداد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهدوا الى هذا التأليف بين الشعوب والممل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكربت ومكدونية منازل ، ولما تقاوم أمر الاستبداد واستفحل ، فسمى ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجاً يعضدونها بأرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الأساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه لائحتها الأساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية شورية بالفعل .

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل الوسائل المشروعة .

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التفات الى الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظمات الجمعية وقوانينها .

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة .

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم اللجنة المركزية الاصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يعين من قبل اللجنة المركزية .

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعا وتسمية الاشخاص اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة أعمال الموظفين .

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الأساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والافرنسية .

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الأساسية يرجون من جميع اخوانهم العثمانيين الذين يهتمون بخير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسعى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع المحاطبات ترسل الآن موقفاً الى صندوق البوستة نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

— أمير بل ملك أفغانستان في الهند —

طالما تمنى الانكليز أن يزور أمير الافغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الايام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلفظ « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا لا تعترف بأفغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا امارة وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الامير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل وليكن اذا ترك خبر زيارته للمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة وبحث فيها بمحتش خبير فكان بحته وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل مذاكرته معهم في المباحث الدينية حتي قيل انهم عجزوا عن مجاراته والاجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلعوه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال انني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصفاؤه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أمر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الدمع عند سماع التلاوة

وطالب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال هو لاء الطلاب : أصبحوا لما أقوله لكم أيها الطلاب أنتم في شرح الشباب ومستند كرون ما أقوله لكم مني تقدم في السن، تسمعون الناس يقولون ان أمير افغانستان سني متعصب أليزم أن أكون متعصبا لاني سني ؟ أفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا واني - وأنا سني - لأفضل الهندوس على الشيعة . قرأتم في الجرائد

أنني نهيت في دلهي عن تصحية البتريوم العيد وأنا هناك بمجاملة الهندوس وتحاميا
لجرح عاطفتهم الدينية فإذا كان هذا شعوري في مجاملة الهندوس فكيف يكون شعوري
وميلتي إلى الشيعة؟ إذا لا تصدقوا أنني متعصب، إن في ريعتي السني والسني والهندوس
واليهود وقد أطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب. نعم لا أسمح للشيعة أن تهين
الخلفاء الثلاثة وتزدرهم فإن كان هذا يعد تعصبا فأنا متعصب.

كانت المدرسة قد أعدت خطبة للترحيب به وأطلع عليها كما هي العادة في مثل
ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا
افتتحه بالشكر لحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر أنه سمع عن المدرسة
الحسن والسبي. وكان السبي هو الغالب على ذهنه قال « فحسب لا عرف الحقيقة
بنفسي لأنني لا أتق في شيء من الأعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار
الذي علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت
مجلس الإدارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين في إيمانهم وإن الطلبة
يتقدمون ويثمنون ليكونوا من المسلمين الصالحين وأنني سألتهم أسئلة يسر على
بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية
لا تتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله أن وجدهم على
ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص
الناس على قطع السنة من يذمون هذه الكلية (وهنا صفق الحاضرون فأشار بيده
أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن أن الدين والعلم لا يتفقان وإن الدين يضمف حيث
ينمو العلم فليأت إلى هذه الكلية وإير كما رأيت ما يفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة
الناطقة الجديدة . بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع
التعليم فبالذلك من جهل فاحش . أصبحوا لما أقول إنني أداغ عن التعليم
الغربي وقد استبدلت بحسبان طريقا للشر إنشاء كلية دعوتها (الكلية الخيرية)
إضافة إلى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية إلا أنني
أصر على القول بأنه لا بد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فإذا هدمتم الأساس هدم ما بنى عليه . لذلك أقول لكم اجعلوا تمرين الطلبة في علوم الدين غاية النيات وقد وضعت هذا الشرط في كلمتي وأرجو أن يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام »

ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألفدروية هبة معجلة ومربتاً سنوياً قدره ستة آلاف روية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدى القول ونميدته ، وبمحوله وفضله نودع عاماً ونستقبل آخره ، لله الحمد على ما وفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي ، فإن يده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، هو ربي إليه أدعو وإلىه أنيب ،

كانت السنة التاسعة للمنار كالسنتين الأربع قبلها في كثرة الاقبال على المنار فيها وطلب المثين من الناس للاشتراك ولكننا ردداً كل طلب لم نعرف صاحبه ولم يعرفنا به صديق ثق برؤوقه ، لأن التجارب علمتنا أن أكثر المجهولين الذين يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطلب يطلبون بعد ذلك ويسوفون ، أو يهضمون الحق وهم منعمدون ، وأن سوء حال الأكثرين ، يحمل على سوء الظن بالآقلين من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة أن شاء الله تعالى لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل الينا القيمة مع الطلب الا أن يكون معروفاً لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا نجسبنا ما قاسمينا من مطل الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار سنتين قرشاً لأهل القطر المصري والسودان فردنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن الثقة زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان مما استأجرناه به أول

مرة متين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت
دكاكين تخرج بها ما أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة
تذكر قسستكم وزاد معال المشتركين مع ذلك

حال المشتركين

في كل سنة نزيد ادعوا بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء
الصحف المنشرة » في الأقطار الإسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٣١٤)
وهي أشد البلاد مطالاً حتى ان بعض المديريات (كالقهيوية) لم يرسل البنا قيمة
الاشتراك منها في هذه السنة الأنفوسنة من المئة . نعم ان أكثر المشتركين في المديريات
لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكروهم بها مذكروا والصحف نفسها لا تعد
مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤونها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقاً وأنها ما وصلت
اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقاً الى مستحقه الا بعد إلحاح
في الطلب وكثرة مراجعة في السوال ومنهم من يمز عليه أن يؤدي حقاً بدون حكم
قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك
وباعته الحكومة عليه أو حاولت يمه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في الهي والمطل لغريب
وقد كنت اذا ذكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الحلق المتكمن من
نفوس الاكثريين فأخبرني أنه ما تمكن الا بالورثة . قال إن الحكومة لم تكن تحصل
الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون
الدم وهم واجدون ، ويشكرون ما بأيديهم فاذا هم ضروا يعترفون ، كان أحدهم يضع
ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف لعامل التحصيل الا بانه المظلمة أنه لا يملك
الآن شيئاً حتى اذا ما برح الكرباج بمجلده ، وشربت السياط من دمه ، أخرج
النقد من فيه ، ورى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ،
لا يستمر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطالاً كتاب المصالح والدواوين ،
وصغار المستخدمين ، ثلث من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التعليم الناقص مع عدم التربية الصالحة هو أشد تأثيراً في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها إبراهيم باشا . طلب مني أحد هذه الناجية الجديدة أن أجعله مشتركاً في المار منذ أربع سنين فأجبتة الى ذلك اذ رأيته ممن يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كراسي الديوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشتراكه كان كلما رأيته يمدني بان سيرسل الي قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكرر (وهو أمرٌ على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى ») صرت اذا رأيته أتلبس تمجياً فيادر بالاعتذار - وأمي عذراً قرب الى الازدهان من النسيان - ثم قال لي غير مرة لعلك تذكرني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فجاءني بهذا وذاك وأني تنفع مثله لذكرى أمثال هؤلاء . يتمجب منهم ولا يقب عليهم ومن المشتركين من يستب عليهم ويتمجب منهم كبعض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لمحض الكسل وهم من محبي النار وعارفي صاحبها الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مقبوضون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجمع وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف أما حال المشتركين في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم نقصيراً معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تمطل البريد في بعضها فلم يصل اليها النار مطاردا ولم تيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في الغالب بعد عرب نجد وحضر موت اينما كانوا وحيثما أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقبل منذ سنة يرجي حسابهم وانما يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسبكون ذلك في جزء آخر ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المقتصد بن الذين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه وان لم يستجلبوا فبهؤلاء تقوم الاعمال ، ولولاهم لفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشتركين مطالأهم أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا بما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فحين لنا بعد التحري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العنوانات أو يذهل عنه عند إلصاقها على الملف ومن غير الغالب أن يسقط بعض الاعداد من العربة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الغالب وغير الغالب نادر (٢) ان عمال البريد يخطئون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يتراوون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيراً من المشتركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند محبتها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الاقربون والاصدقاء نسخهم من يادو الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدوره ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنتين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يتمدون هضم الحق ويستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحدا منهم طواب بقيمة الاشتراك فقال له طالب اني لم أر المنار منذ كذا وذك سنة أو أكثر أو أقل فالتفت الطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق فرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له أي شيء هذا وأشار الى الاجزاء ١١ فرده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشتركى المنار قليلاً كثر الله في أمة من أفراد

لكن كثرة طلب المفقود نصرح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد صدوره كأن حقاً على الإدارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صحيحة) فإن وجد أرسل اليه والادارة لا تضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم
تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد في هذه السنة منه فيا سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبع وطول الامد على إصلاحها ثم ماعرانا من التوعك غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكاتبة من كاتبونا من المشتركين والمخبيين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد المساعد وعسى أن لا تقصر من بعد

الانتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في انكار نشر رسالة الدكتور صديقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يعلو ولا يبلى لا تظلمه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وأما يخاف على دين من ليس على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يعند بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألتان جديران بالدكر قلها أحد فضلاء الاوربيين (احدهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات النفوس الوثقى نشرت في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة الاوربيين المستثمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وأما هو أثر تاريخي لغيرنا كتب لفرض سياسي فات وقته ومضى زنده فلم يخطر في بالنا أن نحذف كلمة الهجرة منه ولأنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستناد الامام لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلها في البلاد التي يحكمها المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية وبلغنا أنهم لم يلبثوا أن ندموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الافرنج لا يكاد يوثق

بعلوم النظرية والعقلي لانهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والمس .
 واقول اني تنبئت بعد طبع الكرامة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبالغة
 في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيما مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها
 ولولا انها الكرامة العاشرة لاستدركت على العبارة في ذلك الجزء قبل
 ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف
 تنشر بعض الآراء السياسية وهؤلاء لا يلتفت الى قولهم ويكتفي في اظهار أفتياتهم
 قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب
 الثناء على المنار

أما ما ورد علينا من الثناء على المنار من الغرب والشرق فهو عظيم وإننا
 لنخجل من نشره لاسيما اذا كان محضاً ونسأله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن
 من يحسنون الظن بنا وان يقيمتا شر الغرور بالنفس ، والفلة عملاً لمخلوعه من تقصير ونقص ،
 الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإننا ندعو أهل الفجرة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد
 بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلا ما ينشر في المنار ونعدهم بنشره مقروناً بالثناء
 والإقرار بالقبول اذا أفتعنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأنيده بالدليل
 والحق بعد ذلك لا يخفى على الجاهل اذ هو الذي يعلم ولا يعلى . كما ندعوم الى
 تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
 ومن الارشاد العام لكل من يصل اليه صوتنا وتبلغه مجلتنا من البشر فان الدعوة
 اذا ألبدها المعتقدون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشاع وترسخ رسوخ
 الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامرين من جعلهم الله أهلاً للدعوة الى الخير
 والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله الغالبون ،
 اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يهزون ويلمرون ، ويقاربون ولا ينصحبون ،
 ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون ، والهاقبة للمتقين ، وسلام على
 المرسلين ، واخذ الله رب العالمين ،